المودة

الشر مرتع وخيم

د. محمد البكاء

الشّرُّ: السُّوء، والفعل للرجل الشّرير. وقال ابن سيده: الشرُّ ضد الخير، وجمعه شرور. وجاء في "التعريفات" لأبي الحسن الجرجاني، الشرّ: "عبارة عن عدم ملاءمة الشيء الطبعَ". ذلك أنّ الانسان الذي كرّمه سبحانه وتعالى وفضّله على كثير من خلقه، بقوله تعالى: "ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم من الطّيبات وفضّلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا". (الاسراء ٧٠). قد فطر على اتباع دين الله الذي خلق النّاس له، وقبول الحق وتمكنه من إدراكه. فقوله سبحانه: (تفضيلا) مصدر فيه معناه التوكيد.

وقال تعالى: "فأقِمْ وجْهك للدّين حنيفا فِطْرت الله التي فطر الناس عليها". (الروم ٣٠). قال النحاس (اعراب القرآن ٢ / ٥٨٨): "سميت الفطرة دينا، لأن الناس يخلقون له" قال جلّ وعزّ: "وما خلقتُ الجنّ والإنس إلا ليعبدون". "الذاريات ٥٦". فقوله: "فطْرتَ الله" نصب باضمار فعل تقديره: اتبع الله، ودلّ عليه قوله "فأقِمْ وجهك للدين" لأن معناه اتبع الدين. وقيل: "فطرت الله"، انتصب على المصدر لأن الكلام دلّ على فطر الله الخلق فطرةً". "مشكل اعراب القرآن ٢ / ٥٦١".

أما الشّر فلا يتقرب به اليه جلّ جلاله، ولا يبتغى به وجهه الكريم، أو أنّ الشّرّ لا يصعد اليه، وانما يصعد اليه الطيب من القول والعمل، لذا حثّ سبحانه وتعالى عباده على استباق الخيرات، والمبادرة الى الطاعات، وقبولها. قال تعالى: "مَنْ كانَ يُريدُ العِزّةَ فلله العِزّةُ جميعا، اليه يصْعَدُ الكَلِمُ الطّيبُ والعملُ الصّالحُ يرفعُهُ والذين يمكُرون السيئات لهم عذابٌ شديدٌ ومكْرُ اولئك هو يبورُ".(فاطر ١٠).

إن إدارة الشّرّ الاميركية، التي طغت وتجبرت، وزين لها الشيطان سوء أفعالها، بعد أن استخفت بما أراده الله لعباده، في محاولة يائسة منها لالقاء الرّعب في قلوب الذين قالوا: ربنا الله ثم استقاموا، قد تناست أنّ التلويح بـ (العصا الغليظة) وسياسة الابتزاز والاستخفاف بمقدرات الشعوب، وكرامتها، وحريتها لن تجد أذنا صاغية بعد أن سئم العالم التهديدات الخرقاء، وتلفيق التهم والافتراءات المضللة بحق العراق، الصابر المجاهد. وأن هذه السياسة إذا كانت قد نجحت في ١٩٩٠ ــ ١٩٩١ بعد أن استغلت مجلس الأمن تحت ستار شعارات واهية، هي أوهن من بيت العنكبوت، وحجج فائلة. فإنها لن تنجح بعد ذلك، بعد أن تكشفت أوراق اللعبة كاملة، وبان الصّبح لكي ذي عينين، وهذا ما يفسر انزعاجها وتهديداتها الرعناء، بالعمل خارج نطاق القانون الدولي، وضدّ رغبة من كانوا يعدون الى وقت قريب من الاتباع والحلفاء.

لقد تناست اميركا إنّ الله موهنُ كيد الكافرين، وأن العراق ليس "غنيمة باردة"، وأن عليها أن تفيد من دروس الأمس، في مراجعة لسياستها الرعناء المعادية للعراق والأمة العربية، ولكل شعوب العالم المتطلعة الى فجر حريتها فسياسة (العصا الغليظة) لن تقود الى السلم والأمن الدوليين اللذين تتباكى عليهما اليوم، وأن الشّرّ الذي تحاول أن تلبسه الآخرين، هو ديدنها، الذي وصمت به، قال الله تعالى: "قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍ من ذلك مَثُوبةً عِنْدَ الله من لعَنَهُ الله وغضب عليه وجعل منهم القِردة والخنازير وعبدَ الطاغوتَ اولئك شرٌّ مكاناً وأضلُّ عن سواء السبيل". (المائدة ٦٠). وقال الأمام علي (عليه السلام): "فاعِلُ الشّرّ شرٌّ منه".

النشاط التدويني في الحديث النبوي الشريف
خلال القرنين الاول والثاني الهجريين
واثره على ظهور التصنيف فيه

• د . عبد الخضر جاسم حمادي
كلية التربية / جامعة بابل

يعد الحديث النبوي الشريف احد الروافد الاساسية في تطوير افكار الامة العربية ، وبعد ان استقر الحال على اهمية التدوين في الحياة الفكرية توجه اهل العلم الى تدوين الحديث النبوي الشريف في كتب خاصة به ، ولم يتحدد الكتاب بعدد من الكلمات ولا بعدد من الاسطر او الصفحات ، فكانت الصحيفة اذا كتب فيها سطر واحد او بضعة اسطر واذا ضمت صفحة واحدة او مجموعة صفحات فهي كتاب في كل الاحوال ، وهكذا صار كل شيء يكتب فيه كتاب بغض النظر عن نوع المادة التي يكتب فيها ، فالرقاع والالواح والجلود والقراطيس والورق وغيرها كلها كتب لان فيها مادة مكتوبة ، وبقي الكتاب لفترات طويلة في لغة العرب يعني كل ((ما كتب فيه .. ما يكتب فيه))[1] ، وسمي كتاباً ((لانه يجمع حرفاً الى حرف))[2] ، ومع ان مفهوم الكتاب على انه ((اسم لما كتب مجموعاً))[3] ، لم يظهر الا في فترة متاخرة ، الا ان هذا المفهوم بقي موازياً ومساوياً في التداول للمفهوم الاول لمعنى الكتاب ، فالقرآن الكريم الذي يجمع الالاف من الكلمات كتاب ورسائل الرسول ﴿ ﷺ ﴾ التي كان بعضها يضم بضع كلمات كتاب ايضاً .

وعندما نكتب عن اهمية الكتاب في حفظ العلم وتداوله لا نكتب من خلال شكله الفني الذي نعرفه اليوم ، انما من خلال كونه مادة كتبوا فيها ما ارادوا من افكار تعبر عن وعي خاص بهم ، حيث بدأت اهمية الكتاب في الوضوح ولانت مواقف من كره الكتابة في المراحل الاولى من بدء التدوين ، حيث انهم كتبوا لانفسهم ولغيرهم فيما بعد فمن طريق الكتابة ((جمع القرآن وحفظت السنن والاثار .. وسيقت التواريخ))[4] وعرض الجاحظ لاهمية الكتاب فقال ((ولولا الكتب المدونة .. والحكم المحفوظة .. لبطل اكثر العلم ولغلب سلطان النسيان سلطان الذكر))[5] ، وعلى هذا صارت ((الكتابة من اشرف العلوم والصنائع .. اذ بها يقيد العلم ويعاد ما اضمحل من الرسوم))[6] ولاهمية الكتابة في حفظ العلم وتداوله قالوا ((كل خط ليس في قرطاس ضاع))[7] .

لقد فهم قادة الفكر في الامة ان الانسان يمكن أن يفقد علمه بالنسيان فقال عبد الله بن مسعود (ت ، ٣٢ هـ) ان ((لكل شيء آفة وآفة العلم النسيان))[٨] ، ودعا علقمة بن قيس النخعي (ت ، ٦١ هـ) الى اعتماد المذاكر الدائمة لاحياء العلم والتغلب على آفة النسيان[٩] ، وكان زائدة بن قدامة الكوفي (ت ، ١٦١ هـ) يخرج الى الناس يدعوهم للكتابة عنه قبل ان ينسى حديثه[١٠] ، وهكذا صار عبد الله بن المبارك ، (ت ، ١٨١ هـ) فيما بعد يقول ((لولا الكتاب ما حفظنا))[١١] ، وعليه يكون التوجه العام الذي صار الى حفظ العلم بالكتاب هو انعكاس لحالة الوعي بضرورة ابقاء العلم للآخرين وعدم التفريط به ، فقال انس ابن مالك (ت ، ٩٢ هـ) ((نحن لا نعدّ من لا يكتب علمه علماً))[١٢] ، وذكر ابو اياس معاوية بن قرة (ت ، ١١٣ هـ) انه ((كان يقال : من لم يكتب علمه لم يعد علمه علماً))[١٣] .

ومن هنا صار ابو العالية الرياحي رفيع بن مهران (ت ، ٩٣ هـ) يقول لجار له ((سلني واكتب حديثي قبل ان تلتمسه عند غيري فلا تجده))[١٤] ، وعطاء بن ابي رياح (ت ، ١١٧ هـ) يقول ((يا غلمان تعالوا اكتبوا فمن كان منكم لا يحسن كتبنا له ومن لم يكن معه قرطاس اعطيناه من عندنا))[١٥] ، ويحيى بن اليمان (ت ، ١٨٨ هـ) يقول لمن يسمع منه الحديث ((فانك ان لم تكتبه .. فقد ضيعت او اخطات))[١٦] ، ثم بدأوا في تصحيح وضبط ما يكتبون ، فكان نافع مولى ابن عمر (ت ، ١١٧ هـ) يصحح لمن يكتب عنه الحديث[١٧] ، والقاسم بن محمد بن ابي بكر (ت ، ١٠١ هـ) يامر ابنه في النظر بما كتبوه عنه حتى اذا بدأ خطا في كتابهم صححه لهم[١٨] .

ان هذا التوجه ادى الى زيادة مدونات الحديث في نهاية القرن الاول الهجري وان التباعد في وجهات نظر العلماء وقع حول طريقة قبول الرواية من تلك الكتاب وليس في رفضها ، لانهم اختلفوا ((في الاحتجاج برواية من لا يحفظ حديثه غير ان معوّله على الكتابة ، فمنهم من لم يصحح ذلك ومنهم من صححه))[١٩] ، فصار تضعيف بعض الاشخاص ليس لشيء الا لانهم لا يحفظون ما هو مكتوب في كتبهم التي يتحدثون فيها ، فهم في نظر اصحاب هذا الاتجاه كتّاب وليسوا حفّاظاً ، ومن هنا تكلموا في خِلاس بن عمرو الهجري (ت ، قبل ١٠٠ هـ)[٢٠] ، ووهب بين منبه (ت ، ١١٤ هـ)[٢١] وعمرو بن شعيب (ت ، ١١٨ هـ)[٢٢] وغيرهم .

ومما لا ريب فيه ان التشدد في عدم قبول الحديث الا ممن كان يحفظ علمه لابعاد الحديث عن جملة المشاكل والمصاعب التي قد تظهر في الكتاب ولا تظهر عند اعتماد الحفظ ، ومن هنا صارت الموازنة بين أهل الكتب ، فمن كان حافظاً فهو اكثر ضبطاً للحديث من الاخر الذي لا يحفظ فعلى الرغم من صحة ما كتبه عقيل بن خالد الإيلي (ت ، ١٤٠ هـ) ومحمد بن عبد الرحمن ابن ابي ذئب (ت ، ١٥٨ هـ) ويونس بن يزيد الإيلي (ت ، ١٥٩ هـ) عن محمد بن مسلم الزهري (ت ، ١٢٤ هـ) فان مالك بن انس (ت ، ١٧٩ هـ) كان ارجح في الحديث عن الزهري من هؤلاء لانه ((صاحب كتاب وصاحب حفظ))[٢٣] ، ولقد قادت هذه المفاضلة الى استمرار كثير من العلماء في حفظ علمهم حتى وان كان مكتوباً عندهم ، فكان سفيان بن عيينة (ت ، ١٩٨ هـ) يقول ((ما كتبت شيئاً قط الا شيئاً حفظته قبل ان اكتبه))[٢٤] ، واذا طلبوا منه كتاباً يقول لهم ((انا احفظ من كتبي))[٢٥] .

يبدو ان الاتجاه الداعي الى اعتماد الحفظ في نقل العلم انما يمثل استمراراً للمنهج الفكري السابق الذي عاشته الامة في اعتماد الذاكرة والحفظ في نقل العلم وتداوله ويعيب من يعتمد الكتاب في تحصيله ، والظاهر ان هذا الاتجاه ومنذ ظهور الاسلام لم يستطع ان يثبت امام جملة المتغيرات العقائدية والاجتماعية والاقتصادية التي افرزت سلوكاً فكرياً جديداً يقوم على ضرورة اعتماد الكتابة كوسيلة في البناء الفكري للأمة ، اذ كانت الحياة قبل الاسلام اقل ابداعاً وتفجراً وتنوعها محدوداً والحاجات فيها قليلة ، ولما ظهر الاسلام طوّر وثوّر الاشياء جميعاً حتى اصبح التنوع والتطور في المجتمع الجديد عبئاً على الذاكرة التي لم يعد بمقدورها ان تحوى كل هذه المتغيرات ، ومع ذلك فان نهج هؤلاء الحفاظ استمر داخل الاتجاه التدويني في حفظ العلم ونقله لفترات طويلة حتى عندما ظهرت الكتب المصنفة والتدوين الواسع لفروع العلم ، فكان سفيان بن سعيد الثوري (ت ، ١٦١ هـ) يحفظ من كتابه ثم يحدث به الناس[٢٦] ، وشعبة بن الحجاج (ت ، ١٦٠ هـ) ((لا يحدّث من حديثه الا بما يحفظ وان كان مكتوباً في كتابه))[٢٧] ، ولهذا كان يقول ((اذا رأيتموني أثبج الحديث فاعلموا اني تحفظته من كتاب))[٢٨] .

ومع ذلك فان الحركة الفكرية قد استقرت على اعتماد الكتاب سواء أكان الشخص حافظاً لما هو فيه ام غير حافظ له ، وصار

العلماء يحدثون من كتب الاخرين ومن كتبهم دون أن يحفظوها كعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج (ت ، ١٥٠ هـ)[29] وجرير ابن حازم (ت ، ١٧٠ هـ)[30] ، وغيرهم . ولم يتوقف الامر عند هذا الحد وانما صارت الرواية التي ترد من الكتاب اكثر اتقاناً من تلك التي تاتي من الحفظ ، لما اصاب الحفظ من خلل وفساد ، فكانت رواية معاوية بن يحيى الدمشقي (ت ، ١٥٠ هـ) عن الزهري مستقيمة لانها من كتاب[31] ، ورواية ابي عوانة الوضاح بن عبد الله (ت ، ١٧٦ هـ) عن قتادة بن دعامة السدوسي (ت ، ١١٧ هـ) ضعيفة بعد ان ضاع كتابه[32] .

ثم صار الميل بعد ذلك الى الكتاب اذا ما حصلت الموازنة بينه وبين الحفظ ، ولذلك قال يحيى بن سعيد القطان (ت ، ١٩٨ هـ) ((ابو عوانة في كتابه احب اليّ من شعبة من حفظه))[33] ، ورواية اسماعيل بن عيّاش الحمصي (ت ، ١٨١ هـ) عن الشاميين صحيحة لانها من كتاب عنده بينما خلط في روايته عن الحجازيين عندما حدث من حفظه بعد ان ضاع كتابه[34] ، وتظهر اهمية الكتاب اذا ما جرت الموازنة بين حفاظ الحديث فمن له كتاب يكون أفضل من الاخر الذي ليس له كتاب ، ورواية الاول ترجح على رواية الثاني ، واذا روى احدهم الحديث حفظاً وله ((كتاب يرجع اليه والراوي الاخر حافظاً غير انه لا يرجع الى كتاب فحديث الاول أولى ان يكون محفوظاً لان الخاطر قد يخون احياناً))[35] ، ولذلك قال احمد بن حنبل (ت ، ٢٤١ هـ) ((حدثنا قوم من حفظهم وقوم من كتبهم فكان الذين حدثونا من كتبهم اتقن))[36] ومن هذا الاتجاه يمكن ان نفهم قول هشيم بن بشير (ت ، ١٨٣ هـ) ((من لم يحفظ الحديث فليس هو من اصحاب الحديث ، يجيء احدهم بكتاب كانه سجل مكاتب))[37] ، بانه لا يعيب الكتاب وأنما يعيب حامله الذي لا يحفظ ما فيه ، لان في حفظه درجة متقدمة من العلم ، وهكذا صاروا يقولون ((ثلاثة ليس لصاحب الحديث عنها غناء الحفظ والصدق وصحة الكتب))[38] ، ودللت ظاهرة الندم على فقدان الكتاب قوة تاثيره في افكار الناس واهميته عندهم ، فأبراهيم بن يزيد النخعي (ت ، ٩٥ هـ) مع ما عرف عنه من كراهيته للكتابة قال ((لان اكون كتبت احب اليّ من كذا وكذا))[39] ، ومنصور بن المعتمر (ت ، ١٣٢ هـ) قال ((ولوددت أني كتبت وما حفظت نصف ما سمعت))[40] ، وندم يحيى بن سعيد الانصاري (ت ، ١٤٤ هـ) لانه لم يكتب جميع ما سمعه فقال ((لئن اكون كتبت ما كنت اسمع احب اليّ من ان يكون لي مثل مالي))[41] ، فاتضحت اهمية تدوين المعلومات وايداعها في بطون الكتب واعتماد التدوين كصيغة متقدمة عما كانوا عليه من المشافهة والحفظ .

لقد عوّل العلماء في اخذ الحديث على من كان له كتاب صحيح لانه ياتي بروايته اكثر ضبطاً وتقييداً ممن ليس له كتاب ، فقال أبو هريرة (ت ، ٥٨ هـ) ((ما من اصحاب النبي ﴿ ﷺ ﴾ احد اكثر حديثاً مني الا ما كان من عبد الله بن عمرو فانه كان يكتب ولا اكتب))[42] ، واعترف ابو سفيان طلحة بن نافع الواسطي بفضل الكتاب واهميته في كثرة الحديث عندما قيل له بانه لا يحدث عن جابر بن عبد الله (ت ، ٧٨ هـ) كما يحدث سليمان بن قيس اليشكري (ت ، قبل ٨٠ هـ) فاجاب ((ان سليمان كان يكتب واني لم اكن اكتب))[43] ، وعلل ابراهيم بن يزيد النخعي (ت ٩٥ هـ) قلة حديثه وكثرة حديث سالم بن ابي الجَعْد (ت ، قبل ١٠٠ هـ) ((بان سالماً كان يكتب))[44] وهو لا يكتب[45] .

وصار الحديث الذي يرد من الكتاب اتم من الحديث الذي يرد من الحفظ ، فكان شيبان بن عبد الرحمن النحوي (ت ، ١٦٤ هـ) افضل من عبد الرحمن الاوزاعي (ت ، ١٥٧ هـ) في يحيى بن ابي كثير (ت ، ١٢٩ هـ) لان شيبان ((صاحب كتاب صحيح))[46] ، واسرائيل بن يونس بن ابي اسحاق السبيعي (ت ، ١٦٠ هـ) ياتي بحديث ابي اسحاق السبيعي عمرو بن عبد الله (ت ، ١٢٩ هـ) أتم مما ياتي به سفيان بن سعيد الثوري (ت ، ١٦١ هـ) لانه من كتاب ، ولذلك اعتمد عليه عبد الرحمن بن مهدي (ت ، ١٩٨ هـ) في الاخذ[47] ، وتتبع احمد بن حنبل (ت ، ٢٤١ هـ) حديث قطبة بن عبد العزيز بن سياه الكوفي وسليمان بن قَرْم النحوي ويزيد بن عبد العزيز بن سياه الكوفي وقال ((هؤلاء قوم ثقات وهم اتم حديثاً من سفيان وشعبة وهم اصحاب كتب))[48] ، وعلى هذا صارت الكتابة من اصل مدوّن صحيح ترجّح على الكتابة التي ترد من الحفظ الشفهي ، ولذلك قالوا الذين كتبوا عن عبد الله بن لهيعة (ت ، ١٧٤ هـ) ((قبل احتراق كتبه اصح حديثاً من الذين كتبوا بعد احتراقها))[49] ، وقالوا عن احاديث هقل بن زياد (ت ، ١٧٩ هـ) بانها احاديث مستقيمة لانها من كتاب معاوية ابن يحيى الدمشقي (ت ، ١٥٠ هـ) ، بينما احاديث عيسى بن يونس (ت ، ١٩١ هـ) ، واسحاق بن سليمان (ت ، ٢٠٠ هـ) فيها مناكير لانها جاءت من حفظ معاوية وليس من كتابه[50] ، وكذا الرواية التي تعتمد على الكتاب تكون اتم واكثر ضبطاً من الرواية التي تعتمد على الحفظ ، واصبح الناس يفضلون الرواية

من الكتاب على الرواية الشفهية لما اصاب الحفظ من الخلل والارتباك وما حصل من تنوع كبير في ظواهر الحياة وما دخل على الحديث من علاقات الوضع ، فصار الميل الى ما هو مدون وثابت في كتاب اكثر اطمئناناً عند اخذ الحديث ، وعلى هذا قال ((كل شيء تحدث به ابو عوانة من كتاب فهو محفوظ وما لم يجيء من كتاب فليس بمحفوظ))[٥١] ، واحاديث أيوب بن عتبة (ت ، ١٦٠ هـ) مستقيمة في اليمامة لانه يرويها من كتابه ثم صارت دون ذلك عندما ترك كتبه في اليمامة وتحدث من حفظه في البصرة[٥٢] ، ويبدو ان هذا الميل كان مبرراً لان الكثير من اهل الحديث قد اخطأ عندما تحدثوا من حفظهم دون كتابهم ومنهم سعد بن سعيد بن قيس الانصاري (ت ، ١٤١ هـ)[٥٣] ، وجعفر ابن بُرقان (ت ، ١٥٤ هـ)[٥٤] ، ويحيى بن ايوب المصري (ت ، ١٦٨ هـ)[٥٥] ، محمد بن مسلم الطائفي (ت ، ١٧٧ هـ)[٥٦] ، وشريك بن عبد الله النخعي (ت ، ١٧٧ هـ)[٥٧] ، وغيرهم ، وان ما حصل عند همام بن يحيى بن دينار العوذي (ت ، ١٦٢ هـ) يبين اهمية الاعتماد على الكتاب دون الذاكرة في رواية الحديث ، فانه ((لا يكاد يرجع الى كتابه ـ يكره ذلك ـ ثم رجع بعد فنظر في كتبه فقال ـ كنا نخطيء كثيراً فنستغفر الله))[٥٨] ، بينما كان سفيان بن سعيد الثوري (ت ، ١٦١ هـ) ((أقل خطأ لانه يرجع الى كتاب))[٥٩] ، ويحفظ منه ثم يحدّث به الناس[٦٠] .

لقد اعتمد كثير من اهل الحديث على كتبهم لاعادة الذاكرة والتأكد من صحة حديثه ، كأبي الشعثاء جابر بن يزيد (ت ، ٩٣ هـ) الذي نسي حديثاً له حتى وجده مكتوباً عنده بخطه[٦١] ، وكذا الحال نفسه مع رجاء بن حيوة (ت ، ١١٢ هـ)[٦٢] ، وكان ابو عوانة الوضاح بن عبد الله (ت ، ١٧٦ هـ) اذا شك في حديث نظر في كتاب سعيد بن ابي عروبة[٦٣] . ومع ان شعبة بن الحجاج (ت ، ١٦٠ هـ) كان ((لا يحدث الا بما يحفظ وان كان مكتوباً في كتابه))[٦٤] ، الا انه ينظر دائماً في كتاب ابي عوانة الوضاح بن عبد الله ليعود اليه حفظه[٦٥] ، ولذلك اعتمد العلماء على ما وُرِد اليهم من الحديث المدوّن وادخلوه فيما صنف من كتب بعد ذلك .

ثم تحول الكتاب الى وسيلة اساسية للوقوف امام عمليات الوضع في الحديث ، لنجاحه في حفظ وتثبيت ما هو مدوّن فيه ، وبدت هذه المسالة واضحة من خلال عملية تدوين الحديث وتدرجها مع تقادم الزمن في حجم ما هو مدوّن ونسبة الوضع فيه . ولا شك ان الوضع في الحديث كان من جملة الدوافع الرئيسة التي اظهرت التدوين فيه ، اذا قال عبد الله بن سلمة بن اسلم الكوفي التابعي ((ما كنا نتهم احداً يكذب على رسول الله ﴿ ﷺ ﴾ متعمداً حتى جاءنا قوم من اهل المشرق))[٦٦] ، وقال محمد بن مسلم الزهري (ت ، ١٢٤ هـ) ((لولا احاديث تاتينا من قبل المشرق ننكرها لا نعرفها ما كتبت حرفاً ولا أذنت في كتابه))[٦٧] ، ولذلك رجعوا الى ما هو مدوّن في اكثر من مناسبة وخلال فترة زمنية ليست بالقصيرة لتصحيح رواياتهم على ما كان مكتوباً ، فالتدوين هو المرجع الامين الذي قوّم لاهل الحديث رواياتهم من حيث السند والمتن اثناء فترة الانتقال النهائي من الذاكرة الى الكتاب ، واصبح حسم الاختلاف في صحة الروايات يعتمد على ما وجدوه عندهم في كتاب ، فعندما اختلف وكيع بن الجراح (ت ، ١٩٦ هـ) وعبد الرحمن بن مهدي (ت ، ١٩٨ هـ) ويحيى بن سعيد القطان (ت ، ١٩٨ هـ) في سند احد الاحاديث نظر يحيى ووكيع في كتبهما فصححوا روايتهم على ما وجدوه في كتبهم وكما ذكره عبد الرحمن[٦٨] ، وعندما انكر عبد الرحمن بن مهدي (ت ، ١٩٨ هـ) ويحيى بن سعيد القطان (ت ، ١٩٨ هـ) حديثاً قاله حجاج بن محمد الترمذي (ت ، ٢٠٥ هـ) عن عبد الملك بن جريج ، رجع حجاج الى كتابه فاحتج به عليه[٦٩] .

واذا وقع الشك في صحة الحديث عاد اهل الحديث الى كتبهم ، فكان سليمان بن بلال التيمي (ت ، ١٧٧ هـ) اذا شك في حديثه عاد الى كتابه ونظر فيه ليتاكد منه فقال مرة ((فوقع في قلبي منه شك قلت : حدثت به كذا وكذا .. فنظرت فوجدته عندي مكتوباً))[٧٠] ، وبقي عبد الرحمن بن مهدي (ت ، ١٩٨ هـ) زماناً وهو يحمل الخطأ عن سفيان بن سعيد الثوري (ت ، ١٦١ هـ) الى ان نظر في كتاب غندر محمد بن جعفر (ت ، ١٩٣ هـ) عن شعبة فصحح خطاه[٧١] ، وعلى هذا قال عبد الرحمن بن مهدي (ت ، ١٩٨ هـ) ((كنا نستفيد من كتب غندر في حياة شعبة))[٧٢] ، ولما حدّث همام بن يحيى (ت ، ١٦١ هـ) يوماً حديثاً قال له عفان بن مسلم (ت ، ٢٢٠ هـ) ان يزيد بن زريع (ت ، ١٨٢ هـ) حدثنا عن سعيد بن ابي عروبة (ت ، ١٥٦ هـ) عن قتادة بن دعامة السدوسي (ت ، ١١٧ هـ) بغير ما ذكرت ، فذهب همام ليتاكد من صحة ذلك ((فنظر في الكتاب ثم جاء فقال : يا عفان الا تراني أخطيء وانا لا أعلم))[٧٣] . وكان عبد الله بن عون (ت ، ١٥١ هـ) يحتج على الآخرين بما يلقاه مكتوباً عنده في كتاب نافع[٧٤] ، وعلى هذا يصح القول بأن الكتاب صار ((شاهداً عند التنازع))[٧٥] ، في

صحة الحديث والعودة اليه اساس الحسم ، ومن هنا جاء قول يزيد بن هارون (ت ، ٢٠٦ هـ) بانه قد ادرك اهل البصرة اذا ((اختلفوا في حديث نطقوا بكتاب عبد الوارث))[٧٦] ، وقول عبد الله بن المبارك (ت ، ١٨١ هـ) ((اذا اختلف الناس في حديث شعبة فكتاب غندر حكم بينهم))[٧٧] .

فاشتهر الكتاب بين اهل الحديث وذاع صيته والتحريف فيه أمر يصعب الاقدام عليه ، فكتب الليث بن سعد (ت ، ١٧٥ هـ) مثلًا اصبح ايصال احاديثها والادعاء بعد ذلك بانها من كتبه أمراً صعباً لسهولة اكتشاف بطلانها من قبل الناس[٧٨] ، وعليه أقبل العلماء على نشر كتبهم والاندفاع الى التدوين بما في ذلك الصحف او الكتب التي يقال بانها موضوعة ، حتى لا يلجأ اليها الناقلون فيما بعد فيغيّروا بعض ما فيها لتكون صحيحة ، ومن ثم نشرها على هذا الاساس[٧٩] ، ولذلك كتب شعبة بن الحجاج (ت ، ١٦٠ هـ) وآخرون عن جابر بن يزيد الجعفي (ت ، ١٢٨ هـ) ليس لانه ثقة عندهم وأنما ليعرفوا حديثه[٨٠] ، فاذا جاءهم احد بشيء من حديثه عرفوه .

ثم استخدم الكتاب كوسيلة يُعرف بها المام العالم بحديثه وضبطه له ، فكانت الاحاديث تكتب مختلطة في كتاب وتقدم الى عالم الحديث ، فاذا حدد مصادرها وقائليها فُهم من ذلك انه متقن لعلمه ضابط له ، واذا حصل العكس صار ضعيفاً فيترك حديثه ، وهذا ما أختبر به ابان بن ابي عياش (ت ، ١٣٨ هـ)[٨١] ، وعندما ادعى مطرف بن مازن انه كتب عن عبد الملك بن جريج (ت ، ١٥٠ هـ) عارضوا حديثه مع حديث هشام بن يوسف (ت ، ١٩٧ هـ) الذي كتبه عن ابن جريج فتبيّن ان حديثه هذا لم يأخذه عن ابن جريج وانما كتبه عن هشام بن يوسف عن ابن جريج[٨٢] ، فابطلت دعواه ، وحملت دعوة هشام بن عبد الملك (ت ، ١٢٦ هـ) الى محمد بن مسلم الزهري (ت ، ١٢٤ هـ) ان يملي على ولده الحديث دليلًا على تصحيح الرواية الشفهية واختبارها على ضوء ما هو مكتوب في الكتاب ، وعندما فعل الزهري ذلك قال له هشام بعد حين ((ان ذلك الكتاب الذي أمليت علينا قد ضاع .. فدعا بكاتب فحدّثه .. ثم قابل هشام بالكتاب الاول فاذا هو لا يغادر حرفاً واحداً))[٨٣] ، وأشرت بوضوح اهمية الكتاب في حفظ الحديث ونقله ووضع الروايات الشفهية دائماً على ابواب الكتاب لاختبار صحتها .

لقد قدمت كتابات الحديث اثناء القرن الاول الهجري مادة تدوينية واسعة عاد اليها علماء الحديث فيما بعد عندما حصل التصنيف وادخلوها في تصانيفهم واعتمدوا عليها في تقويم الروايات الشفهية واختبارها ايضاً ووضعت لهم تلك الكتابات الاسس السليمة لما يمكن ان يكون عليه تحمل الحديث واداؤه بما يخدم التطور الفكري للأمة ، ثم شاع تداول الحديث على اساس رواته في القرن الاول الهجري فكانوا يقولون بان هذا الحديث هو حديث فلان وهذا ليس من حديثه وهذا الراوي من اصحاب فلان وهذا من غير اصحابه ، مما يعني ان تحمل الحديث واداؤه كان يعتمد على اساس الشيوخ ورواتهم ، ومن هنا بدأت المراحل الاولى في تدوين الحديث ايام التابعين وتابعيهم ومنهم عبد الله بن ذكوان (ت ، ١٣٠ هـ) اذ وضع احاديث عبد الرحمن بن هرمز الاعرج (ت ، ١١٧ هـ) في كتاب خاص بها ووضع الفواصل بين احاديثه خشية الاختلاط من حيث الاسناد والمتن[٨٤] ، وكانت احاديث محمد بن سوقة (ت ، ١٢٥ هـ) في كتاب عند سفيان الثوري (ت ، ١٦١ هـ)[٨٥] .

ولغرض الاقتصار في الجهد عند التدوين ولجمع اكبر عدد من الاحاديث في كتاب واحد ظهرت طريقة كتابة طرف الحديث مع بداية النصف الثاني من القرن الاول الهجري[٨٦] ، اذ قال محمد ابن سيرين (ت ، ١١٠ هـ) ((كنت القى عبيدة باطراف فاساله))[٨٧] ، وكان حماد بن ابي سليمان (ت ، ١١٩ هـ) يدخل على ابراهيم بن يزيد النخعي (ت ، ٩٥ هـ) ((يساله ومعه اطراف))[٨٨] من الحديث . ويبدو ان هذه الطريقة في التدوين تقوم على اساس ان طالب الحديث يكتب اسماء الشيوخ في بداية الكتاب ثم يتبعها برؤوس الاحاديث او اطرافها التي رويت عنهم ، ولذلك قال ابن ابي حاتم ان الطرف يعني رأس الحديث[٨٩] ، وان طريقة الاطراف تقوم على اساس كتابة ((طرف الحديث الدال على بقيته ويجمع اسانيده))[٩٠] بعد ذلك . وعلى هذا كان سفيان بن عبيدة (ت ، ١٩٨ هـ) يقول ((كنت الزم ايوب بالليل .. وكنت اقيّد .. رؤوس الاحاديث واذهب معه فاسال له عن تلك الاطراف وكان ــ ايوب ــ يسالني كم روى عمرو بن دينار عن فلان وكم روى عن فلان فاقصها عليه ثم اكتب له من كل شيخ شيئاً وأسال له عمراً عنها))[٩١] ، ولقد رجّح قول سفيان بن عيينة (ت ، ١٩٨ هـ) هذا مسالتان : الاولى ان بدايات سفيان العلمية في تدوين الحديث قد اعتمدت على منهج الاطراف ، والثانية ، ان منهج الاطراف في التدوين اصبح ظاهراً والعمل به مستقراً عند العلماء[٩٢] ، فكتب هشام بن حسان (ت ، ١٤٨ هـ) وخالد بن جميل العبد الاطراف عن الحسن البصري (ت ، ١١٠ هـ)[٩٣] ، وكانت عند يحيى بن سعيد القطان (ت ، ١٩٨ هـ) اطراف بحر بن مرار البصري يرويها عن جده

عبد الرحمن بن ابي بكرة الثقفي (ت ، ٩٦ هـ)[٩٤] .

ومن لا شك فيه ان التصنيف في الحديث ما كان له ان يظهر لولا توفر الكتابات الكثيرة في الزمن السابق له[٩٥] ، فكانت لعبد الله بن عباس (ت ، ٦٨ هـ) كتب ذهبت بعد موته الى موسى بن عقبة (ت ، ١٤١ هـ)[٩٦] ، وكتب مجاهد بن جبر (ت ، ١٠٢ هـ) محفوظة في غرف خاصة يصعد اليها من يريد ان ينسخ منها[٩٧] ، ولابي قلابة عبد الله بن يزيد (ت ، ١٠٢ هـ) احمال من الكتب[٩٨] ، وخرجت قوافل الجمال من بيت محمد بن مسلم الزهري (ت ، ١٢٤ هـ) وهي تحمل كتبه[٩٩] .

وعليه يكون التصنيف مرحلة فنية متقدمة في الهيكل التدويني للحديث ، فبعد ان كانت النسخ والصحف والكراريس والاجزاء تكتب وتجمع على غير ترتيب ، صار التوجه الى تنظيمها واخراجها بالشكل الذي ييسر لطالب العلم الحصول على الحديث والاستدلال عليه .

واذا كان التصنيف مرحلة متقدمة في تدوين الحديث ، فان التبويب الذي حصل في الاحاديث وتوزيعها يمثل وجهاً آخر من اوجه التطور في الهيكل التدويني للحديث ، ومع ان هذا التبويب الذي يعني ((جمع ما ورد في كل حكم وكل نوع في باب))[١٠٠] ، كان موجوداً عند عامر بن شراحبيل الشعبي (ت ، ١٠٤ هـ) قبل ظهور التصنيف بشكله الواسع[١٠١] ، الا ان هذه الطريقة في تنظيم الابواب لم تاخذ طابع الاستقرار والوضوح الا على يد سعيد ابن ابي عروبة (ت، ١٥٥ هـ) فكان ((اول من صنف الابواب))[١٠٢] اما عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج (ت ، ١٥٠ هـ) فقد اعتمد في تصنيفه على الشيوخ ، حين جمع حديث كل عالم على حده ، اذ جاء عند ابن ابي حاتم وصفاً لكتب ابن جريج بانها ((مدوّنة فيها احاديثه ، من حدّث عنهم : ثم لقيت فلاناً ثم لقيت فلاناً))[١٠٣] . ولما جاء ابو بكر بن ابي شيبة (ت ، ٢٣٥ هـ) فيما بعد فانه اعتمد على الطريقتين معاً في التصنيف وهما الشيوخ والابواب[١٠٤] ، وصنفوا ايضاً في غريب الحديث وهو ((عبارة عما وقع في متون الاحاديث من الالفاظ الغامضة البعيدة عن الفهم لقلة استعمالها))[١٠٥] ، ومنهم النصر ابن شميل النحوي (ت ، ٢٠٣ هـ) وابو عبيد القاسم بن سلام (ت ، ٢٢٤ هـ)[١٠٦] .

وبعد ان استقرت الدلائل على ظهور التصنيف بشكله الواسع في النصف الاول من القرن الثاني الهجري ، ظهر الاختلاف على تحديد الشخص الذي بدأ فيه اولًا والمنطقة التي ظهر فيها قبل غيرها ، وساق كل طرف عدداً من الاسماء او أقتصر على اسم واحد دون ان يعلل الرأى الذي اعتمده في اعطاء الاسبقية لهذا الاسم او ذاك ، وعليه فان الاسبقية فيما بين المصنفين تعتمد على سني اعمارهم ، لان اغلبهم عاش في زمن واحد وان وجد فرق بينهم في الزمن فهو فرق لا يمكن ان يوجد مسافة بعيدة في التحصيل العلمي ، وعلى هذا يبقى الرأي الراجح ما قاله ابن حجر ((هؤلاء في عصر واحد فلا تدري ايهم اسبق))[١٠٧] ، ومن هؤلاء السابقين بالتصنيف في مكة عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج (٨٠ – ١٥٠ هـ) وسفيان بن عيينة (١٠٧ – ١٩٨ هـ) . وفي المدينة محمد بن اسحاق (٨٠ – ١٥١ هـ) ومحمد بن عبد الرحمن بن ابي ذئب (٨٠ – ١٥٨ هـ) وعبد العزيز بن عبد الله الماجشون (١٠٠ – ١٦٨ هـ) ومالك بن انس (٩٣ – ١٧٩ هـ) . وفي البصرة هشام بن حسان (٩٠ – ١٤٨ هـ) وسعيد بن ابي عروبة (٨٠ – ١٥٥ هـ) وشعبة ابن الحجاج (٨٢ – ١٦٠ هـ) والربيع بن صبيح (٩٠ – ١٦٠ هـ) وحماد بن سلمة بن دينار (٨٧ – ١٦٧ هـ) وحماد بن يزيد بن درهم (٩٨ – ١٧٩ هـ) وعبد الرحمن بن مهدي (١٣٥ – ١٩٨ هـ) . وفي الكوفة سفيان بن سعيد الثوري ، (٩٧ – ١٦١ هـ) ويحيى بن زكريا بن ابي زائدة (١٢٠ – ١٨٣ هـ) ووكيع بن الجراح (١٢٨ – ١٩٦ هـ) . وفي واسط ابو عوانة الوضاح بن عبد الله (٩٢ – ١٧٦ هـ) وهشيم بن بشير (١٠٥ – ١٨٣ هـ) . وفي اليمن معمر بن راشد (٩٦ – ١٥٣ هـ) . وفي الشام عبد الرحمن بن عمرو الاوزاعي (٨٨ – ١٥٨ هـ) والوليد بن مسلم (١١٩ – ١٩٤ هـ) . وفي خراسان عبد الله بن المبارك (١١٨ – ١٨١ هـ) وجرير بن عبد الحميد (١٠٧ – ١٨٨ هـ)[١٠٨] .

واذا ما اريد تحديد السقف الزمني لظهور التصنيف ، فمن الراجح ان يكون ذلك قبل سنة (١٢٩ هـ) بعدة سنوات ، لان معظم المصادر التي قالت ان ابن جريج كان اول من صنف الكتب قد اعتمدت على رواية عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ، ٢١١ هـ) التي يمكن ان تكون مقبولة في تثبيت هذا الترجيح اذ قال عبد الرزاق ان ((اول من صنف الكتب ابن جريج وصنف الاوزاعي حين قدم على يحيى بن ابي كثير كتبه))[١٠٩] ، فاذا كان عبد الرحمن الاوزاعي (ت ، ١٥٧ هـ) قد صنف كتبه حين قدومه الى يحيى بن ابي كثير المتوفى سنة (١٢٩ هـ) ، فيكون الاوزاعي قد صنف قبل السنة التي مات فيها ابن ابي كثير ، وان ابن جريج قد صنف قبل هذا التاريخ بزمن طويل حتى قالوا عنه بانه اول المصنفين .

• هوامش البحث • ومصادره

١ ـ ابن منظور ، محمد بن مكرم (ت ، ٧١١ هـ) : لسان العرب ، القاهرة ، مطابع كوستاتوماس وشركاه ، الدار المصرية للتاليف والترجمة ، ٢ / ١٩٢ .

٢ ـ نفسه ، ٢ / ١٩٣ ـ ١٩٥ .

٣ ـ نفسه ، ٢ / ١٩٢ .

٤ ـ الصولي ، محمد بن يحيى بن عبد الله (ت ، ٣٣٥ هـ) : ادب الكتاب ، تحقيق محمد بهجة الاثري ، (مصر ، ١٣٤١ هـ ، المطبعة السلفية) ، ٢٤ .

٥ ـ الجاحظ ، عمرو بن بحر (ت ، ٢٥٥ هـ) : الحيوان ، تحقيق فوزي عطوي (دمشق ، ١٩٦٨ م ، الطبعة الاولى ، مكتبة محمد حسين النوري في بيروت ومكتبة الطلاب وشركة الكتاب اللبناني) ، ١ / ٣٩ .

٦ ـ الطيبي ، محمد بن حسن بن محمد (ت ، بعد ٩٢٢ هـ) : جامع محاسن كتابة الكتاب ، تحقيق د . صلاح الدين المنجد ، (بيروت ، ١٩٦٢ م ، دار الكتاب الجديد) ، ١٣ .

٧ ـ الكافيجي ، محمد بن سليمان (ت ، ٨٧٩ هـ) : المختصر في علم التاريخ ، (ملحق مع كتاب علم التاريخ عند المسلمين لروز شال) ، ٣٣٦ .

٨ ـ البخاري ، محمد بن اسماعيل بن ابراهيم (ت ، ٢٥٦ هـ) : التاريخ الكبير ، (الهند ، ١٣٦ هـ ـ ١٣٧٨ هـ ، الطبعة الاولى ، مطبعة جمعية المعارف العثمانية) ، ٢ ـ ٢ / ٣٥٤ .

٩ ـ الرامهرمزي ، الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد ، (ت ، ٣٦٠ هـ) : المحدث الفاصل بين الراوي والواعي ، تحقيق محمد عجاج الخطيب ، (بيروت ، ١٩٧١ م ، الطبعة الاولى ، دار الفكر) ، ٥٤٦ .

١٠ ـ ابن عبد البر ، يوسف بن عبد الله القرطبي (ت ، ٤٦٣ هـ) : جامع بيان العلم وفضله ، تصحيح ادارة الطباعة المنيرية ، (بيروت ، ١٩٧٨ . دار الكتب العلمية) ، ١ / ١١٧ .

١١ ـ الرامهرمزي : المحدث الفاصل ، ٢٧٧ .

١٢ ـ الخطيب البغدادي ، احمد بن علي بن ثابت (ت ، ٤٦٣ هـ) : تقييد العلم ، تحقيق يوسف العش ، (الطبعة الثانية ، ١٩٧٤ م ، نشرته دار احياء السنة النبوية) ، ٩٦ .

١٣ ـ الدارمي ، عبد الله بن عبد الرحمن (ت ، ٢٥٥ هـ) : سنن الدارمي ، طبع بعناية دهمان احمد محمد ، (دمشق ، ١٣٤٩ هـ) ، مطبعة الاعتدال الحديثة) ، ١ / ١٢٦ .

١٤ ـ الرامهرمزي : المحدث الفاصل ، ٣٦٠ .

١٥ ـ نفسه ، ٣٧٣ .

١٦ ـ نفسه ، ٣٧٣ .

١٧ ـ ابن عدي ، ابو احمد عبد الله (ت ، ٣٦٥ هـ) : مقدمة الكامل في ضعفاء الرجال ، تحقيق صبحي السامرائي ، (بغداد ، ١٩٧٧ م ، مطبعة سلمان الاعظمي) ، ١ / ٢٣٥ .

١٨ ـ الرامهرمزي : المحدث الفاصل ، ٥٣٩ .

١٩ ـ الخطيب البغدادي ، احمد بن علي بن ثابت (ت ، ٤٦٣ هـ) : الكفاية في علم الرواية ، تقديم محمد الحافظ التيجاني ، (مصر ، الطبعة الاولى ، مطبعة السعادة) ، ٣٣٧ .

٢٠ ـ ابن حجر ، احمد بن علي العسقلاني (ت ، ٨٥٢ هـ) : تهذيب التهذيب ، (الهند ، ١٣٢٥ هـ ـ ١٣٢٧ هـ) ، الطبعة الاولى ، دار صادر في بيروت) ، ٣ / ١٧٧ .

٢١ ـ الذهبي ، محمد بن احمد بن عثمان (ت ، ٧٤٨ هـ) : ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، تحقيق علي محمد البجاوي ، (مصر ، ١٩٦٣ م ، الطبعة الاولى ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، دار احياء الكتب العربية) ، ٣ / ٢٦٥ .

٢٢ ـ الترمذي ، محمد بن عيسى بن سورة (ت ، ٢٧٩ هـ) : سنن الترمذي ، (حمص ، ١٩٦٥ م ـ ١٩٦٩ م ، الطبعة الاولى ، المطبعة الوطنية) ، ٦/٢/٢ ، الذهبي : ميزان الاعتدال ، ٢٦٥/٣ .

٢٣ ـ ابن ابي حاتم ، ابو محمد عبد الرحمن الرازي (ت ، ٣٢٧ هـ) : علل الحديث ، تحقيق محيي الدين الخطيب ، (القاهرة ، ١٣٤٣ هـ) . ١ / ٣٢ .

٢٤ ـ الخطيب البغدادي ، احمد بن علي بن ثابت (ت ، ٤٦٣ هـ) : تاريخ بغداد ، (بيروت ، دار الكتاب العربي) ، ٩ / ١٧٩ .

٢٥ ـ ابن حجر : تهذيب ، ٤ / ١٢١ .

٢٦ ـ الفسوي ، يعقوب بن سفيان (ت ، ٢٧٧ هـ) : المعرفة والتاريخ ، تحقيق د . اكرم ضياء العمري ، (بغداد ، ١٩٧٤ م ، مطبعة الارشاد) ، ١ / ٦٨٢ ، الخطيب البغدادي : الكفاية ، ٢٥٥ .

٢٧ ـ ابن عدي : الكامل ، ١ / ١٣٢ .

٢٨ ـ ابن عبد البر : جامع بيان العلم ، ٧٥/١ ، والثج في اللغة يعني السيلان والصب الكثير كما ورد عن ابن منظور : لسان العرب ، ٤٣/٣ .

٢٩ ـ ابن رجب ، عبد الرحمن بن احمد البغدادي (ت ، ٧٩٥ هـ) :

شرح علل الترمذي ، تحقيق صبحي جاسم البدري ، (بغداد ، مطبعة العاني) ، ٢٥٠ .

٣٠ ــ ابن عدي : الكامل ، ١/١٧٦ .

٣١ ــ الذهبي : ميزان الاعتدال ، ط/١٣٨ .

٣٢ ــ نفسه ، ١/٢٣٧ .

٣٣ ــ الذهبي ، محمد بن احمد بن عثمان (ت ، ٧٤٨ هـ) : تذكرة الحفاظ ، تصحيح عبد الرحمن بن يحيى المعلمي ، (بيروت ، دار احياء التراث العربي) ، ١/٢٣٧ .

٣٤ ــ الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ٦/٢٢٦ .

٣٥ ــ الحازمي ، محمد بن موسى الهمداني (ت ، ٥٨٤ هـ) : الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الاثار ، بيروت ، ١٩٨٠ ، دار احياء التراث العربي) ، ١١ .

٣٦ ــ ابن رجب : شرح علل الترمذي ، ٧٤ .

٣٧ ــ الخطيب البغدادي : الكفاية ، ٢٣٨ .

٣٨ ــ ابن عدي : الكامل ، ١/٢٥٠ .

٣٩ ــ ابن سعد ، محمد (ت ، ٢٣٠ هـ) : الطبقات الكبير ، تصحيح ادوارد سخو ، ليدن ، ١٣٢١ هـ ــ ١٣٣٨ هـ ، مطبعة بريل ، منشورات مؤسسة النصر في طهران) ، ٦/١٨٩ .

٤٠ ــ الرامهرمزي : المحدث الناصل ، ٤٠٠ .

٤١ ــ الفسوي : التاريخ ، ١/٦٤٩ .

٤٢ ــ البخاري ، محمد بن اسماعيل بن ابراهيم (ت ، ٢٥٦ هـ) : صحيح البخاري ، (دار ومطابع الشعب) ، ١٠/٣٩ ، ابن حنبل ، احمد ابن محمد (ت ، ٢٤١ هـ) : مسند الامام احمد بن حنبل ، (بيروت : دار صادر والمكتب الاسلامي للطباعة والنشر) ، ٢/٢٤٨ ــ ٢٤٩ .

٤٣ ــ ابن حنبل ، احمد بن محمد (ت ، ٢٤١ هـ) : العلل ومعرفة الرجال ، تحقيق د . طلعت قوج بيكيب و د . اسماعيل جراح اوغلي ، (انقرة ، ١٩٦٣ م ، نشريات كلية الالهيات بجامعة انقرة) ، ١/٣١٦ ، الخطيب البغدادي : تقييد العلم ، ١٠٨ .

٤٤ ــ ابن سعد : الطبقات ، ٦/٢٠٢ .

٤٥ ــ ابن عبد البر : جامع بيان العلم ، ١/٧٠ .

٤٦ ــ ابن ابي حاتم ، ابو محمد عبد الرحمن الرازي (ت ، ٣٢٧ هـ) : الجرح والتعديل ، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي (الهند : ١٣٦٠ هـ ــ ١٣٧٣ هـ ، الطبعة الاولى ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية) ، ٢ ــ ١/٣٥٦ .

٤٧ ــ نفسه ، ٢ ــ ١/٣٢١ ، ابن حجر : تهذيب ، ١/٢٦٣ .

٤٨ ــ ابن حجر : تهذيب ، ٤/٢١٣ .

٤٩ ــ ابن ابي حاتم : الجرح والتعديل ، ٢ ــ ١ / ١٤٧ .

٥٠ ــ البخاري : التاريخ الكبير ، ٤ ــ ١/٣٣٦ ، ابن ابي حاتم : الجرح والتعديل ، ٤ ــ ١/ ٢٨٤ .

٥١ ــ ابن سعد : الطبقات ، ٧ ــ ٢/٤٣ .

٥٢ ــ ابن ابي حاتم : الجرح والتعديل ، ١ ــ ١/ ٢٥٣ .

٥٣ ــ ابن حيان ، ابو حاتم محمد البستي (ت ، ٣٥٤ هـ) : مشاهير علماء الامصار ، تصحيح م . فلايشهمر ، (القاهرة : ١٩٥٩ م ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر) ، ١٣٦ .

٥٤ ــ ابن ابي حاتم : علل ، ١/٢٥٤ ، ٤٣٣ .

٥٥ ــ ابن حجر : تهذيب ، ١١/١٨٧ .

٥٦ ــ ابن معين ، يحيى (ت ، ٢٣٣ هـ) : التاريخ ، تحقيق د . احمد محمد نور سيف ، (العربية السعودية ، ١٩٧٩ م ، الطبعة الاولى ، مطابع الهيئة العامة للكتاب) ، ٢/٥٢٧ .

٥٧ ــ ابن حبان : مشاهير ، ١٧٠ .

٥٨ ــ الذهبي : ميزان ، ٤/٣٠٩ ، ابن حجر : تهذيب ، ١١/٧٠ .

٥٩ ــ ابن رجب : شرح علل الترمذي ، ١٦٢ .

٦٠ ــ الخطيب البغدادي : الكفاية ، ٢٥٥ .

٦١ ــ نفسه ، ٣٤٣ .

٦٢ ــ الدارمي : سنن ، ١/١٢٥ ؛ الخطيب البغدادي : تقييد العلم ، ١٠٨ .

٦٣ ــ الخطيب البغدادي : الكفاية ، ٣٢٤ .

٦٤ ــ ابن عدي : الكامل ، ١/١٣٢ .

٦٥ ــ نفسه ، ١/١٣٢ .

٦٦ ــ الخطيب البغدادي : الكفاية ، ٥٥٩ ، وهناك شواهد كثيرة على ظهور الوضع في المشرق ، انظر في ذلك ابن سعد : الطبقات ، ٤ ــ ٢/١٢ ــ ١٣ ، ابن عدي : الكامل ، ١/١٠١ . *

٦٧ ــ الفسوي : التاريخ ، ١/٦٣٧ ، الخطيب البغدادي : تقييد العلم ، ١٠٨ .

٦٨ ــ ابن ابي حاتم ، ابو محمد عبد الرحمن الرازي (ت ، ٣٢٧ هـ) تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل ، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي ، (الهند ، ١٣٧١ هـ ، الطبعة الاولى ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية) ، ٢٥٥ .

٦٩ ــ ابن حنبل : العلل ، ١/١٠٣ .

٧٠ ــ البخاري : صحيح ، ٨/١٠ .

٧١ ــ ابن ابي حاتم : تقدمة المعرفة ، ٦٥ .

٧٢ ــ الذهبي : تذكرة ، ١/٣٠١ .

٧٣ ــ ابن حنبل : العلل ، ١/١١١ .

٧٤ ــ ابن حنبل : مسند ، ٢/٢٩ .

٧٥ ــ الخطيب البغدادي : تقييد العلم ، ٧١ .

٧٦ ــ مسلم بن الحجاج القشيري (ت ، ٢٦١ هـ) : التمييز ، تحقيق د . محمد مصطفى الاعظمي ، (الرياض ، مطابع نجد التجارية) ، ١٣١ .

٧٧ ــ ابن ابي حاتم ، تقدمة المعرفة ، ٢٧١ ، الذهبي : ميزان ، ٥٠٢/٣ .

٧٨ ــ ابن حيان ، ابو حاتم محمد البستي (ت ، ٣٥٤ هـ) : المجروحين من المحدثين ، تصحيح ونشر عزيز بيك القادري والنقشبندي ، (الهند ، ١٩٧٠ م ، الطبعة الاولى ، المطبعة المزيزية) ، ٢٧٥/١ ــ ٢٧٦ .

٧٩ ــ نفسه ، ١ / ٢٢ .

٨٠ ــ ابن حجر : تهذيب ، ٢ / ٥٠ .

٨١ ــ ابن ابي حاتم : الجرح والتعديل ، ١ ــ ٢٩٥/١ .

٨٢ ــ ابن حيان : المجروحين ، ١ / ٦٢ .

٨٣ ــ الفسوي : التاريخ ، ٦٤٠/١ .

٨٤ ــ الرامهرمزي : المحدث الفاصل ، ٦٠٦ ، السمعاني ، عبد الكريم ابن محمد (ت ، ٥٦٢ هـ) : ادب الاملاء والاستملاء ، تحقيق مكس ويسويلر ، (ليدن ، ١٩٥٢ م ، مطبعة بريل) ، ١٧٢ .

٨٥ ــ ابن حجر : تهذيب ، ٢١٠/٩ .

٨٦ ــ والمقصود في طرف الحديث هو اخذ ناحية او جانب منه وليس كله وبتمامه ، ويبدو ذلك واضحاً من خلال التفسير اللغوي لكلمة طرف ((وطرف كل شيء منتهاه .. واطراف الارض نواحيها .. واطراف الرجل اخواله واعمامه وكل قريب له محرم)) كما في ابن منظور : لسان العرب ، ١٢٠/١١ ــ ١٢٢ ، وتكررت كلمة طرف (٤٢) مرة في كتب الحديث لتعني نهاية الشيء مثل طرف الثوب واطراف رجليه كما في ونسنك : المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي ، ليدن ، ١٩٥٥ م) ، ٥٣٧/٣ ــ ٥٣٨ .

٨٧ ــ ابن حنبل : العلل ، ٢٤١/١ ، ٢٨٧ ، ومات عبيدة بن عمرو السلماني الكوفي سنة (٧٢ هـ) كما في ابن حجر : تهذيب ، ٨٤/٧ .

٨٨ ــ ابن سعد : الطبقات ، ١٩٠/٦ ، الدارمي ، سنن ، ١٢٠/١ .

٨٩ ــ ابن ابي حاتم : تقدمة المعرفة ،

٩٠ ــ ابن حجر ، احمد بن علي العسقلاني (ت ، ٨٥٢ هـ) : شرح نخبة الفكر في مصطلح اهل الاثر ، تصحيح لجنة من علماء الازهر ، (مصر ، ١٩٣٤ م ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده) ، ٤٦ .

٩١ ــ ابن ابي حاتم : تقدمة المعرفة ، ٥٠ .

٩٢ ــ ولد سفيان بن عيينة سنة (١٠٧ هـ) ووفاة عمرو بن دينار سنة (١٢٦ هـ) ووفاة ايوب السختياني ، سنة (١٣١ هـ) مما يعني ان عمر ابن عيينة حين مات عمرو بن دينار كان (١٩ سنة) ، انظر في ذلك ابن حجر : تهذيب ، ٢٩٨/١ ، ١١٩/٤ ، ٣٠/٨ .

٩٣ ــ البخاري : التاريخ الكبير ، ٢ ــ ١٥٢/١ .

٩٤ ــ ابن ابي حاتم : تقدمة المعرفة ، ٢٤١ .

٩٥ ــ والتصنيف في اللغة يعني ((تمييز الاشياء بعضها من بعض ، وصنف الشيء ميز بعضه من بعض)) كما في ابن منظور : لسان العرب ، ١٠٠/١١ .

٩٦ ــ ابن سعد : الطبقات ، ٢١٦/٥ .

٩٧ ــ الاصفهاني ، علي بن الحسين بن محمد (ت ، ٣٥٦ هـ) : الاغاني ، (بيروت ، ١٩٧٨ م ، دار الثقافة) ، ٢٣/٢٢ ، انظر الخطيب البغدادي : تقييد العلم ، ١٠٥ .

٩٨ ــ الفسوي : التاريخ ، ٤٧٨/١ .

٩٩ ــ ابن سعد : الطبقات ، ٢ ــ ١٣٦/٢ .

١٠٠ ــ ابن الصلاح : عثمان بن عبد الرحمن (ت ، ٦٤٣ هـ) : مقدمة ابن الصلاح ، تحقيق عائشة عبد الرحمن ، (مصر ، ١٩٧٤ م ، مطبعة دار الكتب) ، ٢٧٥ .

١٠١ ــ وكان عامر الشعبي يذكر في حديثه هذا ((باب من الكلام جسيم)) ثم يسوق ما يتعلق فيه من احاديث ، كما ذكر ذلك الرامهرمزي : المحدث الفاصل ، ٦٠٩ .

١٠٢ ــ الذهبي : تذكرة ، ١٧٧/١ .

١٠٣ ــ ابن ابي حاتم : علل ، ٤٠٨/١ .

١٠٤ ــ ابن حجر : احمد بن علي العسقلاني (ت ، ٨٥٢ هـ) : مقدمة فتح الباري بشرح البخاري ، (مصر ، ١٣٠١ هـ ، الطبعة الاولى ، المطبعة الكبرى المميرية) ، ٥ .

١٠٥ ــ ابن الصلاح : مقدمة ، ٢٩٧ .

١٠٦ ــ الحاكم ، محمد بن عبد الله النيسابوري (ت ، ٤٠٥ هـ) معرفة علوم الحديث ، نشر وتصحيح د . السيد معظم حسين ، (القاهرة ١٩٣٧ م ، مطبعة دار الكتب) ، ٨٨ .

١٠٧ ــ السيوطي ، عبد الرحمن بن ابي بكر (ت ، ٩١١ هـ) : تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، (المدينة المنورة ، ١٩٧٢ م ، الطبعة الثانية ، المكتبة العلمية) ، ٨٩/١ .

١٠٨ ــ انظر في هؤلاء المصنفين ابن حنبل : العلل ، ٣٤٨/١ ، الترمذي : العلل ، ٤٣٦ ، ابن ابي حاتم : تقدمة المعرفة ، ١٧ ، ١٢٩ ، الرامهرمزي : المحدث الفاصل ، ٦١١ ، ٦١٢ ، ٦١٣ ، ٦١٦ ، ٦١٧ .

١٠٩ ــ ابن عدي : الكامل ، ١ / ١٤٥ .

الطاغوت في العربية

ا . د . عبد الله الجبوري
كلية الاداب / الجامعة المستنصرية

وقع في العربية كلمٌ فيها شيء من احرف الزيادة ، وهي تفيد معنى جديداً او ترد لزيادة بيان او تفصيل وايضاح في تراكيبها الزوائد[1] .

ولحروف الزيادة أكثر من مائة ونيف وثلاثين تركيباً وردت في صور كلمات مجموعة ، أمثال : « أهوى تلمسان » و « أمان وتسهيل » و « سالتمونيها » و « اليوم تنساها » و « أويت من سهل » ، وقد نظمها عبد المجيد بن عبدون الفهري بقوله[2] : « سالت الحروف الزائدات عن اسمها فقالت ولم تكذب : أمان وتسهيل » وتناول ذكرها مفصلًا غير واحد من اهل العربية[3] . كما حفلت بها كتب الخلاف النحوي بين المذهبين[4] . وقد اخرج المبرد[5] (الهاء) من حروف الزيادة وقال : إنما هي منفصلة لبيان الحركة والتانيث .

وهذه الاحرف الزوائد اما ان تكون في أواخر الاسماء او في أواخرها وفي وسطها وفي حشوها . وتكون نوناً او ألفاً ونوناً ، أو تاءً او تاء وواواً . ومن امثلة ذلك قولهم : (العِفَرْنُ) للأسد . فنونه زائدة . وقالوا : موتان ، وضدان للموت وللضد . زيدت فيهما الالف والنون للتكثير والزيادة .

وكذلك تدخل الالف والنون في نسبة ارض الى رجل كما ورد عن اهل البصرة في قولهم : « البزيدان » لنهر في البصرة[6] .

وتزاد ايضاً للتوكيد كما في قولهم : « البراني »[7] للظاهر .

ومن صور زيادة الهمزة ، أنها تاتي للإلحاق كما في قولهم : « الألندد » و « اليلندد »[8] والنون في « العُلجَن »[9] للناقة الكناز اللحم ، ومثلها الهاء المزيدة : « المعلهج » للهجين ، كما

ورد في كلام الاخطل[10] :

فكيف تُساميني وأنت معلهج

فهذه الزيادة تكون عندهم أشبه بالتكاة او السكوت والالحاق كما يقولون . (وكل حرف زيد في الكلام العربي فهو قائم مقام اعادة الجملة مرة اخرى / الخصائص ٢ / ٢٨٤ وشرح الكوكب المنير ١ / ١٧٠) .

اما زيادة التاء فقد وردت في أوائل بعض الكلمات وفي اواخرها ، وساقتصر هذا المبحث على هذا النمط من الزيادة ، ولا سيما ما ورد على بناء : « فاعول » و « فعلوت » التي زيدت فيها الواو والتاء .

فالتاء تدخل على زنة « فَعَّل » لتدل على استفادة ذكر المعنى شيئاً بعد شيء ، كما تقول : تحفظتُ القرآن ، وتنجَّزت حوائجي[11] . وتزاد في اول الافعال للدلالة على المطاوعة مثال : كسَّرتُه فتكسَّر . وتزاد في أوائل الافعال الماضية مثال : تفاقَلَ ، تماقَلَ ، تجاهَلَ[12] .

وتزاد في اول الكلمة لتفيد الانتساب الى الفعل كما في قولهم : تَحْمِيَرَ ، اي : تكلم بالحِمْيَرِيَّة[13] .

وتدخل في اول الاسم للنسبة ، فيقال : تَبحْتَر ، اذا انتسب الى بُحْتُر ، وتمضَّر ، وتنزَّر ، وتقيَّس[14] . وفي « التامور » الذي على وزن « تفعول »[15] .

ومن قوله ﴿ ﷺ ﴾[16] : « اخْشَوْشِنوا وتمعددوا » اي : تشبّهوا بعيش معد بن عدنان ، وكانوا اهل قَشَف وغِلَظ في المعاش .

كما تدخل مع (لا) و (ثم) و (ربَّ) .

وفي القرآن الكريم (سورة ص / الاية الثالثة) : « ولات حين مناص » وقد شبهوها بـ « ليس » كما ورد عن المؤرج وقاله الاخفش[17] .

وقالوا : تمسلم ، اي تسمى بمسلم . وقالوا : كان فلان كافراً ثم تمسلم ، اي اسلم بعد كفر[18] .

وتزاد التاء[19] في آخر الكلمة من غير اطراد في طائفة من الحروف أمثال :

رحموت ، ملكوت ، الجبروت ، عنكبوت ، رهبوت ، يهموت ، ترنموت ، رغبوت ، وغيرها . وذكروا وجهاً لهذه الزيادة فقالوا : إنها تزاد للالحاق والسكوت او لتوكيد المعنى والمبالغة ، وذلك بتفخيم اللفظ ، وهذه الطائفة من الكلمات هي التي تندرج تحت بناء « فعلوت » و « تفعلوت » و « فاعول » و « تفعول » و « نمليت » و « فعللوت » و « فنعلوت » فالتاء : تكون أصلاً ، وزائداً ، وبدلاً ، فالاصل تكون فاء وعيناً ولاماً ، فالفاء تمام وتم . والعين : ستر وستر ، واللام : نبت ونبت . وهي تزاد أو لا في الافعال المضارعة نحو : « تفعل » وتزاد في : تفاعل ، وتفعل ، وتفعلل ، وتفعول ، وتفعيل ، وتفعنل ، وتفعلى ، ومصادرها وما تصرف منها .

و « التفعال » : اسما ومصدراً ، والتفعال : لا يكون الا مصدراً لا غير . وثانيه : افتعل واستفعل (سر الصناعة)[20] .

والزيادة تكون لاجل القوة .

بناء فاعول :

إن حجة الذين ذهبوا الى عجمة هذا البناء تنحصر في خلو العربية القديمة منه ، ووقوع قدر كبير منه في السريانية ، اذ هو من أبنيتها واستعمله العرب فاضافوه الى أبنيتهم ، والحقوه بابنية الالة تارة وبابنية المبالغة تارة اخرى ، وهو مستعار من بناء الالة .

وقالوا : ان الالفاظ المختومة بواو وتاء تشير الى الاصل السرياني القديم[21] .

وفي بعض كتب[22] العربية ورد هذا البناء ، وفيها : ان الذي تلحقه زيادتان فلا يخلو ان تجتمعا فيه أو تفترقا ، فإن افترقا فلابد من ان تفصل بينهما الفاء أو العين أو اللام .

واذا فصلت بينهما العين كان (فاعول) ويكون فيهما الاسم نحو : (ناموس) والصفة نحو : (حاطوم) و (جاروف) و (طاووس) .

أليس هذا الامر يفصح عن وجود هذا البناء في العربية القديمة ، عاد الى العربية كما عاد اليها غيره من الابنية ، حفظته إحدى شقيقات العربية ثم ردته اليها . ودليلنا ان القرآن الكريم صرح به ، وأنه الوثيقة العربية الخالصة ، وان كل ما فيه عربي محض ـ بدليل قوله تعالى :

١ ـ « إنّا أنزلناه قرآناً عربياً / يوسف ٢ » .

٢ ـ وقوله تعالى : « وكذلك أنزلناه حُكماً عربياً / الرعد ٣٧ » .

٣ ـ وقوله تعالى : « ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لو لا فصلت آياته أأعجميٌ وعربي / فصلت ٤٤ » .

وقد فصل القول في عروبة القرآن الكريم[23] جمع من العلماء الاجلاء الذين لهم حق الفتيا في علومه وفي الشريعة السمحة ، ولم يعد في منزع كنانة الاجتهاد سهم في هذه المسالة .

التركيب اللغوي للطاغوت :

فهو من[24] مادة (ط / غ / ى) والطاء والغين والحرف

المعتل اصل صحيح منقاس، وهو مجاوزة الحد في العصيان. والفعل منه: طغيت وطغوت والاسم: الطغوى.

والطاغية: الجبار العنيد، والطاغوت مذكر واحد واسم جماعة ومؤنث. وتاؤه زائدة ويجمع ايضاً على: الطواغي كما ورد في الحديث النبوي الشريف[٢٥].

وجيىء بالتاء الزائدة في هذا البناء وفي امثاله من الابنية المنتهية بالتاء المطولة، لبيان الشدة والقوة، ثم هي أشبه بوقف القافية في الشعر، والتاء[٢٦]: من الاحرف الشديدة، وجمعت بقولهم: « أجدت طبقك ». وذهبوا الى ان معنى حروف الشدة أنها تمنع الصوت ان يجري فيها. ثم ان لخصائصها الصوتية من حيث كونها: مهموسة، مستقلة، منفتحة، مصمتة، مبدلة، نطعية، أثراً في قوة رس هذا التركيب (طاغوت). ثم لجهر[٢٧] الطاء الذي هو أقوى صوتاً من المهموس (الهمس) أكسبته قوة وشدة في السمع، ويتوسطهما الواو الذي له قوة ودوي، بحيث يتألف منها جميعاً صوت فيه رهبة وجلبة.

الا ترى ان (الطاغوت) اقوى واشد وَقْعاً وأعظم جَرْساً من (الطغيان) او الطاغية). ومن هنا ذهب غير واحد من أهل التفسير[٢٨] الى ان المقصود بقوله تعالى « يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت / النساء ٤ ». هو كعب بن الاشرف الذي عرف بالشدة وبلغ النهاية في الغلظة وقالوا: إن « الجبْت » هو: حيي ابن أخطب.

ويرى الدكتور بهاء الوردي[٢٩] ان الجبت GEB هو إله كل الارض في الديانة المصرية القديمة ومن معانيه: النسر، ومنه اخذ معنى اسم لمصر باللاتينية: « EGYBTE ».

وعند بعض المفسرين[٣٠]: هو كل معبود من حجر او صورة او شيطان او سحر. فهو جبت وطاغوت.

ثم تناوله مؤلفوا[٣١] « المذكر والمؤنث » فاطالوا البحث فيه، غير أنهم أجمعوا على جواز الوجهين فيه، اي يذكّر ويؤنّث، ويجمع ويوحّد.

وانفرد ابو جعفر النحاس[٣٢] بالقول بتانيثه. وكذلك وقع هذا الحرف في كتب اهل[٣٣] القراءات وأداروا عليه طرفاً من مباحثهم.

ولم يغفل ذكره عند علماء « فقه اللغة المقارن[٣٤] / الموازن » حيث اختصوها بشيء من التفصيل والعناية، لانها ذكرت في آثار الاقدمين ضمن: « المعرّبات ». إذ هي:

١ ـ السريانية[٣٥] الاصل: [illegible] Tooiouthol ومعناها: ضلال، غلط، غش، من الفعل Too / [illegible]: اي: ضل، طغى، غلط. وليست فارسية الاصل كما ذهب ابو منصور الثعالبي[٣٦].

٢ ـ حبشية الاصل[٣٧]: « طاغوت / طاغوتا ».

فالطاغوت، عند اهل العربية[٣٨]، يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث وقالوا: إن وزنه على « فعلوت » إنما هو « طغيوت » قدمت الياء قبل العين فهو مقلوب، لانه من: طغى.

وعند ابن جني[٣٩]: ان وزنه « فَعُلوت » وهومصدر بمنزلة: (الرغبوت، والرهبوت، والرحموت، وقد يقال فيها: الرغبوتي، والرهبوتي[٤٠]، والرحموتي ».

وهو من الياء: « طغيوت » بدليل انه ورد في القرآن الكريم « في طُغْيانهم يَعْمهون / البقرة ١٥ ». وهذه اقوى اللغة فيها لانها لغة الوحي[٤١].

وقال ايضاً[٤٢]: « ثم قدمت اللام على العين فصارت / طَيَغُوت او طَوَغُوت، فلما تحركت الياء او الواو وانفتح ما قبلها قلبت في اللفظ الفاً، فصارت طاغوت، ووزنها بعد القلب فَلَعُوت ».

وقال ايضاً[٤٣]: « واذا جمع فصار طواغيت احتاج الى نظر، فاما على ان يكون من طغوت فلا سؤال فيه، وذلك ان الالف على هذا كانت بدلًا من لام طغوت. فلما احتاج الى تحريك الالف المنقلبة عنها ردها الى اصلها وهو الواو، فقال: طواغيت، ووزنها الان: فلاعيت، ولو جاءت على واجب اصلها لكان طفاويت او طغاييت، كقولك في ملكوت ـ لو كسّرتها ـ ملاكيت ».

الطّاغوت:

وقعت هذه الكلمة في القرآن الكريم في اكثر من آية كريمة. ولم ترد في غير النص القرآني في العربية القديمة المدونة، اللهم الا ان الانباري ساقْ في كتابه[٤٤]: « المذكر والمؤنث » نصاً شاهداً على (الطاغوت) ولم ينسبه:

وأنقـــذني من الطـــاغـــوت أني
اليـــك نصبت يـــا نـــور السمـــاء

إذن، فهي[٤٥] من الكلمات الاسلامية واستعملها القرآن الكريم بمعناها المعروف.

ولعلها كانت من الالفاظ العربية القديمة التي جرت بها السنة العرب ثم اندرست لتراخي الزمن، وتسربت الى غير العربية، فحفظتها إحدى شقيقاتها او لغاتها القديمة: « اللغات العربية القديمة / السامية » امثال: العبرية او السريانية، ثم جاء القرآن الكريم فاعادها مرة اخرى الى اللغة الام(العربية).

ولاهمية هذا النمط من الدرس اللغوي الذي يفيد منه / التطور

اللغوي الدلالي تتبعت أصوله في كتب العربية وفي كتب التفسير وكتب الحديث الشريف ، عسى ان اقف فيها على رأي طريف في تفسيره ، فأول ما نراه في بناء تركيب (فاعول) ان الطاء والتاء لا تجتمعان في كلمة عربية مثل : الطست ، والطاغوت .

وقد نفى[46] الخليل بن احمد الفراهيدي هذا الاجتماع بقوله : « لا تجتمع الطاء والتاء في كلمة واحدة اصلًا » .

وقال سيبويه[47] : ليس في الكلام / فاعلوت / نحو : طاغوت ، واصله طاغيْوت .

وقد درج علماء العربية على حصر الكلم الدخيلة وفق ضوابط لغوية تحكم عمل التراكيب العربية ، وهذا ما يطلق عليه اسم « قانون معرفة المعرب » واعتمدوا فيما ذهبوا اليه على الاستقراء العلمي اولًا ، والذوق اللغوي ثانياً .

ومن هذا اللون قالوا : لا تجتمع الزاي والدال في كلمة عربية او السين والراء ، وهكذا .

لذلك وقر في كتب العربية ان كلمة (الطاغوت) دخيلة ، بل ذهب[48] باحثون الى انها سريانية الاصل (Tooioutho)ومعناها : ضلال او غلط من الفعل (Too) ضل أو غلط . وان وزن[49] (فاعول) هو آرامي الاصل ، حيث لم يشر اللغويون الى بناء (فاعول) بين الابنية اللغوية ، هكذا ذكر[50] من قال بآراميته وان أصالته في السريانية امر أثبته قدر استعماله فيها كما ذهب الدكتور إبراهيم السامرائي .

وبعضهم[51] يشير الى ان (الطاغوت) رسب في العربية من الحبشية (Tawot) وهو فيها بمعنى / طاغوت (اصنام) .

وعند الثعالبي[52] (ت ـ ٤٣٠ هـ) ما يفهم من كلامه ان هذه الكلمة فارسية . ثم انها لم تدرج في جريدة[53] (لغات القرآن) ، وهذا ما يفصح عن كونها عربية الاصل .

ولننظر الان الى وجودها عند المفسرين وفي كتب الحديث النبوي الشريف وعند اهل العربية .

١ ـ وردت كلمة (الطاغوت) في الايات القرآنية : في سورة (الزمر / ٣٩) « والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها » . والاية / ٢٦ ايضاً .

٢ ـ في سورة البقرة (الاية / ٢٥٦) « فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى » . وكذلك وردت في الاية / ٢٠٧ .

٣ ـ في سورة النساء (الاية الرابعة) « يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت » وفي الايتين : ٦٠ و ٧٠ .

٤ ـ وفي سورة « النحل / ٣٦ والمائدة / ٦٠ » .

وقد توزعت كلمة المفسرين في تفسير (الطاغوت) على هذه الوجوه :

١ ـ الطاغوت :

هو الشيطان ، والكاهن ، وكل رأس في الضلال ، وكل ما سوى الله وينفي وجوده وتأثيره ، وقد يكون واحداً ويستعمل بلفظ واحد في الجمع والتوحيد والتذكير والتانيث ويجمع على[54] (طواغيت) .

٢ ـ الطاغوت :

بمعنى الاصنام[55] ومثله الجِبْت .

٣ ـ الطاغوت :

بمعنى / اللات والعزى ، وهو اسم تانيث مشتق من طغى[56] .

ومنه قالوا : الطاغية لملك الروم . والطاغية : الصاعقة تفسيراً لقوله تعالى : « فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية / الحاقة ٥ » .

٤ ـ الطاغوت :

هو كعب[57] بن الاشرف سماه الله ـ سبحانه ـ طاغوتاً لافراطه في الطغيان وعداوة رسول الله ﴿ ﷺ ﴾ ، او على التشبيه بالشيطان .

٥ ـ الطاغوت :

كل متحد[58] وكل معبود من دون الله ، وسمي الساحر والكاهن والعارد من الجن ، والصارف عن طريق الخير طاغوت .

اما في الحديث النبوي الشريف ، فقد ورد فيه قوله[59] ﴿ ﷺ ﴾ : « لا تحلفوا بآبائكم ولا بالطواغي » وفي رواية اخرى : « ولا بالطواغيت » .

ولا يخرج تفسير هذا الحديث بروايته عما جاء به المفسرون ، الا ان تفسيره انحصر في (الاصنام والشيطان) .

والطواغي : جمع طاغية ، والطواغي من / طغى في الكفر . والطاغوت يكون جمعاً وواحداً .

٦ ـ وذهب الدكتور[60] بهاء الدين الوردي الى تفسير طريف لهذه

الكلمة ، فهو يقول ان اصلها من اللغة الهيروغليفية ، ومعناها : « الصقر تعلو رأسه شمس » فـ (طاغ) : صقر ، و (اوت) : شمس .

وانه يرى ان (حورس) في المصرية القديمة يعني (الطاغوت) في العربية القديمة وانه (فرعون) وهو : « امنحوطب الرابع ٤٧٥ قبل الميلاد » وهو زوج « نفرتيتي / ١٤٥٩ - ١٤٧٠ » اي من فراعنة السلالة الثامنة عشرة ، الذي وقع التيه لبني اسرائيل في عصره ، وتم انقاذهم منه على يد النبي موسى ﴿ عليه السلام ﴾ .

والرأي الذي أميل اليه أنها عربية الاصل ، او قل : عرفتها اللغة الام لما يعرف بـ « اللغات العربية القديمة / اللغات السامية » . كانت معروفة فيها ، ثم توارت عن حرمها لتراخي الايام وتطاول الزمن ، وحفظتها السريانية . ولا أرى مقنعاً يرضي في كونها دخيلة ، بل لا تنهض حجة تعزز رأي من ذهب الى ذلك . تاسيساً على كثرة دوران بنائها (فاعول) في الارامية (السريانية) وعلى ندرته في العربية .

وحجتي فيما اذهب اليه :

١ - القران الكريم . وهو الوثيقة العظيمة التي حفظت لنا تاريخ العربية القديمة ، وجاء فيه ذكر هذا البناء في اكثر من آية . كما في قوله تعالى :

٢ - طالوت وجالوت ، وردا في سورة البقرة في (الايتين ٢٤٧ و ٢٤٩) وقالوا[١١] في (طالوت) : إنه علم عبري ، وهو مقلوب من (الطول) .

قال ابن دريد : إنه اسم اعجمي / جرياً على سننهم في نسبة كل بناء او حرف لم يجدوا لهما مثالًا في كلامهم الى العجمة .

وذكر[١٢] السهيلي ان (جالوت) اسم كنعاني ، كان من العماليق ، وان البربر من نسله .. ثم تذكر حكاية الفراهيدي[١٣] في اللغة الكنعانية وصلتها بالعربية .

٢ - التابوت .

قال تعالى : « ان اقذفيه في التابوت / طه ٣٩ » .

فالتابوت[١٤] : الصندوق بلغة قريش ، وعند الانصار (تابوه) بالهاء ، وقيل انها حبشية الاصل ، والهاء فيها بدل من التاء . واصلها مثل (ترقوة) سكنت الواو فانقلبت هاء التانيث تاء .

٣ - هاروت وماروت :

قال تعالى : « وما أنزل على الملكين ببابل هاروتَ وماروتَ / البقرة ١٠٢ » .

والمَرْت[١٥] : الارض التي لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها .

والهرت : الانضاج . وقال القرطبي[١٦] : هاروت / لا ينصرف لانه اعجمي معرفة ، وكذا ماروت ، ويجمع هواريت ومواريت ، مثل طواغيت ، ويقال : هوارته وهوار ، وموارته وموار ، ومثل جالوت وطالوت » .

وتكلم اهل اللغة في « هاروت وماروت » وهم فيهما بين الشك واليقين من امر عروبتهما او عجمتهما .

قال الزبيدي[١٧] : « وماروت : أعجمي ، وهو الصحيح الذي صوبه الاكثر وهو رفيق هاروت . وقيل : من المرت بمعنى الكسر كما في التفسير وحواشيه قاله شيخنا (اي التقي القاسي شيخ الزبيدي) او من المروتة وهو اسم المصدر من المرت .

وقال الصاغاني : هو اسم اعجمي بدليل منع الصرف . ولو كان من المرت لانصرف . وبعد :

أيحق لنا صوغ بناء « فعلوت » أو : « فاعلوت » اسماً او صفة من مواد اللغة العربية ؟ و « قانون الابنية اللغوية » يجيز ذلك كما ورد في قول ابن مالك[١٨] :

مـــع فَعَلُــــوت فُعْلى مـــع فعلنيــــة
كــــذا فعــوليّـة والفتــح قــد نُقِـلا

يريد : انه يبنى على (فَعَلوت) اسماً وصفة نحو : رحموت ، رهبوت ، عظموت ، جبروت ..

ثم لماذا وقعت في كتب العربية طائفة من الكلمات على هذا البناء ؟ وقالوا[١٩] : لم يجيء على (فَعَلوت) الا هذه الكلمات .. وانا أدرج أسماءها في هذا الملحق .

الباغوت :

او الباغوت والباعوث ، وهو من أعياد النصارى . والثاني لم تذكره الكتب التاريخية .

بَرَهُوت :

في الحديث النبوي الشريف ، « شرُّ بئر في الارض بَرَهوت » . رواه الطبراني بسنده عن ابن عباس ، « تاج

العروس ٤ / ٤٤١ ومعجم البلدان (برهوت) » .
وفي حديث آخر قوله ﴿ ﷺ ﴾ ، « إن الارواح في طائر اسود في برهوت » .. / الفنون لابن عقيل (ص / ٧٤١ والنور السافر ص / ٦٨ وتاريخ ابن المجاور / القسم الثاني ص / ٢٥٢) .

بركوت :

من قرى مصر ..
التكملة ٥ / ١٨١ ومعجم البلدان ..

بكتوت :

من الاعلام العربية والتركية ، فبك عربية ، وتوت / تركية ، ومعناها : أمير توت او : امير النيروز .
(اختراع الخراع ـ للصلاح الصفدي ـ مخطوط) .

البهموت :

من اسماء الشيطان ، كذا في (محيط المحيط) ومنه : رجل بهموت ، اي صاحب احتيال ودهاء وخبير بالامور . (اغلاط اللغويين الاقدمين ـ الكرملي ـ) .
والبهموت : يطلق على عالم الغيب ، كما ورد في (قلائد الجواهر للتادفي ص / ٧٩) : قوله : « وزلزلت واسط مرة ، فنزلت الى البهموت ، بعد ان اخترق الارضين السبع » .
وفي (التاج / ٥ / ١٥١) اليهموت ، بالياء المثناة وغلط من خيطه بالموحدة . وهو : اسم الحوت الذي عليه الارض .

التابوت :

وهو الصندوق ، والقلب ، واصله تابُوة كترقُوة ، سكنت الواو فانقلبت هاء التانيث تاء ، والتبُوت كزبّور : لغة في التابوت ...
وقد ورد في القرآن الكريم في سورة : « البقرة / ٢٤٨ وفي سورة طه ٣٩ » وهو بمعنى الصندوق ايضاً .
ويرى بعض اهل اللغة ، ان التاء فيه اصلية لذلك يترجم عندهم في باب « ت / ب / ت » ويرى اخرون أنها زائدة ، وترجم في باب (ت / و / ب) .
وقيل : التاء مبدلة فيه من هاء التانيث .
وفي الحديث النبوي الشريف في دعاء قيام الليل ، أنه ﴿ ﷺ ﴾ قال : « اللهم اجعل في قلبي نوراً ، وفي بصري نوراً ، وفي سمعي نوراً ، وعن يميني نوراً ، وعن يساري نوراً ، وفوقي نوراً ، وتحتي نوراً ، وأمامي نوراً ، وخلفي نوراً ، واجعل لي نوراً » . قال راوي الحديث : « وذكر سبعاً في التابوت » اي : ذكر في الدعاء سبع كلمات وهن قوله ﴿ ﷺ ﴾ : « عصبي ، ولحمي ، ودمي ، وشعري ، وبشري ، وذكر خصلتين » .. واراد بالتابوت : الاضلاع لانها كالصندوق يحرز فيه المتاع .
ومن المنسوبين الى (التابوت) : الاشعث بن سوار الكوفي الافرق المتوفى في سنة / ١٣٦ هـ .
وللسيد المرتضى الزبيدي (ت ـ ١٢٠٥ هـ) رسالة مخطوطة في تحقيق لفظ التابوت عنوانها : « القول المثبوت في تحقيق لفظ التابوت / دار الكتب المصرية برقم ٨٣ فهارس الدار ٢ / ٢٦ » .
ينظر :
ديوان الادب ١ / ٢٧٠ والتقفية ٢١٦ والمحتسب ١ / ١٢٩ والمنصف ٣ / ٢١ والزينة ١ / ١٤٦ وشرح الكافية ٢١٦١ والنهاية ١ / ١٧٩ وجامع الاصول ٦ / ٨٣ وخلاصة تذهيب الكمال ٢٣ والتاج ٤ / ٤٦٧ .

التَخْربوت :

على بناء « فَعْللوت » عند الجرمي ، و « تفعلوت » عند غيره . وهي الناقة الفارهة . الكتاب ٤ / ٣١٦ والتكملة ١ / ١١٣ والمزهر ٢ / ٢٥ و ٢٦ .

التلبوت :

اسم أرض . (المنتخب من كلام غريب العرب / كراع النمل : ٥٨٠) .

التحموت :

وزنه على « تَفْعول » والتاء فيه زائدة ، وهو : الزق يكون فيه السمن والزيت ، وقيل : هو شبه الحلاوة من (الحمت)

وفسره الزبيدي : بانه وعاء يشبه العكة .
الكتاب ٤ / ٢٧١ والجمهرة ٣ / ٤٢٣ والتكملة ١ / ٣٠٩ واللسان (ح / م / ت) والتاج ٤ / ٤٩٧ .

تَرَبوت :

واصلها دربوت ، ابدلت الدال تاء . ومنه قيل : جمل تربوت ، ودربوت اي : ذلول وهو « فعلوت » من الدربة .
(الكتاب ٤ / ٢٧١ و ٣١٦ والجمهرة ٣ / ٤١٧ وديوان الادب ٢ / ٧٩ وسر الصناعة ١ / ١٥٧ والتكملة ٥ / ١٣٦ والمقرب ٢٢٨ والمزهر ٢ / ٦٨ والمنتخب من كلام العرب لكراع النمل : ٥٨٠) .

التَّرْنَموت :

على بناء (تَفْعُلوت) وهو صوت ترنم القوس عند النزع . قال الشاعر :

تجاوب القوس بترنموتها

قالوا : ان التاء فيه زائدة .
(الكتاب ، والمنصف ١ / ١٣٩ و ٣ / ٢٢ والمحتسب ١ / ٣٣٢ وسر الصناعة ١ / ١٧٤ والممتع ١٤١ وشرح الشافية ٢ / ٣٣٤ وشرح المفصل ٩ / ١٥٨ واللسان والتاج (ر / ن / م) .

الثَّلبوت :

هي ارض ، والتاء فيه زائدة .
(ديوان الادب ٢ / ٧٩ والمنصف ١ / ١٣٩ والممتع ٢٧٦ والمزهر ٢ / ٧٨) وينظر : مادة (التلبوت) .

الجبروت :

من الجبرية ، وهو من التجبر والتكبر ويدل لفظها على المبالغة في الشدة .
ويقال ايضاً : الجبورة (بضم الجيم والتشديد) قال مغلس بن لقيط الاسدي :

لئن غضبت قيس لقيس لتغضبن
لنـــا منهم ان تـــرأم الضيم خنـــدف
فـــإنك ان عـــاديتني غضب الحصى
عليـــك وذا الجبـــورة المتغطـــرف

وفي الحديث النبوي الشريف : « الجبروّة » وهو : الجبروت .
وفي الدعاء « يا ذا الجبروت » وكان ﴿ ﷺ ﴾ كثير الدعاء بعد دعاء الحمد وقبل السجود بقوله : « سبحان ذي الجبروت والكبرياء والعظمة » .
ويقال : جبار بين الجبروة والجبرية والجبروت .
قال ابو هلال العسكري : « وفخامة اللفظ تدل على فخامة المعنى فيما يجري هذا المجرى » .
والجبروت : عالم العظمة .
(الكتاب ، وتفسير غريب القرآن ١٩ وديوان الادب ٢ / ٧٩ والجمهرة ٣ / ٤١٧ وتصحيح الفصيح (ق / ١٣٥ - ب) وسر الصناعة ١ / ١٧٤ والمنصف ٣ / ٢٢ و ١ / ١٣٩ والمحتسب ٢ / ٢١٨ والزينة ٢ / ٨٣ والفروق اللغوية ٢٤٣ والنهاية ١ / ٢٣٦ والتعريفات ٦٥ والتكملة ٢ / ٤٤٠ والتاج ١٠ / ٢٥٦) .

الحانوت :

(فاعول) من (فعلوت) اذ هو في الاصل : حَنَووت من حَنْوْت ، لان الحانوت يحنو على ما فيه ، ثم تقدمت اللام فيه على العين فصار (حَوَنُوت) ثم انقلبت الواو كما انقلبت في (طوغوت) . وهذا دليل على اصالته العربية .
وقيل : ان التاء فيه مبدلة من هاء التانيث لسكون ما قبلها .
(المحتسب ٢ / ٢٣٦ وديوان الادب ١ / ٣٧٠ والقاموس (ح / ن / ت و ح / ن / و) وتاج العروس ٤ / ٤٩٨) .

حذرفوت :

على بناء « فَعْللوت » .
(المحتسب ١ / ٣٣٢ والمزهر ٢ / ٣٢) .

حَلَبوت :

على بناء « فَعُلوت » ومنه يقال : ناقة حلبوت ركبوت ، اي تصلح للحلب والركوب . وفي (الجمهرة ٣ / ٤١٧) : حلبوت بسكون اللام : ضرب من النبات .
(المزهر ٢ / ٦٨) .

حَلَبوت :

على بناء (فَعَلوت) او (فَعَلول) وهو الخالص لا جرد الذي لا يعتريه شيء . ويقال : كذب حلبوت ، أي خالص لا يخالطه صدق ، وهو ايضاً الضعيف . ويقال : حلبوت وبحريت .

(المزهر ٢ / ٢٧ والتاج ٤ / ٤٩٨).

الحَقُوريت :

على بناء (فَعُليت) والتاء فيه زائدة ، وهو اسم موضع ذكره ابن عصفور وقال : فيمكن ان يكون الاصل فيه (حوريت / على وزن فعليت مثل عفريت) فتحت الفاء تخفيفاً كما قالوا في (بُرقُع / بُرقع) بفتح القاف .

وفي التاج : ولا نظير لها سوى صَوْليت .

(سر الصناعة ١ / ١٢٥ والممتع ١٢٥ - ١٢٦ والتاج ٤ / ٤٩٤).

الحَيّوت :

على بناء (فَعْلوت) وهو ذكر الحيّات ، وانشدوا : وتاكل الحية والحيّوتا .

(الجمهرة ٣ / ٢٩٧ والممتع ١٢٥ و ٥٦٥ و ٥٦٩ والتاج ٤ / ٥٠١).

خلبوت :

(فَعْلوت) من قولهم : رجل خالب وخلّاب ، اي كذّاب وخداع . وانشدوا :

ملكتم فلمـــــــــــا ان ملكتم خلبتم
وشرُّ الملــوك الغـــادر الخلبــوت

ما الخلبوت (الغادر / كراع النمل ، المنتخب ٥٨٠) .
و (الكتاب ٤ / ٢٧٢ والجمهرة ٣ / ٤١٧ وديوان الادب ٢ / ٧٩ واصلاح المنطق ٤١٩ والمشرف المعلم ١ / ٢٥١ وشرح الفصيح لمجهول (ق / ١٠٠ - أ) والممتع ١٢٥ والمزهر ٢ / ١٨ و ٦٨ واللسان والتاج (خ / ل / ب) والمنتخب لكراع النمل : ٥٨٠ .

رَحَموت :

(فَعَلُوت) من الرحمة ، وفي امثالهم : « رهَبوت خير من رَحَموت » او « رهبوتي خير من رحموتي » .

أي : ان ترهب خير من ان ترحم ، وقال بعضهم : رحموت من صيغ المصدر في العبرية تسرب الى العربية ».

والسيد عبد العلي بن نظام الدين / بحر العلوم الهندي المتوفى كتاب (فواتح الرحموت شرح مسلّم الثبوت) في اصول الفقه شرح به (مسلّم الثبوت) لمحب الله البهاري ، طبع في لكنو ١٨٧٨ م ، ينظر : (العين ٤ / ٤٧ والكتاب ٢ / ٣٢٤ ، ديوان الادب ٢ / ٧٩ ، وتفسير غريب القرآن ١٩ ، الجمهرة ٣ / ٤١٧ ، الامثال لزيد بن رفاعة ٢٥ ، تصحيح الفصيح (ق / ١٣٥) ، المنصف ١ / ١٢٩ وسر الصناعة ١ / ١٥٨ ومجمع الامثال ١ / ١٤٩ والممتع ٢٧٦ والتكملة ١ / ١٤٥ وشرح الشافية ٢ / ٣٣٤ والمزهر ٢ / ٦٨ و (عبد القادر المغربي ، مجلة المجمع العلمي العربي م ٣ ج ٣ ص ٦١ - ٦٥) وأبنية الصرف ٣) .

رَغَبوت :

(فَعَلوت) من الرغبة في الشيء او عنه ، وهي الرغباء كالنعماء ، وقيل : رغبوتي .

(الكتاب ٤ / ٢١٥ والمحتسب ١ / ١٣٢ و ٢ / ٢١٨ وسر الصناعة ١ / ١٧٤ والمنصف ١ / ١٣٩ والبيان في غريب اعراب القرآن ١ / ١٦٩ والصحاح ٢٤١٣ والمعرب ٢٢٨ والتكملة ١ / ١٣٩ والممتع ١٢٥ و ٢٧٦ والمزهر ٢ / ١٨).

رَكَبوت :

راجع مادة (حلبوت) .

الرَّهَبوت :

وهي مصدر من الرهبة ويراجع مادة (رحموت) .
وينظر :
(تفسير غريب القرآن ١٩ والجمهرة ٣ / ٤١٧ والتقفية

٢١٦ والتكملة لابي علي ٢٤١ وشرح الشافية (ق / ١٣٥) وسر الصناعة ١ / ١٧٤ والخصائص ١ / ١٣٢ و ٢ / ٢١٨ والمعرب ٢٢٨ والممتع ١٢٥ والمزهر ٢ / ٦٨) .

السَّبْرُوت :

والسبريت ايضاً (فَعْلِيت) وهي الذي لا مال له والرجل السيء الخلق . زيدت التاء فيه ، وعند الزبيدي : التاء اصلية .

(التقفية ٢١٦ والتكملة ٢ / ١٩ والتاج ٤ / ٥٤٥) .

والسُّبْروت (بضم السين) : هو الرجل الطويل ، والدليل الماهر . ذكره سيبويه وقال : هو (فُعْلول) كزنبور وعصفور ، وذكره غيره بأنه (فُعْلوت) لأنه من سبرت الشيء اذا اختبرته ، زيدت التاء فيه مبالغة ، وذكره آخرون .

(الكتاب ٤ / ٢١٨ والتاج ٤ / ٥٤٥) .

سُلُبُوت :

(فَعَلُوت) من السلب .

(الجمهرة ٣ / ٤١٧ والتكملة ١ / ١٦١ والمزهر ٢ / ٦٨) .

السُّلكوت :

كزنبور وعصفور ، على بناء (فعلوت) وهو طائر ، والتاء زائدة .

(المزهر ٢ / ٦٨ والتاج ٤ / ٥٦٦) .

صَوْليت :

على بناء (فَعْليت) والتاء زائدة وهو في الاصل (صَوْليت) .

(الممتع ١٢٥ والتاج ٤ / ٤٩٤ و ٥ / ٤٩٤) .

طالوت :

جاء ذكره في القرآن الكريم : « فلما فصل طالوت بالجنود / البقرة ٢٤٩ » .

وهو (فعلوت) او (فاعول) من الطول ، وقالوا فيه : انه كان اطول من كان في وقته وهو اسم ملك ، ويجمع على / طواليت .

ابو القراء واسمه : عبد السلام بن شداد ابو طالوت ، روى عنه الحسن بن دينار ، واسم محدث (طالوت بن عبد الله العكرمي الشرقي سنة ٢٢٧ هـ) .

قال ابن دريد : « فاما طالوت وجالوت ، فليس من كلام العرب ، وان كان طالوت وجالوت في التنزيل فهما اسمان اعجميان » .

وذكر عنه ايضاً ان (طالوت) علم عبري ...

(الجمهرة ٢ / ٣٩٠ والحجة ٢٠٦ والكشاف ١ / ١٤٨ والعكبري ١ / ١٩٧ والمعرب ٢٢٧ والتكملة ١ / ٣٢٤ و ٤ / ٤٨٢ وطبقات القراء ١ / ٢٨٥ وجامع التعريب (ق / ٩٧ - ب) وشفاء الغليل ١٢٠ والتاج ٥ / ٦ والدرر الكامنة ٢ / ٢١٦ والعبر ١ / ٤٢٧ وفيه : طالوت ابن عباد البصري » .

فِرْنَوْت :

ذكره سيبويه ، وقال : « ليس في الكلام فِعْوِيل » وهو (فِعْليت) وهو الداهية . وفي (المنصف) غِرْوِيت بالغين المعجمة عن ابن عمرو (الجرمي) وهو « القصير . معجم متعجم / ٩٤٢) . وراجع : (الكتاب ٤ / ٢١٦ والمنصف ٣ / ٢٨) .

عظموت :

(فَعَلوت) من العظمة . قال ابن دريد : « من العظمة ، وقد قالوا : عَظَموت من العظيم ولا أدري ما صحته » .

وقد وجدت الشاعر العصري محمد جميل الزهاوي (جميل صدقي الزهاوي) المتوفى في سنة / ١٩٣٦ م استعملها في بعض شعره بقوله :

لا يحسب المزجف غيـــــــاً
جنـــــدُ لــــه عَظَمُــــوتُ
الجنـــد للمـــوت يحيـــا
وللحيـــــاة يمـــــوتُ

ولا اعلم من استعملها غيره (وفوق كل ذي علم عليم) .

(الجمهرة ٣ / ٤١٧ والمزهر ٢ / ٦٨ ومجلة الهلال ـ القاهرة ـ ج ١ / س ٣٥ ربيع الثاني ١٣٤٥ هـ ـ نوفمبر ١٩٢٦م ص / ٤٦) .

عِفْريت :

على بناء (فِعْليت) من العَفْر وهو التراب ، ويقال : عِفْريت وعِفْرية .

وفي قراءة لابي رجاء وعيسى الثقفي : « عِفْرِيةٌ من الجن » في قوله تعالى : « عِفْريتٌ من الجن / سورة النحل ٣٩ » .

(وفي الاتباع والمزاوجة) : عِفْريت نِفْريت كما يقال : كِفْرين عِفْرين ، للرجل الخبيث . والتاء زائدة ، وهو ملحق بوزن (قنديل) .

(الكتاب ٤ / ٣١٦ والتكملة لابي علي ٢٤١ والكامل ١ / ١٠٧ والمنصف ٣ / ٢٨ والمحتسب ٢ / ١٤١ والاتباع لابي الطيّب ٩٨ والاتباع والمزاوجة لابن فارس ٨٦ و ٩١ وأمالي القالي ٢ / ٢١٧ والمذكر والمؤنث للانباري ٥٨٥ والممتع ٥٨ و ١٢٥ و ٢٠٣ و ٢٧٧ و ٣٠٤ و ٥٥٤ و ٦٠١ والمخصص ١٤ / ٣٧ والتاج (ع / ف / د) واللسان ٤ / ٥٨٦) .

العَنْزَرُوت :

يؤنث ويذكر كذا جاء في لسان العرب ولم يفسره . مادة (عنكب ج ١ / ٦٣٢) .

عنكبوت :

على بناء (فَنْعلوت) او (فَعْللُوت) . ويقال : العنكب والعنكباء بمعنى واحد . وحكي عن قطرب انهم جمعوه على (عناكبيت) وهو من الشاذ الذي سبيله ان يطرح ولا يستعمل فضلًا عن ان يقاس عليه . وهو مؤنث ، وربما ذكر كما ورد في رجز لابي النجم :

مما يسدّي العنكبوت إذ خلا .

والجمع : العنكبوتات وعناكب وعناكيب ، ويقال لبيته : « العُكدية » . وفي القرآن الكريم : « كمثل العنكبوت اتخذت بيوتاً / سورة العنكبوت ٤١ » وقوله ايضاً : « وانّ أوهى البيوت لبيت العنكبوت » .

(الكتاب ٤ / ٢٧٢ و ٣١٧ والجمهرة ١ / ١٠ والمحتسب ١ / ٣٣٢ وسر الصناعة ١ / ١٥٨ و ١٧٤ والمنصف ١ / ١٣٩ و ٣ / ٢٢ واللسان ١ / ٦٣٢ والتاج (ع / ن / ك / ب) .

عِزْويت :

على وزن (فِعْليت) مثل : عِفْريت وهو صفة ، ويطلق على القصير . قال ابن عصفور : « وعلى فِعْليت ، ولم يجيء الا صفة نحو : عفريت وعِزْويت » .

(الممتع ١٢٥ ـ ١٢٦) وراجع مادة : عزويت والمنصف ٣ / ٢٢) .

الكِبْريت :

وهو الحجَر المعروف ، وزنه (فِعْليل) او (فِعْليت) وتاؤه زائدة .

(الجمهرة ٣ / ٢٩٥ والتاج ٥ / ٥٤) .

اللّاهوت :

وهو من المصطلحات الدينية التي تشيع في الديانة النصرانية ، ويرى بعض اللغويين ان التاء فيه اصلية . ومنه اسم كتاب للشيخ على بن عبد العالي الكركي العاملي (ت ـ ٩٣٧ هـ) هو : (نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت) وللاعرج عبد الله بن محمد ـ « إشراق اللاهوت ـ مخطوط » .

وفي (الصحاح) : اللاهوت من : لاه ، وإنه غير مقلوب . (الصحاح ٢٤١٣ ج ٦ وامل الامل ١ / ١٢٢ والتاج ٥ / ٨٢) .

اللُّغُوت :

التي لها زوج ولها ولد من غيره ، وهي ايضاً التي تكثر التلفت ، ويقال للرجل العسر الخلق لغوت ايضاً ، وهو على وزن (صَبُور) وتاؤه اصلية .

(غريب الحديث لابن قتيبة ٣ / ٧١٣ والتاج ٥ / ٨٠ ـ ٨١) .

ماروت :

راجع هذه المادة في بحث وزن (فاعول) ، وينظر : (الحجة لابن خالويه ٢٠٦ ورسائل اخوان الصفا ١ / ٣٥٩ وفيه : هارا ومارا / لهاروت وماروت) والتكملة ١ / ٣٤٠ والتاج ٥ / ٩٢ - ٩٣) .

مَلَكُوت :

(فَعَلُوت) من الملك ، زيدت فيه الواو والتاء للمبالغة بزيادة اللفظ ، ولا يطلق الا على الامر العظيم نظير : الجبروت .
وفي القرآن الكريم : « ملكوتُ كل شيء / يس ٨٣ » وتفسيرها : كل شيء هو ملكه ، وبيده - سبحانه - عصمة كل شيء . وهو من ملكت العجين اذا اجدت عجنه ، وبه وردت قراءة لطلحة وابراهيم التيمي والاعمشي : « ملكة كل شيء / يس ٨٣ » . وكان النبي ﴿ ﷺ ﴾ يكثر في صلاته (عند تسبيح التحميد وعند الركوع) من قوله : « سبحان ذي الملك والملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة » .
ويجمع على : ملاكيت .
والملكوت : الملك كما في قوله تعالى : « وكذلك نُرِي ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين / الانعام ٧٥ » .
وينظر (الاية / ١٨٥ من سورة الاعراف) .
والملكوت : عالم الغيب المختص بالارواح والنفوس .
(الكتاب ٤ / ٣١٥ والتقفية ٢١٦ وتفسير القرآن ٣١٩ وديوان الادب ٢ / ٧٩ وتصحيح الفصيح (ق / ١٣٥) وسر الصناعة ١ / ١٤٦ و ١٧٤ و ٢٧٦ والمنصف ١ / ١٣٩ و ٣ / ٢١ والمحتسب ٢ / ٢١٨ والجمهرة ٣ / ٤١٧ وشرح الكافية ٧٩٩ واللسان ١٢ / ٢٨٢ والتعريفات ٢٠٤ والخشوع في الصلاة لابن رجب الحنبلي ٤٣ والبحر المحيط ٧ / ٣٤٩ والمزهر ٢ / ١٦ و ٢٧ و ٦٨ والتاج ١٠ / ٣٥٦) .

النّاسوت :

وهو من كلام اهل التصوف يكثر في موروثهم الفكري . قال الحلاج :

سبحـــان من اظهـــر نـــاســـوتـــه
ســـر سنـــا لاهـــوتـــه الثـــاقب

وفي كتاب « الفيوضات الربانية : قال كل طور بين الناسوت والملكوت فهو شريعة » .
الناسوت للانسان ، واللاهوت لله .
(التاج ٥ / ٨٢ والفيوضات الربانية) وقد عكفت على دراسة كلمة (الناسوت) فافردت لها مبحثاً خاصاً بها .

هاروت :

راجع هذه المادة في مبحث (فاعول) . وينظر : (الحجة ٢٠٦ والمعرب ٣٤٦ والتكملة ١ / ٣٤٦ والتاج ٥ / ١٤١) .

الهَزَبُوت :

كذا وردت في : « شرح الفصيح لمؤلف مجهول / مخطوط ق / ١٠٠ - أ » . واحسبها مقلوبة من : الرهبوت .
وقد وجدت رجلًا من قبيلة شمر اسمه (هربوت) .

الياقوت :

اسم للجوهر المعروف .
(التقفية ٢١٦ والمعرب ٣٥٦ والتاج ٥ / ١٥٠) .

يَرْموت :

ويقال (يرموت) وهو اسم مدينة (اليرموك) في القطر الاردني . وقد وردت في ترجمة التوراة .
(عبد الله مخلص / لغة العرب س / ٧ ص ٣٠٢ استدراك على كتاب يفعول للصاغاني) .

الينبوت :

ضرب من النبات وهو المعروف بـ (الخرنوب البري) واحدته يَنْبوتة . وقالوا : ان تاءه اصلية .
(النبات والشجر للاصمعي ٤٣ والتقفية ٢١٦ والمخصص ١١ / ١٨٩ ويفعول ٢٩ - ٣٠ والتاج (ن / ب / ت) .

اليهموت :

راجع مادة (اليهموت) .

الهوامش والتعليقات :

(الزيادة في اللغة العربية ، للدكتور عبد الحسين الفتلي (دراسات الاجيال ع ٣ س ٦ / ٢٠٣ / ١٩٨٦) .

(٢) تاج العروس ٨ / ١٦١ – ١٦٢ والمقرب ٥٠٠ والممتع ٣٩ وشرح الشافية ٢ / ٣٣١ والتقريب ١١٩ والمنصف ١ / ٩٨ وشرح المفصل ٩ / ١٤١ ، والمنتخب لكراع النمل ٦٨٩ .

(٣) سر الصناعة ١ / ٧٢ و ٧٤ والمنصف ١ / ٩٨ وشرح المفصل ٩ / ١٤١ وشرح الكافية ٤ / ٢٠٣١ .

(٤) الانصاف ٢ / ٧٩٤ و ١ / ٣٨ والهمع ٢ / ٢١٤ .

(٥) اللسان ٣ / ٢٠٠ .

(٦) التاج ٨ / ١٥٩ وينظر الكتاب ٢ / ٨٩ .

(٧) التكملة ٦ / ٢٩٢ .

(٨) التاج ٩ / ١٣٩ .

(٩) التكملة ١ / ٤٦٨ – ٤٦٩ .

(١٠) التكملة ١ / ٤٦٨ – ٤٦٩ .

(١١) الكتاب ٤ / ٢٧٠ و ٣١٥ والحجة لابن خالويه ٢٩٠ .

(١٢) غريب الحديث لابن قتيبة ١ / ٣٨٦ وسر الصناعة ١ / ١٧٥ .

(١٣) التكملة ٢ / ٤٨٢ .

(١٤) التاج ١٠ / ١٣١ .

(١٥) التامور : احد ، يقال : مابه تامور .

(١٦) التاج ٩ / ١٨٠ ، التكملة ٢ / ٤٠٧ واللسان ١٥ / ٤٤٤ (تا) .

(١٧) التاج ٩ / ١٨٠ و ٥ / ٨٥ وقارن بسر الصناعة ١ / ١٧٤ والتكملة ١ / ١٣٥ .

(١٨) هذا القول حكاه ابو جعفر الرؤاسي ، وهو في : « أبو جعفر الرؤاسي نحوي من الكوفة : ٩٠ » ، وراجع التكملة ٦ / ٥٥ .

(١٩) ينظر : الكتاب ٤ / ٢٧٠ و ٣١٥ والتقفية ٢١٦ والمحتسب ٢ / ٢١٨ والمنصف ٣ / ٢١ والتصريف ١ / ١٠٢ والمقتضب ١ / ٦١ وتفسير غريب القرآن ١٩ وغريب الحديث ٣ / ٧٥٠ والمقرب ٢ / ١٤٤ والممتع ٣٩ وشرح الكافية ٤ / ٢٠٥٤ وشرح الشافية ٢ / ٣٣٤ وأبنية الصرف في كتاب سيبويه ١٠٣ .

(٢٠) والفصول لابن الدهان : ١٣٨ – ١٣٩ .

(٢١) ديوان الادب ١ / ١٣١ ومجالس ثعلب ٤٨٥ والكتاب ٢ / ٢٢ وليس في كلام العرب ٢٦٨ والممتع ٩٧ والمزهر ٢ / ١٢٢ . و (العربي / الكويت ع / ٢٥٦ مارس ١٩٨٠ م ص ٥٣ – ٥٦ : اغناطيوس يعقوب الثالث : لماذا الانكار ؟ اللغة السريانية هي الام) . والتوزيع اللغوي الجغرافي في العراق للدكتور ابراهيم السامرائي ٨٨ وله ايضاً : فاعول بين السريانية والعربية ٤٥ ومعاني الابنية في العربية للدكتور فاضل السامرائي / ١١٦ . وقد درس هذا (الوزن) في كتاب : (فاعول صيغة عربية صحيحة) لكاتب البحث ، نشره المجمع العلمي ببغداد ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م ، في (٣٠٠ صفحة) جمع فيه اكثر من الف لفظ ورد على (فاعول) .

(٢٢) ديوان الادب ١ / ٣٧٠ والجمهرة ٣ / ٣٨٨ وليس ٨٨ والممتع ١ / ٩٤ و ٩٧ ، والمزهر ٢ / ١٩ .

(٢٣) مجاز القرآن ١ / ٨ وادب الكاتب ٣٨٤ ومجالس ثعلب ٤٥٤ والصاحبي ٦٢ . ومقدمة المعرب ٤ – ٦ واللسان ١ / ٣٢٠ وتشريف التعريف ١٥٣ و ١٧١ والمهذب ١٩٥ والتذييل ٥ .

(٢٤) العين ١ / ٣٩٠ والبارع ٤٢٤ والمجمل ٢ / ٥٨٣ والمقاييس ٣ / ٤١٢ والحجة لابن خالويه ٤٧ وسر الصناعة ١ / ١٧٤ والممتع ٢٧٦ ، واللسان ١٥ / ١٠٥٨ والتاج ٢٢ / ٥٤٠ .

(٢٥) النهاية ٣ / ١٢٨ واللسان ١٥ / ٨ .

(٢٦) سر الصناعة ١ / ١٦١ – ١٨٦ والانصاف ١ / ١٠٨ ، والتكملة ١ / ٣٤٥ ولطائف الاشارات ١ / ٢٠٥ وبصائر ذوي التمييز ٢ / ٢٨٤ وتاج العروس ٨ / ٢٤٥ .

(٢٧) المحتسب ١ / ٥٩ .

(٢٨) تفسير غريب القرآن ١٢٩ والكشاف ١ / ٥٢٥ والتعريف والاعلام ٤٨٠ .

(٢٩) مجلة (البحث العلمي - الرباط / ص ٢٩ – ٣٠ س ١٦) .

(٣٠) مجاز القرآن ١ / ١٣٩ واعراب القرآن للعكبرى ١ / ١٠٨ والقرطبي ٣ / ٢٨١ والتعريف والاعلام ٢٥ والتاج ٤ / ٤٨٠ ، واللسان ٢ / ٢١ ولعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (ت – ١٢٨٥ هـ / ١٨٦٩) رسالة بعنوان (الطاغوت وانواع العبادات) (الدارة ع / ١ ص ١٣ س ٦ : ١٤٠٠ هـ احمد بن حافظ الحكمي) .

(٣١) الكتاب ٣ / ٢٤٠ والمذكر والمؤنث للفراء ٩٨ وللمبرد ٩٨ والانباري ٢٢٩ واعراب القرآن للعكبري ١ / ٢٠٥ مشكل اعراب القرآن ١ / ١٣٧ وفقه اللغة ٣٣٥ .

(٣٢) اعراب القرآن ١ / ٢٨٣ .

(٣٣) معاني القرآن للفراء ١ / ٢٧٣ والمحتسب ٢ / ٢١٨ ومختصر شواذ ١٦ والبحر المحيط ٢ / ٢٨٣ وينظر : القراءات القرآنية للدكتور عبد الصبور شاهين ٣٨٨ .

(٣٤) (المقارن) مصطلح اول من استعمله الاديب العربي المرحوم خليل هنداوي .

(٣٥) الالفاظ السريانية في المعاجم العربية ١٠٨ و ٢٧٧

ومجلة (العربي ـ ١٠٦ / ١٣٨٥ هـ ـ الاب اسحق ساكا) .
(٣٦) فقه اللغة ٣١٦ .
(٣٧) رسائل في الفقه واللغة ٢٠٤ والزينة ١ / ١٤٦ وبين الحبشة والعرب ٩٩ .
(٣٨) الحجة لابي علي ١٠٨ وسر الصناعة ١ / ١٥٨ والمحتسب ٢ / ٣٦٣ والمبرد ٩٨ والزينة ١ / ١٤١ والممتع ٢٧٦ واللسان ١٥ / ٩ .
(٣٩) المحتسب ١ / ١٣٢ و ٢ / ٢١٨ .
(٤٠) ينظر : غريب الحديث للخطابي ١ / ٢٤٩ واللسان ١٣ / ١٣٦ (ج / ي / ن) .
(٤١) المحتسب ١ / ١٣٢ .
(٤٢) المحتسب ١ / ١٣٢ وينظر ٢ / ٣٦٣ والحجة لابن خالويه : ٤٧ .
(٤٣) المحتسب ١ / ١٣٢ وينظر :
العين ٤ / ٤٣٥ والكتاب ٢ / ٢٢ والبارع ٤٢٤ والبيان في غريب اعراب القرآن ١ / ١٦٩ ومشكل اعراب القرآن ١ / ١٣٧ والعكبري / ٢٠٥ والنهاية ٣ / ١٢٨ واللسان ١٥ / ٨ ـ ٩ والمزهر ٢ / ٢٥ وأبنية الصرف في كتاب سيبويه ١٥٨ .
(٤٤) المذكر والمؤنث ٢٣١ .
(٤٥) تحفل بدراسة هذا اللون من الكلمات كتاب (الزينة) لابي حاتم الرازي .
(٤٦) شرح الفصيح لمؤلف مجهول (مخطوط / الورقة ١٩١ ـ م) والتاج ٥ / ٥ .
(٤٧) الكتاب ٢ / ٣١٨ والمزهر ٢ / ٨ ، ٩ ـ ٢٤ ، وراجع : أبنية الصرف ٤٣٥ .
(٤٨) الالفاظ السريانية في المعاجم العربية ٢٧٧ .
(٤٩) فاعول بين السريانية والعربية للدكتور ابراهيم السامرائي ١ .
(٥٠) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (مجمع اللغة العربية) م ٥ ص : ٤٧٣ بحث بقلم (محقق) والالفاظ السريانية ١٠٨ .
(٥١) الزينة ١ / ١٤١ واللسان ١٥ / ٩ والاتقان ١ / ٢٣٩ .
(٥٢) فقه اللغة ٣٠٥ (القاهرة ١٣٩٢ هـ) .
(٥٣) لغات القرآن المنسوب الى ابن عباس ، والمعرب ، حيث لم يدرجها الجواليقي فيه . وينظر : شرح الشافية ١ / ١٥ ، والتكملة ٦ / ٤٦١ ، والجمهرة ٣ / ٤١٧ .
(٥٤) مجاز القرآن ١ / ٧٩ و ١٢٩ وبحر العلوم ١ / ٦٩٦ والطبري ٥ / ٤٢٥ ـ ٤٢٨ والبحر المحيط ٣ / ٥١٣ وتحفة الاديب ١٧٦ وتفسير ابن عربي ١ / ١٤٥ والصحاح ٤١٣ ، ومعاني القرآن للاخفش ١ / ١٨١ .
(٥٥) تفسير غريب القرآن ١٢٩ والمذكر والمؤنث للانباري ٢٣٢ و ٢٨٥ وغريب القرآن للزيدي ٩٦ والكشاف ١ / ٣٠٤ و ٥٢١ والاتقان ١ / ١٨٢ ونزهة الاعين النواظر ٤١٠ وتحفة الاديب ١٧٦ .
(٥٦) العين ٢ / ٤٩ و ٤ / ٤٣٥ ـ ٤٣٦ والمحتسب ٣ / ٢٤٠ والصحاح ٢٤١٣ وقاموس القرآن للدامغاني ١٩٧ واعراب القرآن للزجاج ١ / ٣٣٦ ونزهة الاعين ٤١٠ والتاج (ط / غ / ى) والتكملة ٦ / ٤٦١ .
(٥٧) تفسير غريب القرآن ١٢٩ والكشاف ١ / ٦٥٣ والتعريف والاعلام ٢٥ ونزهة الاعين ٤١٠ والتاج ٤ / ٤٨٠ و ٨ / ٣٢٨ واللسان ٣ / ٢٧٣ (عبد) والبارع ٤٢٤ ، وتفسير مجاهد ١٦٤ ، والوجوه والنظائر لهارون : ٩٦ .
(٥٨) الكتاب ٣ / ٢٤٠ والمذكر والمؤنث للفراء ٩٨ والمفردات ٤ .
(٥٩) المذكر والمؤنث للانباري ٥٨٥ ـ ٥٨٦ والنهاية ٣ / ١٢٨ وينظر : التاج ٩ / ٣٧٣ وديوان العباس بن مرداس .
(٦٠) مجلة « البحث العلمي ـ الرباط / العدد ٢٩ ـ ٣٠ السنة / ١٦ ، ص ١٠١ ـ ١١٠ ، ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م / حول الطاغوت في القرآن » .
(٦١) المعرب ٢٢٧ واعراب القرآن للعكبري ١ / ١٩٧ والتكملة ١ / ٣٠٤ والتاج ٥ / ٦ .
(٦٢) التعريف والاعلام ١٨ والتاج ٤ / ٤٨٢ .
(٦٣) العين ١ / ٢٣٢ والتذييل والتذنيب .
(٦٤) المحتسب ١ / ١٢٩ والمزهر ٢ / ٧٣ والتاج ٤٦٧ وشرح الكافية ٤ / ٢١٦١ والدخيل في اللغة العربية للدكتور فؤاد حسنين ، آداب جامعة فؤاد الاول م / ١٠ ج ٢ ، ١٩٤٨ م ص ١١٢ ، وبصائر ذوي التحييز ٢ / ٢٩٠ .
(٦٥) ينظر :
رسائل اخوان الصفا ٤ / ٣٥٩ والتكملة ١ / ٣٤٦ واشارات المرام ٣٣٠ والتاج ٥ / ٩٤ ، وكتاب الجغرافية للزهري : ٢٣٠ وشروح سقط الزند ٤ / ١٥٨١ .
(٦٦) تفسير القرطبي (الجامع لاحكام القرآن) ج ٢ / ٥٤ .
(٦٧) تاج العروس ج ٥ / ٩٤ والتكملة ١ / ٣٤٦ .
(٦٨) شرح لامية الافعال لابن مالك / لولده بدر الدين ٢٥ والممتع ١٢٥ . ومن الطريف ان قولة مأثورة للسيد جمال الدين الافغاني هتف بها بقوله : « أمة البقروت » ..
(٦٩) الكتاب ٤ / ٢٧٢ و ٣١٦ ـ ٣١٧ والجمهرة ٣ / ٤١٧ والمزهر ٢ / ٦٨ وينظر : الاثار الارامية لداود الجلبي : ٥ (فعلوت : صيغة آرامية ...) .

ابداعات العرب في اساليب الري والفلاحة

أ. د. صبري فارس الهيتي
لية الاداب / جامعة بغداد

كان للعرب عبر تراثهم الحضاري الممتد منذ ايام السومريين والاكديين والبابليين والاشوريين في وادي الرافدين، دور مميز في علوم الرى والفلاحة وقد تواصلت هذه الجهود العلمية من الانباط، ثم في زمن الدولة العربية الاسلامية وخاصة في القرنين الثالث والرابع الهجريين وامتد هذا التقدم العلمي حتى القرن الثامن الهجري في الاندلس، حيث كان لعرب الاندلس دور مميز في علوم الرى والفلاحة.

وقد تناول هذا البحث ما تمخضت عنه هذه الجهود من تاليف لموسوعات علمية وكتب متخصصة بهذين العلميين فشملت الرى والزراعة وتصنيف التربة والاستدلال على مكامن المياه الجوفية وتربية الحيوانات والبيطرة والاهتمام بالنباتات واصنافها وخزن المنتجات وتقاويم الزراعة واجراء التجارب العلمية على المحاصيل والاشجار.

ولذا فقد عني الباحث بجرد جهود اولئك العلماء الافذاذ في هذا المجال والتي شملت كتبا ومصنفات لاكثر من عشرين عالما ابتداء من المازني سنة ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م وانتهاء برضي الدين الغزى العامرى ٩٣٥ هـ / ١٥٢٩ م وكما موضح فيما ياتي وسيتم رصد بعضا من مواضع الاصالة لعدد من اولئك العلماء في النتاجات العلمية التي تخص موضوعي الري والفلاحة.

علماء العرب الذين عنوا بالرى والفلاحة:

- النضر بن شميل التميمي المازني (٢٠٤ هـ / ٨١٩ م) كتابه (الصفات في اللغة) يحتوى الجزء الخامس (الزرع والكرم واسماء البقول).
- ابو سعيد عبد الملك بن قريب الاصمعي، ٢١٤ هـ / ٨٣١ م كتابه (النبات والشجر).
- ابو حاتم السجستاني، (٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م) كتابه (الخصب والقحط).
- ابو سعيد السكري (ت ٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م) كتابه (النبات).

٥ - ابو حنيفة احمد بن داود الدينوري، ت ٢٨١ هـ كتابه (النبات).

٦ - ابو بكر احمد بن وحشية ٢٩١ هـ / ٩٠٤ م) كتابه (الفلاحة النبطية).

٧ - قسطوس بن لوقا البعلبكي (٢٩٥ هـ / ٩٠٨ م) كتابه (الفلاحة الرومية)، طبع الكتاب في مطبعة الوهبية في القاهرة سنة ١٢٩٣ هـ / ١٧٨٦ م.

٨ - المفجع البصرى، ت (٣٢٧ هـ) كتابه (الشجر والنبات).

٩ - ابن خالويه ابو عبد الله الحسين بن احمد

(٣٧٠١ هـ / ٩٨٠ م)، كتابه (الشجر)، نشره صموئيل ليندبرج، برلين ٩٠٩ م.
١٠ - ابو القاسم الزهراوي ت سنة ٤٠٤ هـ / ١٠١٠ م كتابه (مختصر الفلاحة).
١١ - ابو بكر الحاسب الكرخي ت سنة ٤٠٧ هـ (الري عند العرب).
١٢ - ابن الحجاج الاشبيلي، ابو عمر احمد بن محمد ٤٦٦ هـ / ١٠٧٣ م كتابه (المقنع) حققه سنة ١٩٨١ م ابراهيم مهاوش وصلاح جرار.
١٣ - ابن الخير الاندلسي الاشبيلي (٤٩٤ هـ / ١١٠٠ م) كتابه (النبات)، اعتمد في تاليفه على تجاربه الزراعية الخاصة.
١٤ - محمد بن ابراهيم بن بصال ت سنة ٤٩٩ هـ / ١١٠٥ م كتابه (ديوان الفلاحة) سماه (كتاب القصد والبيان).
١٥ - محمد بن مالك الطغنري الغرناطي له كتاب بجزءين الفه سنة ٥٠٠ - ٥١٢ هـ / ١١٠٧ - ١١٢٨ م (زهرة البستان، نزهة الاذهان).
١٦ - ابو زكريا يحيى بن محمد بن العوام (٦٠٠ هـ / ١٢٠٠ م) له كتاب ضخم (الفلاحة) في ٣٥ بابا.
١٧ - ابن الرزاز الجزري ت ٦٠٢ هـ / ١٢٠٥ م كتابه (الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل).
١٨ - ابو المكارم اسعد بن مهذب بن مماتي (٦٠٦ هـ / ١٢٠٩) كتابه (الفلاحة المصرية)، حققه عزيز سوريال عطية وطبع سنة ١٩٤٣ م.
١٩ - ضياء الدين المالقي (٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م).
٢٠ - ابو عبد الله بن ابراهيم الوطواط (٧١٨ هـ / ٣١٨ م) كتابه (مباهج الفكر ومناهج العبر)، خصص الجزء الرابع منه للنبات والزراعة.
٢١ - شمس الدين محمد بن ابي بكر الانصاري ٧٢٧ هـ / ١٣٢٧ م، كتابه (الدر الملتقط في فلاحتي الروم والنبط) وله كتاب كبير اخر في الفلاحة (جامع فوائد الملاحة).
٢٢ - ابو عثمان سعيد بن ابو جعفر احمد بن ليون التجيبي ت (٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م) له كتاب (ابداء الملاحة وانهار الرجاحة في اصول صناعة الفلاحة) وهي ارجوزة اعتمد فيها على كتب ابن البصال والطغنري).
٢٣ - مؤلف مجهول كتابه (مفتاح الراحة لاهل الفلاحة) تحقيق محمد عيسى صالحية واحسان صدقي العمد، طبع في الكويت سنة ١٩٨٤.
٢٤ - رضي الدين الغزى العامرى ٩٣٥ هـ / ١٥٢٩ م، كتب عن الفلاحة في المشرق).

شذرات من مواطن الاصالة العربية في الفلاحة والري :

١ - تصنيف النباتات :

للعرب دور كبير في عرضهم للنباتات وتصنيفها الى مجموعات، اذ انهم توصلوا الى معايير للتصنيف لم تكن معروفة قبلهم، فنجد على سبيل المثال ان ابا زيد سعيد بن اوس (المتوفى سنة ٢١٥ هـ) اعتمد في تقسيمه للنباتات على معايير لم يتعرف عليها النباتيون الا حديثا، اذ بدأ كتابه بتقسيم النباتات حسب وجود الاشواك او عدم وجودها وهي (اي الاشواك) في المناطق الجافة، تعد معيارا مهما في تحديد صفاتها الظاهرية وقد قسم المؤلف النباتات حسب هذا المعيار الى العضاة، العض والشرس، وعضاة القياس (ليس لها اشواك) وشجر الشوك واعطى لكل مجموعة امثلة من النباتات.(١)

وهذا **ابن الفقيه** يكتب عن تصنيف النباتات على اساس التربة التي ينمو فيها : (وقد قيل : فرق ما بين الحجاز ونجد فليس في الحجاز غض، فما انبت الغضا فهو نجد (والغضا ينمو في الاراضي الرملية العميقة مثل رمال الدهناء).

وما انبت الطلح والسمر الاسل واحدته اسلة وهي تنبت في ادوية الحجاز. ومن المعروف علميا ان الغضا وغيره من الانواع التابعة لجنسه وفصيلته (فصيلة الرمرامية) تزدهر في فصل الخريف وتعطي ازهارها في هذا الفصل من العام قبل حلول مطر الشتاء. ويعد (**ابا علي الحسين بن عبد الله ابن سينا**) من ابرز من كتب وصنف في المجالات الزراعية :

اذ يرجع الفضل اليه في وصف مئات الانواع من النباتات والحيوانات بدقة كبيرة فهو اول من اشار الى ان النبات يشارك الحيوان في الانفعالات وبخاصة تلك التي تتصل بالغذاء كما تكلم عن التنافر والتكافؤ.(٢)

اما العالم **ابن وحشية** : في كتابه (الفلاحة النبطية) فقد تناول كل نبات ورد ذكره مع بيان اوصافه والارض التي تلائم انباته وزمن الزرع والفصل والهواء المناسبين ونوع السماد بالاضافة الى الفوائد الطبية والغذائية لكل نبات.

كما كتب :

وتختلف النباتات في المقادير من جهة الصغر والكبر وتختلف في الطباع والفعل من جهة غلبة الحر او البرد والرطوبة او اليبس فتختلف افعالها لذلك اذا كانت الافعال في الاكثر تابعة لهذه الكيفيات الاربع، وتختلف في القوام لان فيها الخشن واللين، كما تختلف في الثقل والخفة والالوان والطعوم والروائح.(٣)

٢ ـ تصنيف التربة :

كان تصنيف الترب من المواضيع التي اهتم بها العلماء العرب اهتماما بالغا ، ومنهم من اعتمد في تصنيفه على (نظرية الطبائع الاربعة) كما هو الحال في كتاب (**الراحة لاهل الفلاحة**)[٤] الذي اعتمد على الطبائع وهي الرطوبة واليبوسة والبرودة والحرارة واشتمل بناء على ذلك على توضيح الصفات الاساسية للترب ومدى تقبلها للماء وحاجتها للتسميد وطرق التعامل معها فظهر لديه عشرة انواع (كما في الجدول رقم ـ ٢)

كما بين الصفات الاساسية للترب وحاجتها للتسميد وهو امر يتوافق مع تصنيف ابن حجاج الاشبيلي في تصنيفه للاسمدة العضوية اذ يبين التصنيف انواع المحاصيل الزراعية التي تجود في الترب المختلفة التي تتباين في درجة صلاحيتها لانواع المحاصيل كما في الجدول رقم (١)

(١)
انواع الترب التي تصلح لزراعة اشجار الفواكه واشجار الزينة (حسب تصنيف الاشبيلي)

النبات	الارض التي توافقه
المشمش	الارض التي تميل الى الرطوبة والحر والارض اللينة .
التفاح	الارض الحرشاء
الاترج	الارض الطيبة اللينة السوداء المدمنة والرملة الرطبة
النرجس	الارض الحرشاء
السوس	الارض اللينة والحمراء والحارة والرطبة والارض السوداء المدمنة لا الغليظة

جدول (٢) تصنيف الترب على اساس الطبائع الاربعة (الرطوبة ، اليبوسة ، البرودة والحرارة)

نوع الارض	طبعها	ملاءمتها للنبات	خواصها وطرق الادارة
١) اللينة	باردة رطبة	يجود فيها النبات لاعتدالها	قابلة لكل ماء ، موافقة لكل هواء ، اساسها مفتوحة ، الماء ينفذها ، الهواء يتخللها غير محتاجة للتزبيل الكثير .
٢) الغليظة	حارة رطبة	يجود فيها اكثر الثمار	تنفتح وتنشق عند افراط الحر يسري فيها حر الهواء فاذا نزل الماء عليها انقبضت وانغلقت لا تحتاج هذه من الزبل الا اليسير ، تناسب اللينة بعض المناسبة
٣) الجبلية	باردة يابسة	لا يجود في هذه الارض كل نبات والذي يجود فيها اللوز والفستق والبلوط .	يوافقها الماء الغزير يوافقها الهواء ما كان حراً مفرطاً يوافقها الزبل الكثير . تناسب الارض اللينة في البرودة مائلة الى الحروشة من اجل يبسها .
٤) الرملية	باردة حارة	يجود فيها شجر التين والرمان والصنوبر والسفرجل والخوخ والمشمش والورد .	ينبغي الا يكثر عليها بالماء لان الماء يغيب بداخلها . لا بد لها من زبل مخروم متمكن من الحرارة والرطوبة .
٥) المدمنة	حارة يابسة	يجود فيها غاية الجود الخردل والبقول والتوت والتين والعناب والزيتون .	ينبغي لمن يباشر هذه الارض ان يبدأ فركها بالماء الكثير اذا غلب عليها وهجم عليها الحر هلك ما فيها من النبات سريعا .
٦) البيضاء	باردة يابسة	يصلح فيها من اثمار التين والكرم والزيتون .	لا تتحمل الماء الكثير لبردها وهي محتاجة الى كثرة الخدمة والتزبيل .

٧) الصفراء	باردة يابسة	لا يصلح لهامن الثمار الا ما كان له اصل يخرقها وينفذها	تحتاج الى المعاناة بالزبل الكثير بلزوم الخدمة وتكرار العمل .قريبة من الارض البيضاء في الطبع والجوهر ، الا ان هذه الارض ادنى واقل فائدة .
٨) الحمراء	حارة يابسة	يوافقها من اثمار التفاح ، الاجاص التوت ، اللوز ، الورد لا ينبت فيها الاما كان له اصل	محتملة للماء الكثير ، لا تحتاج الى الزبل الكثير في تربتها غلظة ولهذا احتاجت الى العنف عليها فهي تحرث وتقلب اسفلها اعلاها واعلاها اسفلها .
٩) الحرشاء	باردة يابسة	يجوز فيها من اثمار الفستق الجوز الورد ، الاجاص ، الكرم التين .	تحتاج الى تقليل الماء وتحتاج الى الزبل .
١٠) المدكنة	باردة يابسة		يوافقها من الزبل ما كان معتدلا في التعفين تحتاج الى الخدمة والقوة والعمارة وهي احط من الارض المفروسة .

كما ان ابن العوام في (كتابه الفلاحة) في الباب الثاني من الجزء الاول يشرح انواع الزبول (الاسمدة) ذات الاصل الحيواني والنباتي واهميتها في تحسين التربة من حيث الزراعة لمعظم انواع المحاصيل الزراعية .(٦)

كما اعطى ابن العوام وصفا علميا دقيقا عن كيفية معرفة جودة الارض من حيث صلاحيتها من عدمها وما هي الوسائل اللازمة لاصلاحها(٧) .

وتناول في الباب العاشر ، حراثة واصلاح اراضي البساتين ومواعيد تنفيذ ذلك وطريقة الاصلاح الملائمة لكل نوع من اشجار الفاكهة واختيار العمال الصالحين لذلك(٨) .

وبحث في الباب العشرين من الجزء الثاني(٩) زراعة الرز والذرة والدخن والعدس واللوبيا في الاراضي السيحية ومواعيد زراعتها والتربة الملائمة لكل منها .

وتوصل عبد الغني النابلسي(١٠) الى امكانية استخدام طرق اللمس والنظر في تصنيف الترب كما هو الحال في الوقت الحاضر حيث قال :

اعلم ان الارض تمتحن باللمس والشم والذوق والنظر ، فاللمس يكون بهرس الطين باليد ، فاذا كان ملتصقا بها شديدا شبيها بالشمع فهي رديئة غير متوافقة ، واذا غسل التراب بالماء وكان الطين اكثر كانت جيدة واذا كان الرمل اكثر فغير جيدة .

والشم : بان يؤخذ التراب من اسفل الحفر ويوضع في اناء من زجاج ويصب عليه ماء عذب طيب ، ويمرس ثم يشم فالمنتن الرائحه والكريه والخبيث لا خير فيه وهو رديء .

والنظر بمشاهدة خصب ما يثبت فيها العشب وعظمه واتفاقه وتوسط ذلك يدل على الوسط ، والنظافة والدقة ، وسرعة الجفاف يدل على الضعف .

ويصف النابلسي انواع الزبل وجودته قائلًا :-

اجود ، زرق الحمام ، ثم زبل الناس ، ثم زبل الحمير ، ثم الضان ، ثم البقر ، ثم الخيل ، والبغال احسنها اذا خلط بغيره ... لا يستعمل الزبل في سنة الا معتقا وكلما عتق كان احسن ليذهب نتن رائحته وطراوته ثم يشرح طريقة التسميد مثلا على الكرم قائلا :

(يحفر حول حفرة يجعل الزبل فيها مقدار ارتفاع اربعة اصابع ملاصقا للكرم ويغطى بقليل من الترب . وقيل لا يلاصق اصل الكرم البتة وهو متجه (اي بدا يورق) .

٣ - التجارب العلمية في الزراعة :

كان العديد من العلماء العرب في مجال الفلاحة قد الفوا كتبهم بموجب تجارب علمية قاموا بها على النباتات في حقول خاصة بهم ، فهذا محمد بن مالك الطغنري الغرناطي يكتب : مشيرا الى تجاربه العلمية من خلال توجيه النقد لاحد الكتاب المعاصرين :

واما عريب هو عريب ابن سعيد صاحب كتاب اوقات السنة) ، فاكثر ما ذكره في كتابه في اوقات الفراسة والزراعة تقول من لم يجرب ولا تكلم الا بهواه ومن شاء امتحن اقواله بالتجارب يبدو له الصحيح منها من السقيم) .(١١)

وعند زراعة الخوخ يكتب اتفق الناس من اهل الفلاحة واجمعوا على ان شجر الخوخ قليل العمر سريع الفساد وانا ابين

بالحجة البينية والبرهان الواضح ان شجر الخوخ اذا وقع النظر فيه بالوجه الذي انا واضعه على ما ذكرته العلماء الاوائل من اهل التجارب ان يبقى ما شاءالله تعالى[١٢] .

وكان ابن العوام[١٣] متميزا في اختباراته الحقلية التي اجراها بنفسه لجميع الطرق الزراعية التي دونها في كتابه (الفلاحة) الذي ضم ٣٥ بابا تناول جميع العلوم الزراعية ، اذ ضم (السفر الاول) منه ١٦ بابا اختصت بالتربة والتسميد ، والرى والبستنة والتقويم الزراعي وتاثير العوامل البيئية في الزراعة وفي تربية وتحسين النبات .

(اما السفر الثاني) فضم ١٩ بابا اختصت في اهمية الطاقة الشمسية لاصلاح الارض والزرع وعلم المحاصيل الحقلية والخضر والنبات والحدائق وقد عد الكتاب الموسوعي الوحيد الذي وصل الينا ومن نصائحه العلمية في استصلاح التربة المتاثرة بالملوحة ما ياتي :

ينصح ابن العوام باستعمال :ـ

١. الحراثة الضحلة بصورة خاصة عند ظهور قشرة نررية بيضاء اللون على سطح التربة . هذه الظاهرة مؤشرة لجمع الاملاح نتيجة اتباع عمليات رى خاطئة .
٢. غسل التربة بعد حراثة غير عميقة تغسل التربة بماء خالي من الاملاح بعد ذلك .
٣. تسميد التربة بالسماد العضوي . تغطى التربة ببقايا النبات وتترك بورا لموسم او اكثر ، بعدها تهيا التربة للزراعة من جديد .

(٤) التعرف على مكامن المياه الجوفية :

يذكر النابلسي ١٠٥٠ ـ ١١٤٣هـ / ١٦٤٠ ـ ١٧٣٠ م طرقا لمعرفة وجود او عدم وجود المياه الجوفية فيقول :

(١) ان الجبال والاراضي التي تحتها مياه كثيرة محتبسة قريبة من وجه الارض يظهر على سطوحها نداوة ظاهرة تحس باللمس وترى بالعين لا سيما في اول ساعة من النهار وفي اخر ساعة منه يظهر ذلك وجه الارض ويظهر فيها شبيه عرق ونداوة .

(٢) ومتى اردت التيقن من ذلك فخذ شيئا من التراب السحيق فقرب وجه حجارة تلك الجبال وسطح الارض وانتظر الى المساء ، فان رأيت ذلك التراب قد تندى ففيه ماء قريب من وجهة الارض ويقدر كثرة النداوة وقلتها تكون كثرة الماء وقلته وقربه ايضا وبعده .

(٣) واذا عجنت شيئا من ترابها ووجدت فيه صمغية فهي ريانة فيها ماء كثير .

(٤) واذا رايت العدار الذي على وجهها يابسا جدا فلا ماء فيها .

(٥) وكذلك يستدل بالسمع وذلك بوضع الاذن قريبا من الارض فان سمع في باطنها دوى في غور من الجبال فثم الماء .

(٦) واما الاستدلال بما جربه الحكماء فمنه ان يحفر في الارض التي بنيت فيها النبات حفرة عمقها ثلاثة اذرع يوضع فيها اناء (الشكل ١) ، فاذا كان قد استنقع الصوف في النداوة ففي ذلك ماء وان كان قد ترطب وتندى الصوف فالماء فيه وسط ، وان لم يكن كذلك ، فالماء في غاية البعد وان كان جافا فليس فيه ماء اصلا ، او حالت دونه طبقة من حجر صلد .

(٧) ان تحفر عمق ذراع ويؤخذ من تراب اسفلها فينقع في ماء عذب في اناء نظيف . وتذاق التربة وبدرجة الطعم يعرف قرب وبعد الماء فان كان في طعمها مرارة ، فتلك الارض عديمة الماء البتة .

(٨) ويشم ذلك التراب فان كانت رائحته كرائحة التراب المستخرج من السواقي والانهار فبين الماء وبين وجهة الارض اذرع يسيرة .

(٩) ومما يدل على قرب الماء ايضا في الارض السهلة ان ينبت فيها القصب والسرو .

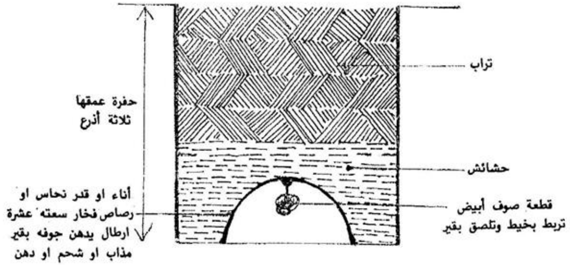
٥ ـ تصنيف مياه الرى حسب نوعياته :

شخص العلماء العرب اهمية نوعية مياه الرى في الزراعة فقسموها حسب نوعيتها ، فقد ذكر في كتاب **مفتاح الراحة لاهل الفلاحة** ان ابن بصال (ت ٤٩٩ هـ / ١١٠٥ م) قسم مياه الرى الى اربعة انواع ماء المطر ، وماء الانهار وماء العيون وماء الابار .

فاما ماء المطر فهو افضلها واحمدها يجود به سائر النبات من الخضر والثمار وذلك لعذوبته ورطوبته واعتداله ، تقبله الارض قبولا حسنا ويغوص في جميع اجزائها ، فلا يبقى منه على وجهها اثر .

واما **مياه الانهار** فانها تختلف في طبائعها بالبرودة واليبوسة والرطوبة وهي بجميعها صالحة وموافقة لجميع الخضر والنبات الا ان من شان ماء النهر ان يذهب برطوبة الارض فيحتاج ما بها من الخضر والنبات الى التذبيل الكثير ، لضعف ذهاب اصولها تحت الارض .

واما **مياه العيون والابار** العذبة الحلوة ، فهي موافقة لجميع الخضر وجميع ما يزرع في البساتين من جليل ودقيق وهذا الماء في طبعه ارضي ثقيل بخلاف ماء المطر ويوافقه من الخضر ما له اصل ، لان هذا النبات يالف الارض فهو مشاكل لماء العيون والابار .



شكل (١)
معرفة قرب او بعد المياه الجوفية

- فان كان قد استنقع الصوف في النداوة ففي ذلك ماء
- وان كان قد ترطب وتندى الصوف فالماء فيه وسط
- وان لم يكن كذلك فالماء في غاية البعد
- وان كان جافا فليس فيه ماء اصلا او حالت دونه طبقة من حجر صلد -

هوامش البحث

(●) ما وضع في الهوامش هو اضافة الى ما تم ذكره في قائمة الموسوعات والمصادر في اول البحث .

(١) كمال الدين البتانوني ، النبات والبيئة في التراث العربي ، الندوة القومية الاولى مركز احياء التراث العلمي العربي ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ص ١٩٢ .

(٢) د . عبد الحكيم عبد اللطيف ، الدور الريادي للحضارة الاسلامية في مجالات الزراعة ، الندوة القومية ، نفس المصدر ، ص ١٨١ .

(٣) ابن وحشية ، الفلاحة النبطية .

(٤) مؤلف مجهول ، الراحة لاهل الفلاحة من القرن الثامن الهجري ، تحقيق محمد عيسى صالحية ، الكويت ، ١٩٨٤ .

(٥) رعد عمر صالح ، استعمال نظرية الطبائع الاربعة (تصديف التربة في كتب الفلاحة) ، الندوة القطرية الثالثة ، مركز احياء التراث ، بغداد ، ١٩٨٧ .

(٦) ابن وحشية ج ١ ، ص ٩٨ - ١٣٤ .

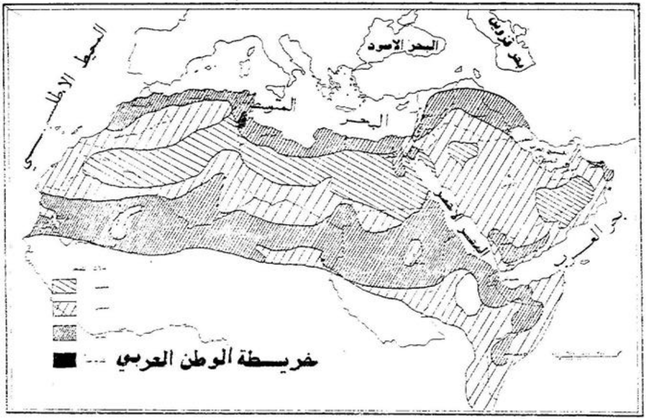
(٧) (٨) ، (٩) : ابن العوام ، كتاب الفلاحة ، نشر جوزيف تانكرى ، مدريد ، ١٨٢٢ ، ص ٣٥ .

(١٠) الشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي ، علم الملاحة في علم الفلاحة ، دار الافاق ، بيروت ، ١٩٧٩ .

(١١) محمد بن مالك الغرناطي ، زهرة البستان ونزهة الاذهان (مخطوط) ، عن مكتبة الخزانة العامة بالرباط ، ورقة ١١٨ .

(١٢) المصدر نفسه ، ورقة ٩٩ .

(١٣) ابن العوام ، ص ٥١١ - ٥٣٤ .



شكل رقم (١) التصحر



شكل رقم (٢) توزيع الامطار

نونية ابن زيدون

- ٤٦٣ هـ

قراءة تحليلية

د . احمد حاجم الربيعي
كلية التربية ـ الجامعة المستنصرية

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ المقدمة (فضاء الباحث) :

تعددت قراءاتي في الشعر الاندلسي ، موضوعاته وأغراضه ، وموشحاته وأزجاله ، وقد استوقفتني في غرض الغزل قصيدة ابن زيدون في محبوبته ولّادة التي ذاعت شهرتها باسم (نونية ابن زيدون) نسبة الى حرف النون روي قافيتها . ولا أعرف قصيدة نالت شهرة حتى طبقت الافاق ، وترددت أبياتها على ألسنة العشاق ، وزاد حُفّاظها ، وتعدد رواتها ، وكثرت معارضاتها ، وتذوكر بها في مجالس الأدب ، وتناولت أقلام الأدباء بعض أبياتها بالشرح والتفسير مثل نونية ابن زيدون .

قرأت ما كتب عنها فلم يكن سوى شروح لبعض الابيات ، أو انفعالات تجاه معانيها تتعدى حدود النص ، وتتجاوزه الى حياة الشاعر . أو المظهر الخارجي للقصيدة بصورة عامة ، وتضع تصوراً سابقاً لحقيقة موضوعها ، وتعمل على تسخير النص في خدمة هذا التصور ، وهو لا يتعدى ـ حسب الدراسات الحديثة ـ الفضاء الخارجي للقصيدة ، المكوّن من الشاعر (المرسل) ، والحبيبة (المتلقي) ، والقصيدة (الرسالة) والبيئة المحيطة بها .

لا يمكن إن ننكر مالهذا الجانب ــ الفضاء الخارجي ــ من تأثير في الشاعر وقصيدته ، الّا أننا لا يمكن أن نهمل الجانب الاخر للقصيدة وهو (الفضاء الداخلي) الذي لم يتعرض اليه الباحثون ، مما دفعني الى قراءة القصيدة قراءة تحليلية تتجاوز تلك الاطر التقليدية ، إذ تتغلغل في باطن القصيدة فتعمل على تفكيك رموزها الى أوجه متعددة عبر مستوياتها ، فتكشف عما لم يلاحظه الدارسون من مداخلات في القصيدة ، هيمنت على انماطها ولغتها .

إن هذه القراءة محاولة للتقرب من طبيعة النص ، وتعرفه بوسائل مختلفة ، تتفق جميعها على اسقاط التصورات السابقة له ، ولا يبقى سوى النص بروحه وجسده ، فتقوم بتشريح بنيته ، وتشخيص روابط تركيبه ، وتحديد العلاقات فيما بينها ، وتعمل على تفكيك وحداته وتكشف عن دلالاته ، وتعيد صياغتها بمحاور أساسية تسمح باعادة تشكيل القصيدة بمعطيات جديدة .

اننا في نونية ابن زيدون إزاء تجربة ذاتية تتعلق بحياة الشاعر من قريب أو بعيد ، وفي هذه القراءة لا نحاول تقويم تلك التجربة لبيان فاعليتها ، وإنما ندع نصاً أدبياً يُعبّر عن نفسه ، ويتحدث عن قيمته الفنية .

٢ ــ الفضاء الخارجي للقصيدة :

أ ــ الشاعر (المُرسل) :

ابو الوليد احمد بن عبد الله بن احمد بن غالب بن زيدون المخزومي[١] ولد بمدينة قرطبة سنة ٣٩٤ هـ ونشأ فيها ، وكان « من أبناء وجوه الفقهاء بقرطبة »[٢] إذ كان أبوه قاضياً ، توفي ابوه وهو في الحادية عشرة من عمره ، ففقد بوفاته ركناً أساسياً في حياته ، ولكن ذلك لم يمنعه من متابعة علومه .

ومن يتأمل في رسالتيه الجدية والهزلية يجد فيضاً من المعارف التاريخية والثقافة الاسلامية والفلسفية ، وكثيراً من أخبار العرب وأشعارهم وأمثالهم ولغتهم ، ولا شك في أن مثل هذه الثقافة قد تلقاها في حلقات العلم في قرطبة ، على يد مشاهير علمائها .

عاصر ابن زيدون في طفولته وصباه أحداث الفتنة القرطبية التي حدثت بعد وفاة المظفر بن الحاجب المنصور عام ٣٩٩ هـ ، فاعقب ذلك صراع شديد بين المتنافسين على الخلافة التي فقدت هيبتها ، إذ تولى السلطة عدد كبير من الخلفاء قبل قيام دولة بني جهور في قرطبة (٤٢٢ - ٤٦١) هـ في عصر الطوائف .

ويبدو ابن زيدون من مدائحه لبني جهور من مناصريهم ، مما حدا بأبي الحزم الى تقريبه واستخدامه لما توسّم فيه من شخصية فذة وأدب رفيع ، فكان « زعيم الفتنة القرطبية ، ونشأة الدولة الجهورية الذي بهر بنظامه ، وظهر كالبدر ليلة تمامه ، فجاء من القول بسحر ، وقلّده ابهىٰ نحر ، وكلفت به تلك الدولة حتىٰ صار ملهج لسانها ... »[٣] .

وقد تغيّر بعد ذلك ابو الحزم عليه فسجنه ، واختلفت الاراء في سبب سجنه ، فهناك من يرىٰ ان الوزير إبن عبدوس نسب اليه محاولة القيام بثورة على بني جهور[٤] وهناك من يرىٰ ان السبب المباشر لسجنه تهمة الصقت به وهي محاولته استغلال إرث أحد الأسياد بعد وفاته[٥] وقد تولى محاكمته القاضي عبد الله بن احمد المعروف بابن المكوي عام ٤٢٢ هـ ، فامر بسجنه لموجدة قديمة بينهما .

ولكن الدوافع الحقيقية لسجنه بسبب هذه التهمة التي دفعها عن نفسه في رسالته الى أستاذه أبي بكر بن مسلم ، فاثبت فيها أن هذا السيد لا يملك شيئاً حتىٰ يستطيع أن يسلب إرثه[٦] وانما كانت لاسباب نذكرها :

١ ــ كثرة الحساد والوشاة من حوله ، وقد نال منزلة كبيرة لدى أبي الحزم بن جهور وولده أبي الوليد ، وقد ذكر ذلك في رسالته لابن جهور من سجنه « فكيف ولا ذنب الّا نميمة أهداها كاشح ، أو نبأ جاء به فاسق ... »[٧] .

٢ ــ تحريض الوزير ابن عبدوس على ابعاد غريمه ابن زيدون عن قرطبة ، ومحاولته إيهام السلطة بميله الى الخلافة الاموية ، ويتجلى ذلك من خلال علاقته بولادة بنت الخليفة الاموي المستكفي بالله التي تتصل بنسبه لبني مخزوم ، وكذلك تصنيفه كتاباً فيٰ بني أمية وهو (التبيين في خلفاء بني أمية في الاندلس)[٨] .

٣ ــ وجود خلاف بينه وبين القاضي إبن المكوي الذي اتهمه باستغلال إرث أحد الأسياد ليلزمه بذنب شرعي يؤدي به الى السجن .

وهكذا قضى ابن زيدون خمس مائة يوم في السجن كما في قوله :

أقصبرُ مئين خمساً من الايّا
مِ نـاهيكَ من عـذابٍ أليم[٩]

واستشفع ابن زيدون بأبي الوليد فلم يلق من أبي الحزم الّا الجفاء ، فتسلل من حبسه ، وفرّ الى اشبيلية عام ٤٢٣ هـ ،

حتفاء ملئها المعتضد بن عباد بالحفاوة والترحيب[10] وفي طريقه الى اشبيلية جذبته الاشواق الى قرطبة وحبيبته ولادة ، فكتب قصيدته النونية اليها .

ولم يطق ابن زيدون البقاء بعيداً عن قرطبة وحبيبته ولادة ، فعاد متخفياً في ضاحيتها الزهراء ، وأخذ يراسل أصحابه مستشفعاً بهم لدى ابن جهور ، ثم يحظى بعفو بفضل أبي الوليد ابن حاكم ، وتتوثق المودة بينهما ، وبعد توليه الحكم بعد وفاة ابيه سنة ٤٣٥ هـ يعهد لابن زيدون بالسفارة الى ملوك الطوائف ، فيجد لديهم الحفاوة والترحيب ، ثم يصرف عنها بتدخل الوشاة .

وعزم على الرحيل الى المعتضد بن عباد باشبيلية فوافاها سنة ٤٤١ هـ ، « فجعله من خواصه ، يجالسه في خلواته ، ويركن الى إشارته »[11] ويجد الحفاوة نفسها لدى ابنه المعتمد ابن عباد ، ولكنه لم ينس قرطبة واحبابه فيها .

ولما ثار أهل قرطبة على أبي الوليد بن جهور ، ونادى اهلها بالمعتمد ملكاً عليهم ، يعود ابن زيدون الى قرطبة ، وتتر عيناه برؤية اهله ووطنه ، ولكن ذلك لم يدم طويلاً . إذ حدثت فتنة في اشبيلية سنة ٤٦٣ هـ ، فارسل المعتمد اليهم جيشاً ومعهم ابن زيدون لمكانته بين أهلها على الرغم من مرضه ، فتنتهي الفتنة ، وتنتهي حياته هناك بعيداً عن مدينته وأهله وأحبابه .

ب ــ الحبيبة (المتلقي) :

وهي ولادة بنت الخليفة محمد بن عبد الرحمن المستكفي بالله ، بويع سنة ٤١٤ هـ في مرحلة فتنة قرطبة . « وكانت ولايته ستة اشهر وأياماً ، وكان في غاية ... وركاكة العقل وسوء التدبير »[12] وقد خلع بعد ذلك ، فلحق بالثغور وقتل هناك .

ولم يذكر المؤرخون سنة ولادتها ، ولكنهم ذكروا سنة وفاتها ، فالمقري يذكر أن وفاتها كانت سنة ٤٨٠ هـ أو سنة ٤٨٤ هـ[13] وابن بسام يذكر ان عمرها طال وأربى على الثمانين[14] مما يعني ان ولادتها كانت في عام ٣٩٦ هـ أو ٤٠٠ هـ ، وان عمرها بعد وفاة أبيها يقارب العشرين .

نالت ولادة ثقافة واسعة منذ طفولتها ، فتفتحت مواهبها ، وبعد وفاة أبيها أطلقت عنان نفسها ، وجاهرت بحريتها فكانت « واحدة أقرانها حضور شاهد ، ومرارة أوابد ، وحسن منظر ومخبر ، وحلاوة مورد ومصدر ، وكان مجلسها بقرطبة منتدى الاحرار المصر ، وفناؤها ملعباً لجياد النظم والنثر ، يعشو أهل الأدب الى ضوء غرتها ، ويتهالك أفراد الشعراء على حلاوة عشرتها ... »[15] .

ولعل هذا المنتدى الأدبي المكان الاول للقاء بين ولادة وابن زيدون وهما في ريعان الشباب ، فاعجب بجمالها وقوة شخصيتها ، واعجبت بشاعريته ، فهام بها .

وروى لنا عن ذلك اللقاء الاول « كنت في أيام الشباب ، وغرة التصابي هائماً بغادة تدعى ولادة ، فلما قدر اللقاء ، وساعد القضاء ، كتبت اليّ :

ترقّب إذا جنّ الظلام زيارتي
فإني رأيتُ الليلَ أكتم للسرّ

... فلما طوى النهار كافوره ، ونشر الليل عنبره ، أقبلت بقدّ كالقضيب ، وردفٍ كالكثيب ، وقد أطبقت نرجس المقل ، على ورد الخجل ، فملنا الى روض مدبج ، وظل سجسج ، فلما شبينا نارها ، وأدركت فينا ثارها ، باح كل منا بحبه ، وشكا أليم ما بقلبه ... »[16] .

وفي احدى زياراته لولادة أشار الى جاريتها أن تعيد صوتاً غنّته ، فظنت ولادة انه يغازلها دون علمها ، فغضبت غضباً شديداً ، وكتبت اليه :

لو كنتَ تنصفُ في الهوى ما بيننا
لم تهـوَ جـاريتي ولم تتخيَّـرِ
وتـركتَ غُصناً مثمراً بجمـالـهِ
وجنحتَ للغُصنِ الذي لم يثمرِ[17]

وتشعر ولادة وهي المرأة أنها قد أهينت ، فتلعب الغيرة في قلبها ، وتحدث عندها ردة فعل إذ ينقلب حبها له الى جفاء شديد ، ولم ينفع معها اي اعتذار أو تسويغ أو تذكير بالماضي الجميل . واتخذت خطوة حاسمة لقطع هذه العلاقة ، إذ سمحت لعاشق جديد ان يطمح بحبها وهو الوزير ابو عامر ابن عبدوس ، وكان لقاؤهما دون ميعاد .

« ولما مرّت بالوزير أبي عامر ابن عبدوس ... وأمام داره بركة دائمة تتولد عن كثرة الامطار ، وربما استحدث بشيء مما هنالك من الاقذار ... فقالت له :

أنتَ الخصيبُ وهـــذه مصـــرُ
فتـــدفقـــا فكـــلاكُمـــا بحـــرُ

فتركته لا يحير حرفاً ولا يرد طرفاً »[18] .

وكان هذا البيت بمثابة الصدمة التي أفقدته الوعي ، فجعلته

يتبعها ، ويعلق بحبائلها ، وتصل الى مسامع ابن زيدون أخبار العلاقة بين ولادة وابن عبدوس ، فيكتب اليها رسالة هزلية يسخر فيها من ابن عبدوس أمامها لعلها تتركه ، ولكنها لم تفعل بل غضبت منه ، وهجته هجاء مراً ، فيزداد الخلاف بينهما من جهة ، وتحتدم العداوة بينه وبين غريمه الوزير من جهة اخرى ، ولعلها كانت من الاسباب التي أدت به الى السجن رغبة في ابعاده عنها .

جـ ـ القصيدة (الرسالة) :

نظم ابن زيدون قصيدته النونية وهو في طريقه الى اشبيلية بعد فراره من السجن في قرطبة سنة ٤٢٣ هـ ، وقد اضناه ألم البُعد عن الاهل والاخوان والاحباب ، وكان تحرره من ذلك القيد أعاد اليه الامل بعد اليأس ، ولعل قصيدته هذه توصل ما انقطع ، فتعيد حبيباً الى حبيبته .

وقد اشتهرت هذه القصيدة حتى اثيرت من حولها الاساطير ، فقيل : « ما حفظها أحد إلّا ومات غريباً »[١٩] وقال بعض الادباء : « من لبس البياض ، وتختَّم بالعتيق ، وقرأ لابي عمرو ، وتفقَّه للشافعي ، وروى شعر ابن زيدون فقد استكمل الظرف »[٢٠] .

تتألف القصيدة من اثنين وخمسين بيتاً كما وردت في ديوانه ، وتعد من القصائد الطوال بالنسبة الى قصائده الاخرى . وقد أشار الى ذلك ابن خلكان « ومن بديع قلائده قصيدته النونية ، وهي طويلة ، وكل أبياتها نخب »[٢١] وكذلك المقري : « ومثل ابن زيدون في قصيدته التي لم يقل مع طولها في النسيب أرق منها »[٢٢] .

ولكن القصيدة التي وردت في أصل نسخ الديوان تتألف من خمسين بيتاً ، وقد اضاف اليها المحقق علي عبد العظيم بيتين احدهما ورد في القلائد والخريدة ، والاخر ورد في القلائد[٢٣] واثبت الاول منهما بعد البيت التاسع عشر وهو :

سرى استفدنا خليلًا عنك يشغلنا
ولا اتخذنا بديلًا منك يُسلينا

وذكر المحقق في الحاشية ان هذا البيت لم يرد في نسخ الديوان فحسب ، ولكني وجدت أن هذا البيت هو رواية ثانية للبيت السادس والاربعين وهو :

فما استعضنا خليلًا منك يحبسنا
ولا استفدنا حبيباً عنك يثنينا

واثبت البيت الثاني منهما بعد البيت الخامس والثلاثين وهو :

إنْ كان قد عزَّ في الدنيا اللقاءُ ففي
مواقف الحشر نلقاكم ويكفينا

وذكر المحقق في الحاشية ان هذا البيت لم يرد في الديوان ايضاً ، وقد اثبته هنا لمناسبته للمقام ، وقد وجدت «مقامه لا يتناسب وسياق المعنى ، وان مقامه المناسب يقع بعد البيت التاسع عشر (والله ماطلبت اهواؤنا ...) .

وقد اطلق على ابن زيدون لقب (بحتري المغرب) « لحسن ديباجة نظمه ، وسهولة معانيه »[٢٤] ومن ينظر في شعريهما يجد تلك الصلة الادبية المشتركة بينهما ولا سيما في قصيدته النونية التي قيل انه عارض فيها نونية البحتري .

وتحدث الصفدي عن نونية ابن زيدون قائلًا : « وعارضها الناس في حياته وبعد مماته ، ولم يقاربوها ، واظن أن ابن زيدون عارض بها البحتري في قوله :

يكادُ عاذلنا في الحُبِّ يُغرينا
فما لجاجُك في لوم المُحبينا »[٢٥]

ويذكر محقق (ديوان البحتري) ان للشاعر نونية اخرى رثى فيها الخليفة الموفق ، ومدح فيها المعتضد واولها :

نَسىً وأيسرُ هذا السَّعي يكفينا
لولا تكلُّفنا ما ليس يَعنينا[٢٦]

ولعل البحتري نفسه ومن بعده ابن زيدون قد عارضا الشاعر الحماسي بشامة بن حزن في قصيدته ومطلعها :

انا محيّوكِ يا سلمىٰ فحيينا
وإنْ سَقيتِ كرامَ الناسِ فاسقينا[٢٧]

والظاهر « ان الابداع الذي تحقق في قصيدة ابن زيدون جعل منها أصلًا يعارضها الشعراء دون أن يعارضوا قصيدة البحتري ، ولقيت قصيدة ابن زيدون شهرة في الشرق والغرب ، فعارضها الشعراء الاندلسيون والمشرقيون على حد سواء »

وذكر ابن بسام مَن عارضه من الشعراء الاندلسيين قوله : « وهذه القصيدة بجملتها فريدة ، وقد عارضه فيها جماعة قصّروا عنه ، بينهم ابو بكر بن الملح ، فانه نازعه فيها الراية ، فقصّر عن الغاية ، ذتال من قصيدة أولها :

هل يسمعُ الربعُ شكوانا فيُشكينا
أو يُرجعُ القولَ مغناهُ فيُغنينا »[٢٨]

ومنهم ابن حبيش اللخمي (ـ ٦٧٩ هـ)[٣٠] ومن الشعراء المشرقيين الذين عارضوها : شمس الدين الكوفي (ـ ٦٧٥ هـ) ، وابن الوكيل (ـ ٧١٦ هـ) وصفي الدين الحلي (ـ ٧٥٠ هـ) وصلاح الدين الصفدي (ـ ٧٦٤ هـ) ، وابن نباتة المصري (ـ ٧٦٨ هـ) .

ومن الشعراء المحدثين : احمد شوقي ، وخليل مطران ، وحافظ ابراهيم ، وعلي الجارم ، وعلي عبد العظيم .[٣١]

وقد وصف عدد من الادباء نونية ابن زيدون ، فقال ابن خاقان : « وهي قصيدة ضربت في الابداع بسهم ، وطلعت في كل خاطر ووهم ، ونزعت منزعاً قصّر عنه حبيب وابن الجهم »[٣٢] وتبعه على رأيه ابن دحية ، وابن سعيد ، والمقري[٣٣] .

وقال فيها الدكتور جودة الركابي : « ولا جدل في أن هذه القصيدة قد جمعت بين أفانين شتى من الاجادة ، وعبّرت عن عاطفة الشاعر الصادقة ، ونالت من الشهرة ما جعل كثيرين من الشعراء يعارضونها »[٣٤] .

وقال فيها ايضاً الدكتور محمد مجيد السعيد : « ومن قصائده الخالدات ذات الشهرة الواسعة في عالم الادب والتي أولع الشعراء بحفظها ومعارضتها القصيدة النونية وهي تتمتع بطاقة فنية عالية من حيث موسيقاها وأداؤها وانسيابها »[٣٥] .

٣ ـ الفضاء الداخلي للقصيدة :

تتكون القصيدة من انتقالات متعددة ، تتميز باساليب متنوعة ، تتعرض هذه الانتقالات الى عملية تحليل لا تحتمل خلق افتراضات أو تصورات مسبقة ، وانما تعنى بما موجود في داخل النص ، اذ تتولى فصل مكوناته البنائية ، واعادة تشكيلها من جديد .

إن عملية تصنيف المفردات الى حقول موضوعية تسمح بالكشف عن نظم تشكيلها ومعرفة صلة القرابة بينها ، على وفق مستويات اسلوبية معينة ، تدفع الباحث الى معرفة الحقائق غير الظاهرة . ولاعطاء صورة متكاملة عن القصيدة قسمناها على مقاطع على وفق انتقالاتها الموضوعية ، وهي :

أ ـ المقطع الأول : (بين الماضي والحاضر) .

١ ـ أضحى التنائي بديلًا من تدانينا
وناب عن طيب لقيانا تجافينا

٢ ـ ألا وقد حان صبح البين صبحنا
حين فقام بنا للحين ناعينا

٣ ـ من مبلغ المُلبسينا بانتزاحهم
حزناً مع الدهر لا يبلى ويُبلينا

٤ ـ إنّ الزمان الذي ما زال يضحكنا
أنساً بقربهم قد عاد يُبكينا

٥ ـ غيظ العِدا من تساقينا الهوى
فدعوا بأنْ نغصّ فقال الدهرُ آمينا

٦ ـ فانحلّ ما كان معقوداً بانفسنا
وأنبتّ ما كان موصولًا بايدينا

٧ ـ وقد نكون وما يُخشى تفرّقنا
فاليوم نحن وما يُرجى تلاقينا

تتشكل بنية المقطع الاول من ثنائية ضدية أساسية وهي التنائي / التداني ومترادفاتهما . ويمثل كل منهما كوناً متكاملًا ذا أبعاد متصلة بالحالة النفسية والاجتماعية والاخلاقية لدى الشاعر . فالتداني يمثل الماضي الجميل ، والتنائي يمثل الحاضر المقيت ، ومن البيت الاول نجد التنائي يحل محل التداني ، وتنحسر حركة التداني في البيت الثالث وتتراجع ، فتبقى حركة التنائي ومرادفاتها كالبين الذي يستوي عند الشاعر مع الموت ، والانتزاح الذي يقترن بالضمير (هم) ويعين حبيبته (ولادة) ، ويستوي مع الحزن المرتبط بالدهر (الزمان) خالداً معه . ثم تعود هذه الثنائية (التنائي / التداني) البيت الرابع وما بعده ، فيرتبط بها عنصر آخر وهم (الاعداء) الذين اغتاظوا منهما فدعوا عليهما الزمان ذا القدرة على إضحاك الناس وإبكائهم ، فقلب لذة شرابهما الهوى تنغيصاً ، فانحل المعقود بنفسيهما ، وانقطع الموصول بايديهما من المحبة .

فالعلاقة اذن بين التداني والتنائي علاقة ضدية ، والمساحة الزمانية بينهما مناصفة ، فالتداني يمثل الماضي ، والتنائي يمثل الحاضر ، بينما المساحة المكانية بينهما ليست متساوية ، إذ يحتل التنائي من هذا المقطع سبعة أبيات بينما يأخذ التداني أربعة أبيات تتداخل مع أبيات التنائي .

إن هذا التناسق البديع بين الزمن الماضي والحاضر تمثله الافعال الماضية والمضارعة التي تتحدد من خلالها أوضاع الشاعر . فالأفعال الماضية التي تسند الى التنائي (البين) مثل : (أضحى ، وناب ، وحان ، وصبحنا ، وقام) وتدل على ثبوت الحدث وبقائه . والافعال التي تسند الى الدهر (الزمان) مثل : (فقال الدهر ، وانحل ما كان معقوداً ، وانبت ما كان موصولًا) وتدل على سرعة التنفيذ وقوته ، والافعال التي تسند الى الاعداء مثل (غيظ ، فدعوا ، أن نغصّ ـ المصدر المؤول ينقل الحدث الى

الماضي ـ) وتدل على مقدار كراهية الاعداء لهذا الحب .

والافعال المضارعة التي تسند الى الحزن مثل : (لا يبلى ويُبلينا) وتدل على بقاء ثوب الحزن من الزمن الحاضر الى المستقبل . والافعال التي تسند الى الزمان ، مثل : (يُضحكنا ، ويُبكينا) وتدل على فاعلية الزمن وقدرته على تغيير مشاعر الناس .

والافعال التي تسند الى المجهول من الناس مثل : (وما يخشى تفرقنا . وما يرجى تلاقينا) « على تناقضهما الزماني الظاهر ـ الماضي والحاضر ـ ينبئان عن آمال وتخوفات متناقضة ، ولذلك جاء الخطاب فيهما بلسان التكلم الجماعي للواقع الحاضر »[٣٦] .

جاءت صيغة الخطاب بطريقة السرد على لسان الشاعر الراوية مستخدماً ضمير الجمع (نا) ، ومما يلاحظ أن الشاعر عندما يريد أن يتحدث عن نفسه وحبيبته ولادة فانه يستخدم الضمير (نا) المضاف اليه من الاسماء مثل : (تدانينا ، لقيانا ، تجافينا ، ناعينا ، تساقينا ، بانفسنا ، بأيدينا ، تفرقنا ، تلاقينا) ، وعندما يريد ان يتحدث عن نفسه فانه يستخدم الضمير (نا) المفعول به مثل : (صبّحنا ، يضحكنا ، ويبلينا ، يُبكينا) وعندما يتحدث عنها فانه يستخدم الضمير (هم) مثل : (بانتزاحهم) ليدل الضمير عليها لوحدها .

ودلالة عدم تصدر الضمير يعطي انطباعاً بالضعف والاستسلام لفاعلية الدهر وجبروته ، فموضع المضاف اليه دلالته النقص والحاجة الى الكمال ، وموضع المفعول به ليس كالفاعل .

أثار ابن زيدون الاعجاب باستخدامه الاساليب الخبرية ـ التشبيه والاستعارة ـ في وصفه لحبيبته ، والتأثير العاطفي باستخدامه الانشائية ـ الاستفهام والتعجب وغيرها .. « وقد لاحظنا أن الشاعر جعل التأثير والاعجاب يمشيان في شعره خلفه ، فيكونان خطاً بيانياً يصعد وينحدر ، فيكون التأثير في صموده والاعجاب من انحداره »[٣٧] .

ومن الاساليب الانشائية التي وظفها في المستوى التركيبي في شعره فأثارت العاطفة لدى قارئه تقديم شبه الجملة على الفاعل المفصل بينه وبين الفعل مثل : (وناب عن طيب لقيانا تجافينا) و(فقام بنا للحين ناعينا) وهو مما الجاته اليه الضرورة الشعرية ، والتحضيض في قوله (ألا وقد حان صبح البين ...) والاستفهام في قوله : (من مبلغ الملبسينا ... (وقد خرج الى التمني الذي لا يرجى حصوله إذ يصرح الشاعر طالباً من يبلغ أحبابه ويعني ولادة التي البست ثوباً من الحزن لا يبلى . بماذا يخبرها ؟

(إنّ الزمان الذي ما زال يضحكنا ... (وقد استخدم اسلوب التوكيد ليزيل عنه اي شك في القاء تبعة ذلك التفرق على الزمان واحل نفسه وحبيبته من تلك المسؤولية اما النفي في قوله (وما يخشى تفرقنا . وما يُرجى تلاقينا) فقد وظفه لتصوير حالين الاولى للماضي الذي تنتفي فيه الخشية من التفرق ، والثانية للحاضر الذي ينتفي فيه الرجاء من التلاقية ، وشتان ما بين الحالين .

إن قصيدة مثل نونية ابن زيدون يراد منها أن تحقق ما يصبو اليه الشاعر (المرسل) ابلاغ حبيبته ولادة (المتلقي) بما يشعر به من احاسيس ومشاعر تجاهها بعد هذا التباعد والتجافي أن تكون القصيدة (الرسالة) على تغذية عالية من خلال انتقاء الفاظها وقوة رصفها وتركيبها وقرب دلالاتها ، وقد وجدت هذه المفردات تتدرج معجمياً في محورين ؛ الأول : الاجتماعي مثل : (التنائي ، التداني ، تفرقنا ، تلاقينا)

والثاني : الاخلاقي مثل : (طيب لقيانا ، تجافينا ، الملبسينا حزناً ، يبلينا ، يضحكنا ، يبكينا) .

لقد كان هذا المقطع اشبه بالمقدمة لقصيدته ، إذ يعرض فيه حاليه الاولى والأخيرة حالة التداني وحالة التنائي ، ولتعلم حبيبته ولادة أن هذا التنائي لم يكن بسببه أو بسببها وانما يعود لسببين ، الاول منهما الاعداء أو الوشاة ومنهم غريمه ابن عبدوس وإن لم يصرح بإسمه ، والثاني : الدهر أو الزمان وفاعليته على تغيير الحال .

ومن العجب ان يلتمس الشاعر لهذا التنائي العذر ، وببساطة تحت وطأة العجز يلجأ الى الافكار الغيبية التي تلقي باللوم على دعوة الاعداء للدهر للتفريق بينهما ، فلبي دعوتهم . ونحن نعلم أن السبب في ذلك يعود اليهما وليس الى الوشاة أو الدهر ، ولكننا مع ذلك نحس بالمشاركة الوجدانية إزاء هذه المواقف ، لان هذه المواقف هي من مكونات الاطار العام لنظام الاستجابة لدى الانسان .

ب ـ المقطع الثاني : (في الحفاظ على الود).

٨ ـ يا ليت شعري ولم نعتب أعاديكم
هل نال حظاً من العتبى أعادينا

٩ ـ لم نعتقد بعدكم إلّا الوفاء لكم
رأياً ولم نتقلد غيرهُ دينا

١٠ ـ ما حقنا أن تقرّوا عين ذي حسدٍ
بنا ولا أن تُسرّوا كاشحاً فينا

١١ـ كُنّا نرى اليأس تُسلينا عوارضه
وقد يئسنا فما لليأس يُغرينا

١٢ـ بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا
شوقاً إليكم ولا جفت مآقينا

١٣ـ نكاد حين تناجيكم ضمائرنا
يقضي علينا الأسى لولا تأسينا

١٤ـ حالت لفقدكم أيامنا فغدت
سوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا

١٥ـ إذ جانب العيش طلق من تألفنا
ومربع اللهو صافٍ من تصافينا

١٦ـ وإذ هصرنا غصون الوصل دانية
قطوفها فجنينا منه ماشينا

١٧ـ ليُسق عهدكمُ عهدُ السرور فما
كنتم لأرواحنا إلّا رياحينا

١٨ـ لا تحسبوا نأيكم عنّا يُغيّرنا
إن طال ما غيّر النأي المحبّينا

١٩ـ والله ما طلبتْ أهواؤنا بدلًا
منكم ولا انصرفتْ عنكم أمانينا

تتحول صيغة الخطاب في هذا المقطع من الحديث غير المباشر عن حالتي التنائي والتداني الى صيغة الخطاب المباشر بين الشاعر وحبيبته ولادة إذ يجسد الشاعر حالة التداني وتجسد الحبيبة حالة التنائي ، فتتشكل بنية هذا المقطع من الثنائيات الضدية التي تتجمع حول الضمائر العائدة اليهما .

فالضمائر التي تعود الى الشاعر (الضمير المستتر (نحن) في الفعل المضارع المبدوء بالنون مثل : نعتب ، ونعتقد ... والضمير (نا) المفعول به مثل : يُغرينا ، والضمير (نا) المضاف اليه مثل : مآقينا) . والضمائر التي تعود الى الحبيبة (الضمير المستتر (انتم) في الافعال الخمسة مثل : لا تحسبوا وتقرّوا . والضمير الكاف والميم (كم) المضاف اليه مثل : عهدكم ، ونأيكم) . ومن الملاحظ ان الشاعر يستخدم صيغة الجمع للمتكلم والمخاطب بقصد التعظيم والتفخيم .

ومن خلال تنامي هذه الضمائر العائدة اليهما لتسود في آخر المقطع ، ويدور الصراع بين هذين الحالين من خلال هذه الثنائيات ، فتأخذ المساحة المكانية المتاحة للتنائي والتداني . ولكن المساحة المتاحة للشاعر اكبر من المساحة المتاحة للحبيبة التي تأخذ النصف تقريباً وذلك لاتخاذه اسلوب الخطاب المباشر .

اما المساحة الزمانية فان الأفعال التي تعبّر عنها تعكس ذلك البعد الزمني الذي يحياه الشاعر ، فقد احتلت الافعال الماضية تلك المساحة ، ونالت الأفعال المضارعة الثلث منها .
ومن تلك الافعال الماضية التي تسند للشاعر : (لم نعتب ، لم نعتقد ، لم نتقلد ، نال اعادينا ، يئسنا ، بِنّا ، فما ابتلت جوانحنا ، ولا جفّت مآقينا ، حالت ايامنا ، فغدت لياليها ، هصرنا ، فجنينا ، ما طلبت اهواؤنا ، ولا انصرفت أمانينا) بعض هذه الافعال مضارعة ، وقد تحولت الى صيغة الماضي لانها مسبوقة باداة النفي (لم) فحصر حركتها وقيّدها ، لان طبيعة الفعل الحركة ، والحركة في اغلب هذه الافعال ليست آلية ، وانما فكرية أو تصورية ، والشاعر يريد ايقاف تلك الحركة لئلا تتشكل عند المتلقي صورة مغايرة لما يريده ، فتعبّر عن القطيعة والفراق . ومن الأفعال المضارعة التي تسند اليه (نرى اليأس) والرؤية هنا ليست رأي العين ، وانما رأي الفكر والتجربة .

ومن الافعال التي تسند للمتلقية : (أنْ تقرّوا ، أنْ تسروا ، بنتم) هذه الافعال مضارعة وقد سبقت بأن المصدرية فحوّلت صيغتها الى الماضي ، مما يكشف عن اهتمام الشاعر باسلوب الالتفات الى الواقع الحالي ، ومن الافعال المضارعة التي تسند اليها : (لاتحسبوا) تُلغي الظن والتشكك .

ومن الافعال التي تسند الى اليأس : (تُسلينا عوارضه ، يُغرينا) والتي تسند الى الأسى : (يقضي علينا) والتي تسند الى النأي : (غيّر ، يُغيّرنا) وقد اسندت اليها مجازاً ، وكان لليأس أو الحزن أو البعد مقدرة على التغيير من حال الى حال .

يزخر هذا المقطع بعدد كبير من الاساليب الانشائية بحيث يفوق المقاطع الاخرى ، ومن هذه الاساليب : النفي ، والأمر والنهي ، والاستفهام ، والاستثناء ، والشرط ، والتقديم والتاخير ، والقسم ، والتعجب ، والحذف ، والتنكير وغيرها .

ويبرز من هذه الاساليب النفي ، إذ يوظفه الشاعر ليبرىء نفسه مما تظنه ولادة فيه من سلو أو نسيان لمودتها ، وبقائه على عهده وفياً لها ، ويتضح ذلك في قوله : (ولم نعتب أعاديكم) اي لم نرضهم ، فكيف تقابل ذلك بارضاء اعدائه . وقوله : (لم نعتقد بعدكم الا الوفاء لكم) ينفي اي اعتقاد فكري سوى الوفاء لها ، وكذلك في نفيه (ما حقنا أن تقرّوا ، ولا أن تسرّوا) فليس من حقه ان تقرّ أعين حاسديه ، ولا ان تسرّ مُبغضيه . ويتوالى النفي في (فما ابتلت جوانحنا ، ولا جفت مآقينا ، وما كنتم لأرواحنا الّا رياحينا ، وما طلبت أهواؤنا ، ولا انصرفت عنكم أمانينا ...) وكل هذه العبارات القصيرة المنفية يوظفها الشاعر باسلوب بحيث

يعطف عبارة على أخرى بقصد الموازنة بينها ، وكلها تصب في اثبات بقاء الشاعر وفياً لها ، متشوقاً اليها ، حزيناً على أيام وصاله ، تمسكاً بامانيه ، ولم يتغير بعد ذلك الفراق .

ويستخدم الاستفهام الذي يخرج الى التعجب بقوله (وقد يئسنا فما للياس يغرينا) فيعجب من هذا اليأس الذي ينسي الانسان مصائبه ، وقد يئس فاذ باليأس يُغريه بوصلهم على غير عادته ، ويهدف الشاعر من توظيفه الاستثناء لتسليط الضوء على المستثنى وتعظيمه بحيث يطغى على ما سبقه . ففي قوله : (لم نعتقد بعدكم الا الوفاء ..) وقوله (فما كنتم لأرواحنا الّا رياحينا) وهنا رياحين خبر كان ، وقد حصرها بـ (الّا) وجعلها تطفي برائحتها ، فلم يقل ريحانة لروحه ، وانما رياحين لأرواحه ، فالجمع هنا يتضافر مع الحصر لزيادة الرائحة وكثرتها فتقابل الجمع بالجمع .

اما اسلوب الشرط فإن الشاعر يوظفه لوصف حالة الحزن التي كانت تقضي عليه لولا (الشرطية) وهي تمنع وقوع الفعل لوجود التأسي ، مما يدل على حصول الرجاء وكذلك قوله : (إن طالما غيّر النأي المحبين) فهذا الشرط يسبقه نهي عن الظن بتغيّره ، فاستدرك وإن كان النأي يغيّر المحبين ، فهو اشبه بالقطع .

وفي اسلوب الأمر الذي يخرج الى الدعاء في قوله : (ليُسق عهدكم عهد السرور ...) نجد ابن زيدون « على مخالفته أصول (السقيا) اذ يستسقي للعهد المعنوي ، والسقيا تكون للمادي في الاغلب ، وفي حالة العدمية يجد في هذا الطلب الدعائي صورة مناسبة جداً للتعبير عن حالة تجمع بين حالتين متقاربتين متداخلتين : حالة الماضي المشرق ، وحالة الواقع الاسي ، وهذا ما أعطى الشاعر حق الاختيار للآخر »[٣٨] وكذلك في اسلوب النهي في قوله ، مخاطباً ولادة : (لا تحسبوا نأيكم عنّا يُغيّرنا ...) قطع لاي ظن أو شك منها في تغيّره نحوها . وكذلك يؤكد لها بقسمه بالله تعالى ـ في البيت الاخير من هذا المقطع .. أن اهواءه وأمانيه باقية على ودها .

وفي صياغة الشاعر عباراته البسيطة يؤدي دوراً مهماً في إيصال الموقف النفسي ذاته للمتلقي ، ويدعوه الى مشاركته الوجدانية ، ففي قوله : (ولا أن تسرّوا كاشحاً فينا) فإن تنكير اسم الكاشح ــ ويعني ابن عبدوس ــ أبلغ أثراً في السمع من ذكر اسمه . وفي قوله : (فما لليأس يُغرينا) اي (بكم) فحذف الجار والمجرور ابلغ من ذكره توخياً الايجاز في عبارته .

أما من حيث المستوى الدلالي فإن الشاعر يستخدم الفاظاً مجازية في غير ما وضعت له لرسم صوره ، فمن قوله في المجاز العقلي : (نرى اليأس تسلينا عوارضه .. فما لليأس يُغرينا) نجد الأفعال التي اسندت الى اليأس غير حقيقية ، وهذه الافعال تدل على امتلاكها مقدرة تفوق ارادة الشاعر نفسه ازاء اليأس . وفي قوله : (تناجيكم ضمائرنا ، يقضي علينا الأسىٰ ، نأيكم يغيّرنا ، ما طلبت اهواؤنا ، ولا انصرفت أمانينا) يحاول الشاعر أن يعطي لهذه الالفاظ ــ وقد أسند اليها هذه الافعال ــ قدرة على التغيير ، ولكنه أوقف عملها بحيث لا تتجاوز إرادته ورغبته .

والشاعر هنا يستخدم التشخيص من خلال قيام اليأس بالسلو والاغراء ، والضمائر بالمناجاة ، والأسىٰ بالقضاء على الانسان ، والاهواء تطلب ، والأماني تنصرف . وهذه كلها أفعال انسانية وظفها الشاعر في خدمة النص ، للتأثير في نفس المتلقي واثارة انفعاله المناسب .

ومن الالفاظ المجازية التي وظفت لرسم صورة استعارية قوله :

وإذ هصرنا غصون الوصل دانية
قطوفها فجنينا منه ماشينا

إذ استعار للوصل غصوناً ثمارها قريبة من القطف ، وكنى بها عن حبيبته ولّادة ، فالاستعارة هنا مكنية .

ومن الممكن معرفة المستوى المعجمي لهذا المقطع من المحاور الدلالية التي تتمركز حولها الالفاظ مكونة اتجاهات معينة وهي على النحو الاتي :ــ

اولًا : المحور الاخلاقي والنفسي : (العتبى ، والوفاء ، والضمائر ، والأسىٰ ، واليأس ، والكاشح) وتعبر هذه المفردات عن الالتزام تجاه الحبيبة بمواقف ثابتة . ثانياً : المحور الاجتماعي : (تالفنا ، التصافي ، النأي) وتعبر هذه المفردات عن التقارب والتباعد . ثالثاً : المحور الديني : (ذو حسد) وتعبر هذه اللفظة عن الذي يتمنى زوال نعمة غيره .

لقد كانت هذه الأبيات تمثل انتقالة من الخطاب غير المباشر الى الخطاب المباشر لولادة ، وينبغي أن يبيّن فيها الاسباب الحقيقية التي أدت الى حالة الفراق ، وكانا سبباً مباشراً فيه ، لكنه عدل الى القبول به ، والبحث عن وسائل تنفي اي اعتقاد أو شك في تغيره نحوها ، ووسائل تؤكد بقاءه على ودّها ، وهو في ذلك لم يفهم بعد نفسية المرأة التي انصرفت عنه انصرافاً تاماً ، ولم تعد تجدي وسائله في اقناعها . ولعلها « مصابة بما يسميه علماء النفس (مرض السادية) وهو حب ايقاع التعذيب على

الجنس الاخر ... ومظاهره أن تنصب المرأة شباكها للرجل حتى يقع فريسة هواها ، فتكر عليه ، فتذيقه انواع الصدود ، وتجرعه مرارة الحرمان بعد أن اطعمته حلاوة النعيم »[٣٦] .

جـ ـ المقطع الثالث : (رسل الطبيعة)

٢٠ ـ ياساريَ البرقِ غادِ القصرَ واسقِ به
مَنْ كانَ صِرفَ الهوى والودُّ يَسقينا

٢١ ـ واسألْ هُنالكَ هل عنَّى تذكرنا
إلفاً تذكُّرهُ أمسىَ يُعنّينا ؟

٢٢ ـ ويا نسيمَ الصَّبا بلّغ تحيَّتنا
مَنْ لو على البُعد حيّاً كانَ يُحيينا

٢٣ ـ فهل أرى الدهرَ يقضينا مُساعفةً
منهُ وإنْ لم يكن غِبّاً تقاضينا ؟

تتشكل بنية هذا المقطع من ثنائية ضدية طرفها الاول الشاعر (الانسان) وطرفها الثاني الطبيعة (البرق ، ونسيم الصبا) . فالانسان من جنس يختلف تماماً عن جنس الطبيعة من حيث العقل والادراك . ولكن الشاعر يتعامل معها على انها تمتلك عقلًا وادراكاً ، فيتحدث اليها ، ويطلب منها ، وكانها تستطيع أن تلبي ما يريد . وكان في لجوئه اليها يعبر عن ضعفه وعجزه إذ تتحول قوة ارادته من حالة التنفيذ الى حالة التمني .

يتألف المقطع من أربعة ابيات تاخذ حركة ساري البرق بيتين منه ، وحركة نسيم الصبا بيتاً ، وحركة الدهر بيتاً ، مما يبين لنا أن قوة حركة ساري البرق تزيد على حركتي النسيم والدهر في هذه المساحة المكانية . أما المساحة الزمانية لهذا المقطع فان الفعل المضارع فيها مسبوق بالفعل الماضي الناقص (كان يسقيناء أمسى يعنينا ، كان يحيينا ، أرى الدهر يقضينا) مما يعني نقل حركة الفعل من الزمن الحاضر الى الزمن الماضي الذي تستمر فيه الحركة .

يتحدد هذا المقطع باساليب انشائية معينة مثل اسلوب النداء بـ (يا) وهو دعوة للاقبال أو التنبه للمخاطب ، وهذا النداء مقصود وللقريب مثل : (ياساري البرق ، ويا نسيم الصبا) . ثم تليه أفعال الامر الموجهة لساري البرق : (غاد القصر ، واسق به ، واسال هنالك) جملة أوامر أن يباكر قصر الحبيبة (ولادة) وأن يسقيها بمائه النقي مثلما كانت تسقيه صافي الهوى والود ، فقابل بين ماء السحاب النقي وماء الود الصافي ، وأن يسال عن قضية تشغله وهي هل ما زالت ولادة تتذكره مثلما يتذكرها الان . وهذه المسالة تنطوي على احساس عميق بانها نسيت حبه أو انصرفت عنه تماماً . وما محاولاته الّا لاعادة الحياة الى جسد الحب الميت .

وفعل الامر الموجّه الى نسيم الصبا (بلّغ تحيتنا) يدل على أن مهمة النسيم لا تتعدى إبلاغ التحية الى التي لو حيّت لاحيته ، فربط بين حياته وتحيتها .

وأفعال الامر هنا تخرج من صيغتها المباشرة الى التمني ، لان المخاطب غير عاقل ، ويؤيد ذلك ورود اداة الشرط (لو) التي تخرج الى صيغة التمني أيضاً .

أما الدهر فلم تتقدمه أداة النداء لان الدهر لا يستجيب للشاعر ، بل عد الدهر في نظره من صف الاعداء ، ولذلك فقد سبقته أداة الاستفهام (هل) التي تخرج الى التمني منه ان يقضي حاجته مساعفة منه ، إذ تؤدي لفظة (مساعفة) دلالتها المعنوية ، اي اسعافه ومساعدته في شدته ومحنته . فاستدرك مشترطاً وان لم يكن ذلك الوفاء بدينه لها ووصاله منها قليلًا ، ليخفف من تلله وضعفه أمامها .

ويعمل اسلوب تنكير المخاطب في قوله : (من كان صرف الهوى ، إلفاً ، من لو على البعد) الى اثارة التفكير العقلي حول شخصية المخاطب ، وفي الوقت نفسه يدل على استفادة الشاعر من تجاربه السابقة حين كان يصرح باسمها فيجد حرجاً وضيقاً ، فهو يشعرها بانه سيكتفي بالاشارة اليها ، ولها أن تطمئن الى حرصه وحذره .

د ـ المقطع الرابع : (وصف مفاتن الحبيبة حسياً) .

٢٤ ـ ربيبُ مُلكٍ كأنَّ اللهَ أنشأهُ
مِسكاً وقدَّرَ إنشاءَ الورى طِيناً

٢٥ ـ أو صاغهُ وَرِقاً محضاً وتوّجهُ
مِنْ ناصعِ التِّبرِ إبداعاً وتحسيناً

٢٦ ـ إذا تأوّدَ آدتْهُ رفاهيةً
تُومُ العقودِ وأدمتهُ البُرى لينا

٢٧ ـ كانتْ له الشمسُ ظِئراً في أكِلَّتِهِ
بل ما تجلّى لها إلّا أحايينا

٢٨ ـ كأنّما أُثبتتْ في صحنِ وجنتهِ
زُهرُ الكواكبِ تعويذاً وتزيينا

٢٩ ـ ما ضرَّ أنْ لم نكنْ اكفاءهُ شَرفاً
وفي المودةِ كافٍ منْ تكافينا

تتألف بنية هذا المقطع من ثنائيات متضادة تكشف عن

جوهر المتلقي في التوحد والتفرد والتميز ، وتتكون من بعدين متضادين البعد المكاني هو السماء ، والبعد الزماني هو الازل . ومن خلال التعلق يلتقط الشاعر صوراً تعد من أساسيات هذه القصيدة ثم يشكلها من عنده ، ويعبر بها عن هذه الثنائيات حقيقة الروح المتميزة من هذا الخلق الادمي في المتلقي ، ومن هذه الثنائيات :

(ربيب ملك / الورى) اختار الشاعر الصفة المشبهة للمتلقي (ربيب ملك) ولم يختر غيرها من صفات الاشتقاق لانها تلازم المتلقي مع جوهره في الثبات واللزوم وهي تعني العفيف الممسك نفسه عن الحرمات . ولفظة (ربيب) توافق (الورى) تجريداً وتختلف عنها بالمعنى والجوهر من حيث الافراد وعلو النشأة ، والجمع وتدني النشأة .

و (المسك / الطين) خلق اللمعذاالحبيب من مادة المسك ، وخلق الناس من مادة المسك ، وخلق الناس من مادة الطين . و (الورق / التبر) صاغ جسمه من الفضة ، اي بشرتها بيضاء ، وجعل رأسه ذهباً اي لون شعرها أشقر . فابدع سبحانه وتعالى واحسن في خلقه . و (العقود / الخلاخل فالعقود بحلها الرقبة والخلاخل محلها الساقين ، فاذا تثنى تركت أثراً في رقبته وحزت الخلاخل ساقيه ، ممايدل على رقتها ودلالها . و (الشمس ظئر له / وهو لا يتجلى لها) فالشمس تتغلغل بين ستوره فكانها حاضنة له ، بينما لا يبدو للشمس الا نادراً . مما يدل على كبرياء المتلقية وتعاليها . و (تمويذاً / تزييناً) تركت الشمس على وجنتيه حمرة مثل زهر النجوم تمويذاً لابعاد أعين الحاسدين من الناس ، وتزييناً لجذب أعين المعجبين منهم . و (الحب / المودة) حسب المتلقي معروف من سلالة اموية ترجع لقريش ، وحسب الشاعر من بين مخزوم بطن من قريش ايضاً ، ولكن المتلقي سليل ملوك الاندلس ، ولا يجد الشاعر ما يقابله به سوى عودته .

استخدم الشاعر الضمائر في غير موضعها ، فالمتلقية (ولادة) ضمير المفرد الغائب المذكر مثل : (ربيب الملك ، وانشاه ، وصاغه ، وتوجه ، تأود ، آذته ، وأدمته ، وكانت له ، وجنته ، اكفاءه) . وللشاعر ضمير المتكلم الجمع على الفعلية والاضافة مثل : (نكن ، تكافينا) ومن الملاحظ هنا غياب زمن المستقبل لان الصورة تتعلق بالمتلقي وليست بالشاعر .

وظف الشاعر الشرط (إذا تأود آذته رفاهية ...) لبيان حالتي الحركة والسكون للمتلقي ، ماذا يحدث لها ؟ تترك العقود والخلاخيل أثراً في رقبتها وقدميها . وقد أراد ان يبيّن أنها في حركة دائبة . واستخدم الحصر في تجلّي ولادة للشمس على احايين يسبقه نفي التجلي لغيرها مما يدل على تنعمها وعدم تبذلها .

اما على المستوى الدلالي فان ايراد التشبيه هنا (كأنّ الله أنشاه مسكاً) لا يعني لون المسك وانما عنصر المادة الطيبة التي تقابل مادة الطين . وعطف على التشبيه صياغته من الفضة ليناسب لونه الحقيقي ولون الفضة ، فيستعيد بذلك لون المسك الاسود .

ان عجز الشاعر عن استكناه المتلقي يظل واقعاً موضوعياً ، فهو يرينا ان المتلقي في توحده وتفرده تحوّل الى تجربة تؤرق صاحبها بسبب التنائي ، ولذلك كانت هذه الصورة المباشرة دليلاً على عدم تمكن الشاعر من استرجاع الماضي ، وعلى تمكن المتلقي من الخروج من اعماق التجربة والوقوف على مشارفها خارج اطاري الزمان والمكان ، وقد صور قوله : (ما ضر أن لم نكن اكفاءه شرفاً ...) ، وكان الشاعر هنا يتحدى واقعه الانفصامي ، إذ هو لا يستطيع أن يبلغ المتلقي لتكوينه الخاص ، فكان هذا التحاور إشارة الى قضية العلاقة نفسها التي تتجاوز اطار التحكم الخارجي الذي يفوق طاقة الذات .(٤٠)

هـ ـ المقطع الخامس : (وصف مفاتن الحبيبة مجازياً)

٣٠ ـ يا روضةً طالما أجنت لواحظنا ... ورداً جلاهُ الصِّبا غضاً ونِسرينا

٣١ ـ ويا حياةً تملّينا بزهرتها ... مُنىً ضُروباً ولذّاتٍ أفانينا

٣٢ ـ ويا نعيماً خَطرنا من غضارته ... في وشي نُعمى سَحبنا ذيلهُ حينا

٣٣ ـ لسنا نُسميكِ إجلالاً وتكرمةً ... وقدرُكِ المُعتلى عنْ ذاك يُغنينا

٣٤ ـ إذا انفردت وما شوركتِ في صِفةٍ ... فحسبُنا الوصفُ إيضاحاً وتبيينا

٣٥ ـ يا جنةَ الخُلدِ أُبدلنا بسدرتها ... والكوثرِ العَذبِ زَقُّوماً وغِسلينا

٣٦ ـ كأننا لم نبِتْ والوَصلُ ثالثُنا ... والسَّعدُ قد غضَّ منْ أجفانِ واشينا

٣٧ ـ سرّان في خاطر الظلماء يكتمنا ... حتى يكاد لسان الصبح يفشينا

٣٨ـ لا غروَ في أنْ نكرنا الحُزنَ حينَ نَهتْ
عنهُ النُّهى وتركنا الصّبرَ ناسينا

٣٩ـ إنّا قرأنا الأسىَ يومَ النّوى سُوراً
مكتوبةً وأخذْنا الصّبرَ تُلقينا

في المقطع السابق ارتبطت السماء بالمتلقي ارتباطاً وثيقاً ، ولكي تستكمل اجزاء الصورة ، ويستقر وضعها المكاني بالقوة نفسها اتجه الشاعر الى الجزء الاخر من الكون وهو الارض فاقتطف منها روضة ، وحياة ، ونعيماً وخاطب بها المتلقي على النكرة غير المقصودة ، وعطف على النداء للفكرة غير المقصودة مما يتيح له مثل هذا الاستغراق .

وبنية هذا المقطع تتألف من ثنائية طرفها الاول المتلقي وطرفها الثاني الشاعر (المتلقي / الشاعر) فالمتلقي (ولادة) تكنى بالروضة ، والحياة ، والنعيم ، وجنة الخلد التي تعطي ما عندها من أزهار وثمار وغضارة عيش وكوثر عذب ، والشاعر يجني تلك الثمار ، ويستمتع بالملذات ، ويأخذ نصيباً منها . ولكن ذلك النعيم لم يدم طويلاً ، فابدلت (السدرة / زقوم) و (الكوثر / غسلين) واخرج الشاعر من جنته كما اخرج آدم (عليه السلام) من الجنة .

وفي استخدام الشاعر الضمائر نجد الضمير العائد للمتلقي المفرد المؤنث المخاطب (نسميكِ ، انفردتِ ، شوركتِ) استخدم في موضعه ، وفيه التفات عما سبق من المقاطع . اما الضمائر العائدة للشاعر فهي ضمير الجمع (نا) للمتكلم على الفاعلية : (تملينا ، خطرنا ، سحبنا ، ابدلنا ، ذكرنا ، تركنا ، قرأنا ، اخذنا) وضمير الجمع (نا) للمتكلم على المفعولية : (يغنينا ، يكتمنا ، يغشينا ، ناسينا) والضمير (نا) على الاضافة : (لواحظنا ، فحسبنا ، ثالثنا ، واشينا) ولم يحدث فيها اي تغيير عما سبق .

ويوظف الشاعر اسلوب النداء لاسماء نكرة غير مقصودة يريد بها اخفاء اسم محبوبته لاظهار حرصه على صيانة ودها ، ولم يجد اجمل من عناصر الطبيعة ليكني بها عنها ، فهي الروضة التي تمتلىء بالازهار والثمار وطيب الرائحة والطعم ، فيجني منها الورد والنسرين ، ولعله يعني الخدود والعيون ، وهي الحياة والحياة مليئة بالسعادة والشقاء ، ولكنه يتملى بزهرتها اي سعادتها ، وهي النعيم فيأخذ منه غضارة العيش . وهذه الكنايات الثلاث تصب في منادى مقصود يكنى عنها بجنة الخلد ، وعندما يصل الى ذروة السعادة الابدية في تلك الجنة يخرج منها مرغماً إذ تتحول سدرتها (ويعني كل طعام) الى زقوم ، ويتحول كوثرها العذب (ويعني كل شراب) الى غسلين ، ويتحول كل نعيم الى جحيم .

ان هذه « الذكرى التي تخلفها جنة الخلد ، وسدرة المنتهى ، والكوثر العذب ، وهي تعكس حالة اهل النار ـ الزقوم والغسلين ـ تصبح مصدر أرق دائم عند الانا (الشاعر) ولا تبرح ذاكرته ، وتتركه يعاني وطأة السر الذي كان يجسده مع الاخر (المتلقي) قبل الانفصام »[٤١] .

ويوظف ابن زيدون أدوات النفي (لسنا نسميك . وما شوركت ، لم نبت ، لا غرو) لانكار فكرة ما أو نقضها ، فهو يسوغ عدم ذكر اسمها بعد أن كنّاها بنكرات غير مقصودة إجلالاً وتكرمة لها ، وقدرها يغني عن الذكر . أو ينكر مشاركة الاخرين لها بهذه الصفة ، فيثبت إنفرادها وتميّزها ، في جملة شرطية جوابها الوصف لها ايضاحاً وتبييناً ، أو يأتي بالنفي بعد أداة تشبيه ، فكأنه لم يبت معها والوصل ثالثهما أو كان تلك الليلة كانت حلماً ماضياً .

وقد دفعته الضرورة الشعرية في البيت (وقدرك المعتلى عن ذاك يُغنينا) الى الفصل بين المبتدأ (وقدرك) والخبر (يُغنينا) بالجار والمجرور (عن ذاك) لينسجم مع القافية .

وترد في هذا المقطع صور بيانية (استعارات) ، فلواحظ الشاعر تجني من الحبيبة (الروضة) ورداً غضاً ونسرينا ، وها هو الوصل يكون ثالث اثنين يستتران في خاطر الظلماء ، فاسند الى الظلمة خاطراً ، واسند الى الصبح لساناً يكاد يُفشي بهما .

وذكر ابن بسام : ان هذا البيت (سران في خاطر الظلماء ...) « مما زاد فيه لمليح الاستعارة على قول ابي الطيب :

أزورهم وســواد الليـل يشفـع لي
وأنثني وبيـاض الصبح يُغـري بي

على أن ابا الطيب أجاد فيه ما أراد ، وكرره في مواضع من شعره . »[٤٢]

ويتحول الاسى الى سور مؤكداً قراءتها يوم النوى سورة بعد سورة ، ويأخذ الصبر تلقينا لايقاف ذلك الاسى .

وتدور مفردات هذا المقطع على وفق مستواها المعجمي حول محور ديني يسود غيره من المحاور ، ويتخذ نمطين ، الاول : الفاظ النعيم : (الروضة ، والحياة ، والنعيم ، وجنة الخلد ، والسدرة ، والكوثر ، والوصل ، والسعد) ودلالاتها توحي بالنعيم مع المتلقي

ولادة . والثاني : ألفاظ الشقاء : (الزقوم ، والغسلين ، وسور الأسى ، والصبر) وتوحي دلالاتها بالمرارة وتجرع الصبر بعد الفراق مرة بعد أخرى .

يجسد ابن زيدون في خطابه هذا موقفاً ايمانياً له علاقة بالجنة والنار ، ويستلهم ما كان عليه آدم (ع) في الجنة وخروجه منها ، تعبيراً عن ماضيه السعيد وحاضره الشقي ، ولكن معاناته التي عكست حال أهل النار لم تفارق ذهنه قبل فراقه للمتلقي ، وكذلك لم تفارق أبياته كلها وإنْ كان يوهمنا بتلك السعادة وذلك النعيم .

و ـ المقطع السادس : (حزن واستسلام)

٤٠ ـ أما هواكِ فلم نعدِلْ بمنهلهِ
شِرباً وإن كانَ يُروينا فيُظمينا

٤١ ـ لم نَجفُ أفقَ جمالٍ أنتِ كوكبُهُ
سالينَ عنهُ ولم نَهجرهُ قالينا

٤٢ ـ ولا اختياراً تَجنّبناهُ عن كَثَبٍ
لكنْ عَدتنا على كُرهٍ عَوادينا

٤٣ ـ نأسى عليكِ إذا حُثّتْ مُشعشعةً
فينا الشَّمولُ وغنّانا مُغنّينا

٤٤ ـ لا أكؤُسُ الراحِ تُبدي من شمائِلِنا
رسيما ارتياحٍ ولا الأوتارُ تُلهينا

٤٥ ـ دومي على العهدِ ما دُمنا ـ محافظةً
فالحرُّ من دانَ إنصافاً كما دِينا

٤٦ ـ فما استعضنا خليلًا منكِ يحبسُنا
ولا استفدنا حبيباً عنكِ يُثنينا

٤٧ ـ ولو صَبا نَحونا من عُلوِ مَطلعهِ
بدرُ الدُّجى لم يكنْ ـ حاشاكِ ـ يُصبينا

٤٨ ـ أولي وفاءً وإنْ لم تبذلي صِلةً
فالطيفُ يُقنِعنا والذِكرُ يكفينا

٤٩ ـ وفي الجوابِ متاعٌ إنْ شفعتِ بهِ
بيضَ الأيادي التي ما زلتِ تُولينا

٥٠ ـ عليكِ منّا سلامُ اللهِ ما بقيتْ
صبابةٌ منكِ نُخفيها فتُخفينا

تتآلف بنية هذا المقطع من ثنائيات متضادة ، منها ما يعود الى المتلقي (الحبيبة) ومنها ما يعود الى الشاعر وهي : (هواكِ / شربا) الشرب يروي ، وهوى ولادة على العكس لا يعدله شرب آخر ، فهو يروي ولكنه يظمي .

وقد وجد فيه ابن بسام : « معنى متداول ومن أشهره قول ابن الرومي :

ريق إذا ما ازددتُ من شربه
ريّاً ثناني الريّ ظمآنا

واشبه به ما انشده الثعالبي :

كرضاب الحبيب يشفي غليلًا
ثم ينشي الى المزيد غليلا »[٤٣]

و (افق جمال / لم نجفه ولم نهجره) المتلقي كوكبٌ لافق جمال ، ومن طبيعة هذا الكوكب يظهر ويختفي ، ولكن الشاعر على عكسه لم يترك ذلك الكوكب ولم يهجره .

و (الأسى عليها / الشرب والغناء) ان الحزن على فراق الحبيبة يقابله محاولة نسيان بالخمر والغناء ، ولكن هاتين الوسيلتين على عكس طبيعتهما تثيران الحزن عليها ، مما ينفي عنه الارتياح والتسلية في كل وقت . و (الحبيبة / الخليل والحبيب) بوجود الحبيبة تنتفي الحاجة الى خليل أو حبيب آخر ، ولكن بعد فراقها يبقى الانتفاء قائماً . و (وفاء الحبيبة / بذل الصلة) الوفاء يعني البقاء على عهد المودة ، ويستدعي بذل الصلة والارتباط ، ولكن هذا على العكس لا يستدعي من الوفاء بذل الصلة ، وانما يقنع بطيفها ، ويكتفي بذكرها وهما اضعف المطالب .

و (الجواب / متاع) الجواب من الحبيبة بعد الفراق مشقة واثارة للحزن والذكريات ، ولكنه على العكس عند الشاعر يثير المتعة لديه ، وكأنه يعوّض عنها ، وهو جزء من كرمها عليه .

وفي استخدام الشاعر للضمائر التي تعود للمتلقي فانه يخاطبها بالضمير المؤنث المفرد مثل الكاف : (هواكِ ، نأسى عليكِ ، منكِ ، عنكِ ، حاشاكِ) وتاء الفاعل مثل (شفعتِ) واسم ما زال (ما زلتِ) والضمير المستتر (انتِ) في (تولينا) والياء في الأفعال الخمسة (دومي ، أولي ، تبذلي) .

اما الضمائر التي تعود الى الشاعر فمثل الضمير (نا) الذي يوظفه للفاعل والمفعول وللتملك مثل : (يروينا ، ويظمينا ، وتجنبناه ، وعدتنا ، فينا ، وغنانا ...) وكذلك استخدم الضمير المستتر (نحن) في (نعدل ، نجفُ ، نهجر ، نأسى ، نخفيها) .

ومن الاغراض التي يستخدم فيها ضمير الجمع مكان المفرد لاظهار التودد الى شخص مألوف لدى المتكلم وفي منزلته الاجتماعية ، أو للابتعاد عن معنى الانانية في استعمال لفظة

(أنا) بكثرة ، والاقتراب من معنى مشاركة المخاطب للمتكلم في التعبير .[44]

يقدم ابن زيدون من خلال اسلوب النفي حججاً قاطعة ، وكأنه يريد أن يطمئن المتلقي ويقطع لديه اي حجة لبقائه على فرقته ، ويضع بذلك اصل المشكلة في ساحته ، ويخلي نفسه من المسؤولية . وهي : (اما هواك فلم نعدل بمنهله شرباً ، لم نجف افق جمال انت كوكبه ، ولم نهجره ، ولا اختياراً تجنبناه ، لا اكؤس الراح تبدي من شمائلنا ، ولا الأوتار تُلهينا ، فما استعضنا خليلًا منك ، ولا استفدنا حبيباً عنك ، لم يكن يُصبينا) فان هذه العبارات المنفية تعبر بقوة عن تاكيده البقاء ثابتاً على مودته لها ، وقد نفى عنه كل ما يُسليه أو يُنسيه ذكرها ، ونقض اي رغبة في أن يستعيض عنها حبيباً أو خليلًا يُسليه دونها .

ويستخدم الشرط لبيان موقف ما ، أو للاستدراك عليه موضحاً ، فقوله : (أما هواكِ فلم نعدل بمنهله شرباً) فاما تفصيلية وجوابها يقع بعد الفاء ، أي لا يُعادل هواها بشرب آخر ، ثم يستدرك عليه بقوله : (وإنْ كان يروينا فيظمينا) اي ان شراب هواها يروي ولكنه يُظميء مما يستدعي طلباً مستمراً عليه ، أو يستدعي شراباً غيره ولكن الشاعر لا يريد أن يعادله بشراب آخر كما بيّن قبل ذلك . وكذلك يستخدم أداة الشرط (لو) في اقناعها بامتناع تحقق الشيء لامتناع وجوده ، فلو مال بدر الدجى نحوه ، وهذا لا يتحقق ، فانه لا يميل اليه ، فالجواب ممتنع لامتناع تحقق الشيء ، فكان ميله لغيرها ضرب من المستحيل . ويمضي في عباراته مستدركاً بـ (إنْ) مثل قوله : (أولي وفاء وإنْ لم تبذلي صلة) اي ان تبقي على الوفاء وهو لم يتحقق في الواقع فاستدرك ليكن ذلك دون أن تعيد صلتها به . وقوله ايضاً :

(وفي الجواب متاع إن شفعتِ به) فجوابها على رسالته (قصيدته) أمتاع له ، فاستدرك امكان تحقق ذلك برغبتها وارادتها .

ويستخدم صيغة الأمر التي تتحول من الالزام الى الالتماس ، فقوله : (دومي على العهد ...) التماس منها أن تبقى على عهد المودة ، وفيه شيء من الخضوع والاستسلام وأن تجازيه مثل صنيعه وهو البقاء على عهدها إذ لم يتخذ مثلها حبيباً أو خليلًا ، ويعني ابن عبدوس . وقوله (أولي وفاء ...) التماس منها أن تبقي على وفائها مع قطع صلتها به ، فطيفها يقنعه ليلًا وذكرها يكفيه نهاراً . وهذا ايضاً يدل على الضعف والقبول بالادنى .

قدّم الشاعر الجار والمجرور على الفاعل في قوله : (ولكن عدتنا على كره عوادينا) فجعل الجار والمجرور (على كره) اي دون رغبة موضع الصدارة . وكذلك تقديم الحال والجار والمجرور على نائب الفاعل (الشمول) في قوله : (اذا حثت مشعشعة فينا الشمول) لبيان حال الخمرة المفري على النشوة وفقدان التذكر ، ولكنها مع ذلك لا تعمل عملها فيه ، ومثل هذا التقديم اذا اردنا ان نقول ان الضرورة الشعرية هي التي املت على الشاعر مثل هذا التقديم ، فان تصديرها ايضاً يخلق معنىً يؤثر في النفس ايما تاثير .

وقد عمد الشاعر الى اسلوب التنكير والحذف لتكون عباراته اكثر ايجازاً ، وادعى الى اثارة التفكير في المنكر والمحذوف . ففي قوله : (فما استعضنا خليلًا ، ولا استفدنا حبيباً) لم يذكر اسم الخليل أو الحبيب واكتفى بالاشارة اليهما ، وفي قوله : (والطيف يقنعنا والذكر يكفينا) حذف الجار والمجرور (بكم) بعد كلا الفعلين . وفي عباراته الاعتراضية يرى الدكتور جودة الركابي إن « استعماله لكلمة (حاشاك) في البيت حشو بغيض ... اضف الى ذلك ابتذال المعنى في هذا البيت »[45] .

واذا انتقلنا الى صوره البيانية (المستوى الدلالي) فسنجد هوى ولادة يتحول الى شراب ينهل منه شاعرنا فيرويه ويظميه في آن واحد ، وهنا استعار للهوى شراباً وهي استعارة مكنية وابقى لازمة منه وهي الافعال (ينهل ، ويروي ، ويظمي) . ويستعير للجمال سماء ويبقي لازمة منها وهي (الافق) وهي استعارة مكنية ايضاً ، ويجعل ولادة كوكب ذلك الافق الذي لم يجفه أو يهجره . وها هي اكؤس الشراب لا تحرك شمائله ولا الاوتار تطربه ، فاسند اليها الافعال : (تبدي ، وتلهي) وهي أفعال انسانية ، ولازمة من لوازمه . وكذلك في استعاراته الاخرى (بدر الدجى يصبينا ، والطيف يقنعنا والذكر يكفينا ، صبابة نخفيها فتخفينا) اسند اليها افعالًا انسانية ، وجعلها تتصف بما يتصف به البشر ، وجمال هذا التشخيص في تكوين الصورة يبدو من خلال غلالة خيالية .

وفي قوله : (وفي الجواب متاع ... بيض الأيادي التي ما زلت تولينا) اي جوابها اليه عن قصيدته ، جزء من (بيض أياديها) كناية عن كرمها وعطائها له .

وتدور الفاظ هذا المقطع على وفق مستواها المعجمي حول المحور الاخلاقي والنفسي وذلك لان المضمون العام كله يدور حول هذا المحور . ومن الالفاظ التي وردت فيه : (السلو ، والهجر ، والشمائل ، والدوام على العهد ، والانصاف ، والوفاء ، والصبابة) ودلالات هذه الالفاظ تدعو الى اظهار الشمائل الطيبة ، والى بيان معدن النفس التي لا ترغب في التناسي والتباعد ، والوفاء لذلك

الحبيب ، والبقاء على عهد المودة ، وذكراه ، ولكن هذه الدلالات لم تستطع أن تثبت لولادة صدق المشاعر ، ولم تغيّر من موقفها ، فكانت هذه القصيدة بمثابة صرخة أخيرة لانقاذ تلك العلاقة من الموت والفناء .

اما القصيدة على وفق مستواها الصوتي ، فقد قمت بدراستها دون النظر الى مقاطعها الموضوعية ، لان الايقاع في القصيدة يكاد يكون واحداً ، ويحققه مظهران ، الاول ترتيبي يخضع لمقاييس زمنية يطلق عليها الايقاع الخارجي ، ويتألف من الوزن والقافية . والثاني تكراري يتحقق في المادة اللغوية ، ويطلق عليه الايقاع الداخلي ويتألف من التكرار والجناس والتصدير .

أ ــ الايقاع الخارجي :

١ ــ الوزن : جاءت قصيدة ابن زيدون على وزن بحر البسيط ، وقد كثر استخدامه في الشعر العربي ، وهو « قريب من الطويل ، ولكنه لا يتسع لأغراض كثيرة مثله ، ولو انه يفضل عليه من حيث الرقة ، وعلى هذا الأساس نجده اكثر توافراً في شعر المولدين »[٤٦] .

وقد جاء عروض القصيدة مخبوناً (فَعِلن) والضرب مقطوعاً وجوباً (فاعل) في جميع أبياتها ، ويستثنى من ذلك مطلعها الذي جاء عروضه مقطوعاً وضربه مقطوعاً ، وقد يلحق الخبن حشو الابيات ــ حذف الثاني الساكن ـ في (مستفعلن) فتصبح (متفعلن) و (فاعلن) تصبح (فعلن) ، ومثل هذا مستحب مستحسن ، يزداد حسناً إذا كان الصدر والعجز يتقاسمان مثل هذا الخبن .

واذا استثنينا الخبن في عروض الأبيات والقطع في ضربها لانها جاءت هكذا متساوية في جميع أبيات القصيدة ، فاننا نستطيع أن نتبين مقدار الخبن واختلافه في حشو الابيات في كل مقطع من مقاطع القصيدة ، وبالتالي نتبين من خلاله مقدار خروج الشاعر من الرتابة الايقاعية ، وهو تصرف اسلوبي يتخذه الشاعر لزيادة سرعة أبياته إذ تتوالى ثلاث حركات تساعد على انسياب اللسان بسرعة للتأثير في المتلقي ، وهي على النحو الآتي :

المقطع	التفعيلة	عددها	المخبون	النسبة المئوية
الاول	مستفعلن	٢٨	٥	٪٢٣٫٨٠
	فاعلن	١٤	٥	
الثاني	مستفعلن	٤٨	٦	٪١٨٫٠٥
	فاعلن	٢٤	٧	
الثالث	مستفعلن	١٦	٢	٪١٦٫٦٦
	فاعلن	٨	٢	
الرابع	مستفعلن	٢٤	٣	٪٢٥
	فاعلن	١٢	٦	
الخامس	مستفعلن	٢٠	٦	٪٢٣٫٣٣
	فاعلن	١٠	١	
السادس	مستفعلن	٦٤	٨	٪١٧٫٧٠
	فاعلن	٣٢	٩	

يتضح مما تقدم ان نسبة التوتر والانفعال تزداد في المقطع الرابع من القصيدة ، ويليها بدرجة أقل في المقطع الاول والخامس ، إذ تتسارع التفعيلات بتوالي ثلاث حركات . ومما يلاحظ ايضاً أن الخبن في تفعيلة (فاعلن) اكثر منه في تفعيلة (مستفعلن) مما يدل على استثمار الشاعر لبعض المفردات المؤثرة للخروج بها من طوق الرتابة الايقاعية ، لا سيما أن المقطع الرابع مشحون بالوصف الحسي للمحبوبة ، بينما نجد المقطع الاول في وصف حاله في الماضي والحاضر ، والخامس في الوصف المجازي للمحبوبة .

٢ ــ القافية : ركن من أركان بناء موسيقى الشعر ، وهي « بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع ترددها ، ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الآذان في فترات زمنية منتظمة »[٤٧] .

والقافية في نونية ابن زيدون مطلقة ، والروي فيها محرّك بالفتحة ، فيمد الصوت ، وتتولد من جراء ذلك ألف مد للاطلاق ، مثل : (أمينا ، رياحينا ، المحبينا ، طينا ، تحسينا ، أحايينا ، تزيينا ، تسرينا ، أفانينا ، حينا ، تبيينا ، غسلينا ، تلقينا ، دينا) .

وقد تكون الألف متولدة من الضمير المتصل لجمع المتكلمين (نا) ، والضمير هنا عائد مرة اليه وحده ، ومرة لكليهما ــ اي هو وحبيبته ــ ويفهم ذلك من سياق الكلام ، والضمير (نا) يأتي مرة في محل مضافاً اليه مثل : (تجافينا ، ناعينا ، بايدينا ، تلاقينا ، أعادينا ، مآقينا ، تاسينا ، ليالينا ، تصافينا ...) ومرة يأتي الضمير (نا) في محل نصب مفعولًا به مثل : (يُبلينا ، يُبكينا ، يُغرينا ، يسقينا ، يُعدينا ، يُحيينا ، يُغنينا ، يُغشينا ، فيظمينا ، تُلهينا ، يُثنينا ، يكفينا ، تولينا ، فتخفينا) .

وحرف الروي في هذه القافية النون وبه سميت القصيدة النونية) ، واذا كان العرب قد جعلوا حرف العين والهمزة والسين اجمل حروف القافية ، فان النون تليها جمالًا .[٤٨] إن جمال

القافية المطلقة يتحقق في التردد الموسيقي المؤثر الذي تحدثه عندما تكون القافية مردوفة بالالف أو الواو أو الياء ــ اي الحرف الذي يسبق الروي مباشرة ــ وقد التزم ابن زيدون حرف الياء ردفاً في جميع قوافي قصيدته ، مما خلق تاثيراً في المتلقي ، وزاد من جمال موسيقاها انها حليت بالف الضمير (نا) وألف المد مما جعل منها صرخة استغاثة تصل الى مسامع حبيبته البعيدة عنه ، ويبقى صداها يتردد على مر السنين .

ب ــ الايقاع الداخلي :

يخلق التنسيق في ترتيب الحروف والالفاظ وتناسبها جرساً موسيقياً يثير الانفعال لدى المتلقي ، وقد استخدم ابن زيدون في هندسة الفاظ قصيدته وحروفها لتكوين الايقاع الداخلي فنوناً بديعية كالتكرار ، والجناس ، والطباق ، والتصدير وغيرها .

فالتكرار « تناوب الالفاظ واعادتها في سياق التعبير بحيث تشكل نغماً موسيقياً يتقصده الناظم في شعره ونثره »[٤٩] . وقد يكون في تكرار حروف دون أخرى في البيت الواحد أو تكرار الفاظ وعبارات زيادة في النغم وتقوية في الجرس .

ومن الحروف المكررة حرف الحاء كما في قوله :

المقطع	التفعيلة	عددها	المخبون	النسبة المئوية
الاول	مستفعلن	٢٨	٥	٢٢٫٨٠٪
	فاعلن	١٤	٥	
الثاني	متفعلن	٤٨	٦	١٨٫٠٥٪
	فاعلن	٢٤	٧	
الثالث	مستفعلن	١٦	٢	١٦٫٦٦٪
	فاعلن	٨	٢	
الرابع	مستفعلن	٢٤	٣	٢٥٪
	فاعلن	١٢	٦	
الخامس	مستفعلن	٢٠	٦	٢٢٫٣٣٪
	فاعلن	١٠	١	
السادس	مستفعلن	٦٤	٨	١٧٫٧٠٪
	فاعلن	٣٢	٩	

ألا وقد حان صبح البين صبحنا
حين فقام بنا للحين ناعينا

إذ ورد الحاء خمس مرات ، وحرف الحاء خافت ، يستمد خفوته من هدوء الفجر الذي تقطعه حركة الراحلين والمودعين .

وفي تكراره حرف السين قوله :

كنا نرى اليأس تُسلينا عوارضه
وقد يئسنا فما لليأس يُغرينا

إذ ورد حرف السين اربع مرات في البيت ، وهذا الحرف صفيري ، يراد منه زيادة حدة الصوت وارتفاعه ، وكأنه يريد أن يعلن عن يأسه وخيبة أمله لمتلقيه .

اما تكراره الاسماء الموصولة (ما) وأدوات النفي (ما ، لم) والنداء (يا) وظروف الزمان (إذا) وحروف الجر (من) والافعال الناقصة (كان) فلم يكن مقصوداً لذاته وإن كان قد حقق من تكرارها نغماً موسيقياً ، إذ إن طبيعة التركيب اللغوي يفرض ذلك . وقد وظفها الشاعر في خدمة بنية عباراته التركيبية . ويتضح ذلك في استخدامه (ما) الموصولة والفعل الناقص كان :

فانحل ما كان معقوداً بانفسنا
وأنبتّ ما كان موصولاً بايدينا

وكأنه بهذه الهندسة اللفظية أراد أن يخلق توازناً موسيقياً في البيت ، ومثل هذه الموازنات موجودة في أبياته الاخرى : (وما يخشى تفرقنا ــ وما يرجى تلاقينا) و (لم يفتقد بعدكم ــ ولم نتقلد) و (من تآلفنا ــ من تصافينا) و (لم نجف ــ ولم نهجره) و (لا اكؤس الراح ــ ولا الاوتار) .

وقد يكون مثل هذا التكرار في بيتين أو اكثر كما في تكراره ظرف الزمان وحرف النداء .

مثل قوله : (إذ جانب العيش طلق ...) (وإذ هصرنا غصون ...) /

و (يا ساري البرق ...) (ويا نسيم الصبا ...) (يا روضة طالما ...) (ويا حياة تملينا ...) (ويا نعيما خطرنا ...) وقد انتظم هذا التكرار مساحة القصيدة كلها تقريباً ولم يتركز في مقطع من مقاطعها .

والجناس عبارة عن « تردد الاصوات المتماثلة أو المتقاربة في مواضع مختلفة »[٥٠] . وقد وظف ابن زيدون اكثر من خمس وعشرين لفظة مجانسة في أبيات قصيدته مما يمكن القول اننا قد نجد بين بيت وآخر جناساً . ومما يلاحظ أن ينقسم على قسمين جناس تام وفيه تتماثل حروف اللفظين ، وجناس غير تام ومن انواعه الناقص ، والمضارع والمصحف ، والمشتق .

وقد استخدم ابن زيدون الجناس المشتق بنسبة ٧٠٪ من

انواع مجانساته ، ويليه الجناس التام ثم الجناس المضارع والمصحف . ومن ذلك قوله من المشتق :

من مبلـــغ الملبسينا بـانتــزاحهمُ
حــزناً مـع الـدهـر لا يبلىٰ ويُبلينا

فالجناس الاشتقاقي واضح بين (لا يبلىٰ ويُبلينا) فالفعل يبلىٰ مشتق من (بلى) اي تمزّق وتهرأ ، والفعل (يُبلي) يُمزّق ، وهذا الاشتقاق يعطي للحزن صفة الأبدية فحبيبته التي فارقته ألبسته ثوباً من الحزن ارتبط مع الدهر ، فاكتسب الابدية ، ومن صفاته ايضاً انه لا يتمزّق ولكنه يمزّق لابسه ، ومثل هذا الجناس له صلة بالحالة النفسية لدى الشاعر والمتلقي .

ومن مجانساته الاشتقاقية : (حان صبح البين صبحنا حين فقام بنا للحين) و (نعتب اعاديكم ، من العتبىٰ اعادينا) و (نرى اليأس ، يئسنا) و(الاسى ، تأسينا) و (ارواحنا ، رياحينا) و (اسق ، يسقينا) و (عنىٰ ، يعنينا) و (حياً ، يحيينــا) و (يقضينا ، تقـاضينا) و (انشـاه ، انشاء) و (كاف ، تكافينا) و (تاود ، آدته) و(صفة ، الوصف) و (نهت ، النهىٰ) و (عدتنا ، عوادينا) و (دومي ما دمنا) و (دان ، دينا) و (نخفيها فتخفينا) . وهكذا ومن الجناس التام قوله :

كذا نـرىٰ تُسلينا عـوارضـه
وقد يئسنا فما لليأس يُغــرينا

فاليأس الاول يُسلي ، واليأس الثاني يُغري وهما متماثلان في حروفهما ، وتكرارهما قد اهدى ترديداً صوتياً ، وتوازناً لفظياً ، وتوزيعاً معنوياً .

ومن مجانساته التامة : (عهدكم ، عهد) و (حين ، للحين) و (اعـاديكم ، اعـادينـا) و (نـأيكم ، النـأي) و (تذكرنا ، تذكره) .

ومن تجنيسه في المضارع قوله :

ما حقنا أن تقروا عين ذي حسد
بنا ولا أن تسرّوا كاشحاً فينـــا

فالتجانس بين لفظتي (تُقروا) و (تُسرّوا) واضح ، والفرق بينهما في الحرفين القاف والسين ، وهما قريبان من المخرج ، ولا يؤثر ذلك في تغير التردد الصوتي ، وتوزيعهما في كل شطر خلق توازناً صوتياً .

ومن مجانساته المضارعة : اللفظان منكم ، عنكم في (بدلًا منكم ، ولا انصرفت عنكم) واللفظان منكِ ، عنكِ في (خليلًا منكِ ، حبيباً عنكِ) .

ومن الجناس المصحّف قوله :

ويـا نسيم الصبـا بلـغ تحيتنـا
من لو على البُعد حيًا كان يُحيينا

فاللفظان (تحيتنا ، يُحيينا) متماثلان في الاحرف ومختلفان في الاعجام (النقط) وقد جاء كل منهما في نهاية كل شطر لخلق توازن صوتي يتردد في ارجاء البيت كله .

والتصدير ان « يرد اعجاز الكلام على صدوره ، فيدل بعضه على بعض ، ويسهل استخراج قوافي الشعر إذا كان كذلك ، وتقتضيها الصنعة »[٤١] ويتمثل ذلك في لفظين يردان في شطري البيت ، ويؤدي تكرارهما الى تأكيد دلالة الكلام ، وتقريره ، وبيانه ، وتذكير بعضه ببعض ، وخلق تناسق صوتي يتردد بينهما . واللفظان اما مكرران أو متجانسان أو مشتقان ، وتختلف مواقعهما في البيت ، فاللفظ الاول أما أن يكون في اول الصدر أو في حشوه أو في آخره أو في أول العجز . واللفظ الثاني يكون في آخر العجز فيشكل قافيته .

وقد وظف ابن زيدون هذا النوع من الصنعة البديعية في نونيته ، وقد وجدت جل تصديره يشتمل على اللفظين المشتقين اللذين يقع اولهما في حشو الصدر وثانيهما في آخر العجز . فمن ذلك قوله :

وأسـأل هنالك هل عنّىٰ تـذكـرنا
إلفـاً تـذكّـره أمسىٰ يُعنّينـا

فاللفظ الاول (عنىٰ) واللفظ الثاني (يُعنينا) وهما مشتقان ، والشاعر يبغي من وراء ذلك اقرار معنىٰ اللفظ عند الحبيبة ، أي أن تذكرها قد شغله فهل شغلها تذكره . وكذلك لتحقيق توازن صوتي بين الشطرين .

ومن تصديره مثل هذا النوع : (ولو صبا ... ـ يُصبينا) و(اسق به ـ يسقينا) و (يقضينا ـ تقاضينا) و(اكفاءه ـ تكافينا) . وللشاعر بيت واحد ورد فيه اللفظ الاول في آخر الصدر والعجز وهو (اعاديكم ـ اعادينا) .

٤ ـ الخاتمة :

من هذا يتبين لنا أن قصيدة ابن زيدون لم تكن وليدة ترف فكري وانما كانت وليدة اعوام من البعد والعذاب والحرمان ، ولم تكن قصيدته فريدة في موضوعها واسلوب تركيبها وجمال ايقاعها بين القصائد حسب وانما كانت عفوية تتجلى عفويتها من خلال

احساس الناس عند قراءتها بالتعاطف مع الشاعر لان ما يعبر عنه من مواقف انسانية يجدونه في أنفسهم ولكنهم لا يحسنون التعبير عنه .

تتوزع القصيدة على انتقالات موضوعية بين تذكر الماضي السعيد والحاضر الشقي ، واعتراف بتدخل الوشاة في خلق التباعد بين الشاعر وحبيبته ولادة ، ونفي كل ما يدل على سلو وجفاء تجاهها ، واثبات معاني الود والوفاء نحوها ، وهي اشبه بالمقدمة . ويلجأ الى الطبيعة لتسعفه بالتحية اليها ، والتأكد من مسألة مهمة لديه وهي هل ما زالت تتذكره مثلما يتذكرها ؟ ويسترجع صورتها في ذهنه فإذا هي امرأة مترفة منعّمة تزهو ببشرتها البيضاء كالفضة ، وشعرها الاصفر كالذهب ، حالية بعقودها وخلاخيلها ، محمرة الوجنتين ، مكتفية بحسبها الكريم ، بل وهي روضة مليئة بالازهار ، وحياة مفعمة بالسعادة ، ونعيم فيه غضارة عيش ، وجنة الخلد التي فارق سدرتها وكوثرها ليجد دونها الزقوم والغسلين ، واختتم قصيدته القبول بواقع الحال والاستسلام له ، فهو مع بقائه على هواها لم يسلها أو يهجرها ، ولم يتجنبها مختاراً ، ولم تغفل وسائل اللهو على نسيانها ، ولكنه يطلب منها الوفاء بعهده ولو بطيفها وذكراها ، وجوابها عن قصيدته (رسالته) فهو جزء من كرمها تجاهه .

ولكن يبقى السؤال هل حققت القصيدة (الرسالة) هدفها المنشود ؟ الجواب لم تستطع هذه القصيدة أن تغيّر موقف ولادة من الفرقة والتباعد ، ولم تثبت صدق مشاعره تجاهها مع عفويتها ، لأن ما بين ولادة وشاعرنا يتخطى حدود العفوية ، فقد كانا ــ على تقارب ميولهما ــ عارمي الغضب ، مندفعين اليه ، وقد ينتهيان الى السباب والهجاء الفاحش ، ومع ذلك نقول كانت القصيدة بمثابة صرخة أخيرة لاختبار ردة فعلها تجاهه لم تذهب سدى وإن لم تحقق ما يصبو اليه ، فقد عارضها كثير من الشعراء فاصبحت خالدة يتردد صداها على مر السنين .

٥ ــ الهوامش :

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان ١ / ١٣٩ والصفدي : الوافي بالوفيات ٧ / ٨٧ .

(٢) ابن الابار : اعتاب الكتاب ٢٠٧ وابن خلكان : وفيات الاعيان ١ / ١٣٩ والصفدي : الوافي بالوفيات ٧ / ٨٧ .

(٣) ابن خاقان : قلائد العقيان ٧٩ وابن سعيد : المغرب ١ / ٦٣ .

(٤) ينظر : د . جودة الركابي : في الأدب الاندلسي ١٧٦ .

(٥) ينظر : ابن بسام : الذخيرة ١ / ٣٢٨/١ .

(٦) ينظر : المصدر نفسه ١ / ١ / ٤١١ .

(٧) ابن الأبار : اعتاب الكتاب ٢٠٩ .

(٨) ينظر : المقري : نفح الطيب ١٨٢/٣ .

(٩) ابن زيدون : ديوانه ٢٨٠ .

(١٠) ابن دحية : المطرب ١٦٨ .

(١١) ابن الابار : اعتاب الكتاب ٢١٣ وابن خلكان : وفيات الاعيان ١/ ١٤٠ والصفدي : الوافي ٨٧/٧ .

(١٢) المراكشي : المعجب ١٠٨ .

(١٣) ينظر : المقري : نفح الطيب ٢٠٧/٤ .

(١٤) ينظر : ابن بسام : الذخيرة ق ١ / ١ / ٤٣٢ .

(١٥) المصدر نفسه ق ١/ ١/ ٤٢٩ ــ ٤٣٠ .

(١٦) المصدر نفسه ق ١/ ١/ ٤٣٠ .

(١٧) المصدر نفسه ق ١/ ١/ ٤٣١ ــ ٤٣٢ .

(١٨) المصدر نفسه ق ١/ ١/ ٤٣٢ والمقري : نفح الطيب ٢٠٨/٤ .

(١٩) الصفدي : الوافي ٩٠/٧ ــ ٩١ .

(٢٠) المصدر نفسه ٩١/٧ والمقري : نفح الطيب ٥٦٦/٣ .

(٢١) ابن خلكان : وفيات الاعيان ١٤٠/١ .

(٢٢) المقري : نفح الطيب ١٩٤/٣ .

(٢٣) ينظر : ابن زيدون : ديوانه ١٤٤ ، ١٤٦ .

(٢٤) الصفدي : الوافي ٧ / ٩١ والمقري : نفح الطيب ٥٦٦/٣ .

(٢٥) الصفدي : تمام المتون ٣پ وينظر : البحتري : ديوانه ٤ / ٢٢٠٠ (ق ٨٢٦) .

(٢٦) البحتري : ديوانه ٢١٨٧/٤ (ق ٨٢١) .

(٢٧) ابو تمام : ديوان الحماسة ٤٠ ــ ٤١ .

(٢٨) يونس طركي : المعارضات ٢٣٢ .

(٢٩) ابن بسام : الذخيرة ق ١ / ١ / ٣٦٢ والصفدي : الوافي ٩٢/٧ .

(٣٠) ينظر : مجلة الكتاب ــ العددان (١١ ــ ١٢) علي عبد العظيم : آثار ابن زيدون ٣٥٨ ــ ٣٥٩ .

(٣١) المرجع نفسه د . مختار الوكيل : ابن زيدون ومعارضوه ــ ١١٨ ــ ١٢٠ وعلي عبد العظيم ، آثار ابن زيدون ٣٥٩ ــ ٣٦٥ .

(٣٢) ابن خاقان : قلائد العقيان ٩١ .

(٣٣) ينظر : ابن دحية : المطرب ١٦٤ وابن سعيد : المغرب ٦٦/١

والمقري : نفح ٤/ ٢١٠ .

(٣٤) د . جودة الركابي : في الأدب الاندلسي ٢١١ ــ ٢١٢ .

(٣٥)د . محمد مجيد السعيد : الشعر في ظل بني عباد ١٤٢ .

(٣٦) مجلة أبحاث اليرموك (م ١٣ ع ٢) حسين خريوش : الالتفات واثره في شاعرية ابن زيدون ٢٠ .

(٣٧) مجلة الكتاب ــ العددان (١١ ــ ١٢) د . تمام حسان : شاعرية ابن زيدون ١١٣ .

(٣٨ (مجلة أبحاث اليرموك ــ حسين خريوش : الالتفات ١٢٢ .

(٣٩) علي عبد العظيم : ابن زيدون ١٣١ ــ ١٣٢ .

(٤٠) ينظر : مجلة ابحاث اليرموك ــ حسين خريوش الالتفات ١٢٤ ــ ١٢٥ .

(٤١) المرجع نفسه ــ حسين خريوش : الالتفات ١٢٨ .

(٤٢) ابن بسام : الذخيرة ق ١ / ١/ ٣٦٣ ــ ٣٦٤ .

(٤٣) المصدر نفسه ق ١/ ١/ ٣٦٣ .

(٤٤) ينظر : مجلة ابحاث اليرموك : الالتفات ١٣١ .

(٤٥) د . جودة الركابي : في الأدب الاندلسي ٢١٦ .

(٤٦) د . صفاء خلوصي : فن التقطيع الشعري ٦٨ .

(٤٧) ابراهيم انيس : موسيقى الشعر ٢٤٦ .

(٤٨) د . صفاء خلوصي : فن التقطيع الشعري ٢٦٦ .

(٤٩) ماهر مهدي هلال : جرس الالفاظ ٢٣٦ .

(٥٠) ابراهيم أنيس : دلالة الالفاظ ١٩٨ .

(٥١) ابن رشيق القيرواني : العمدة ٢ / ٣ .

٦ ــ المصادر والمراجع :

١ ــ ابن الابار : اعتاب الكتاب ، تحقيق د . صالح الاشتر ، المطبعة الهاشمية ، دمشق ١٩٦١ .

٢ ــ ابن بسام : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق د . احسان عباس ، طـ دار الثقافة بيروت ١٩٧٩ .

٣ ــ ابن خاقان : قلائد العقيان ، تقديم محمد العنابي ، طـ المكتبة العتيقة ، تونس ١٩٦٦ .

٤ ــ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، تحقيق د . احسان عباس ، طـ بيروت ١٩٦٨ .

٥ ــ ابن دحية : المطرب من اشعار اهل المغرب ، تحقيق ابراهيم الابياري وآخرين ، المطبعة الاميرية ، القاهرة ١٩٥٥ .

٦ ــ ابن رشيق القيرواني : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة حجازي ، القاهرة ١٩٤٣ .

٧ ــ ابن زيدون : ديوانه ، تحقيق علي عبد العظيم ، القاهرة ١٩٥٥ .

٨ ــ ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، تحقيق د . شوقي ضيف ، طـ دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٤ .

٩ ــ أبو تمام : ديوان الحماسة ، تحقيق د . عبد المنعم احمد سالح ، طـ دار الرشيد ، بغداد ١٩٨٠ .

١٠ ــ ابراهيم انيس : دلالة الالفاظ ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ١٩٥٨ .

١١ ــ ابراهيم انيس : موسيقى الشعر ، مطبعة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٢ .

١٢ ــ البحتري : ديوانه ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، طـ دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٣ .

١٣ ــ د . جودة الركابي : في الأدب الاندلسي ، طـ دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٠ .

١٤ ــ د . صفاء خلوصي : فن التقطيع الشعري والقافية ، ط بيروت ١٩٧٤ .

١٥ ــ الصفدي : تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون ، تحقيق محمد ابي الفضل ، مطبعة المدني ، القاهرة ١٩٦٩ .

١٦ ــ الصفدي : الوافي بالوفيات ، اعتنى بنشره د . احسان عباس ، طـ فيسبادن ١٩٦٩ .

١٧ ــ علي عبد العظيم : ابن زيدون ، عصره وحياته وأدبه ، طـ دار الكاتب العربي ، القاهرة ١٩٦٧ .

١٨ ــ ماهر مهدي هلال : جرس الالفاظ ودلالتها في البحث البلاغي ، طـ دار الرشيد ، بغداد ١٩٨٠ .

١٩ ــ مجلة ابحاث اليرموك ــ جامعة اليرموك ، الاردن المجلد ١٣ العدد ٢ لسنة ١٩٩٥ .

٢٠ ــ مجلة الكتاب ، العددان (١١ ــ ١٢) بغداد ١٩٧٥ .

٢١ ــ د . محمد مجيد السعيد : الشعر في ظل بني عباد ، مطبعة النعمان ، النجف الاشرف ١٩٧٢ .

٢٢ ــ المراكشي : المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ، لجنة احياء التراث ، القاهرة ١٩٦٢ .

٢٣ ــ المقري : نفح الطيب ، تحقيق د . احسان عباس ، طـ دار صادر ، بيروت ١٩٦٨ .

٢٤ ــ يونس طركي : المعارضات في الشعر الاندلسي ، رسالة ماجستير ــ جامعة الموصل ١٩٨٨ .

شعر الشنفرى الازدي

دراسة توثيقية وتحقيقية

أ. د. محمود عبد الله الجادر
كلية الاداب ـ جامعة بغداد

اختلف القدماء والمحدثون اختلافاً شديداً في تحقيق اسم الشنفرى ونسبه ، فاكثر القدماء الذين ذكروه اكتفوا بتسميته بـ(الشنفرى)[1] كما اكتفى بهذا الاسم عدد من العلماء الذين رووا شعراً له[2] على ان ابن رشيق سماه (عامر بن عمرو الازدي)[3] ثم اختلف المحدثون اختلافاً شديداً في اسمه فذهب الزركلي الى انه (عمرو بن مالك الازدي)[4] وسماه اسماعيل باشا البغدادي (ثابت بن اوس الازدي)[5] وذهب آخرون مذاهب اخرى لا موضع لاستقصائها في اطار هدف البحث .

والذي يغلب على الظن ان (الشنفرى) هو اسمه وليس لقبه بدلالة ان احداً من القدماء لم يذكر اسماً آخر له فاذا وضعنا في الحسبان ان ابن رشيق اول من منحه اسماً غير الشنفرى كان لنا ان نتريث في قبوله فابن رشيق من علماء القرن الخامس الهجري ولهذا التاخر اهميته في تقويم مدى دقة الرواية وسلامتها .

على ان الخلاف على اسمه لا يلغي الاتفاق على نسبه الى بني الازد الذين يعود نسبهم الى زيد بن كهلان ابن سبأ[6] .

كان الشنفرى من صعاليك العرب وفتاكهم[٧] وكان ممن ضرب به المثل في سرعة العدو وكان لا يضارعه في ذلك الا السليك ابن السلكة وعمرو بن براق وكانت امه امة سوداء فهو من اغربة العرب[٨]

وقد سرد الانباري سيرة الشنفري وخبر مقتله بثلاث روايات متباينة ذكر في اولاها ان بني فهم اسروا الشنفرى فبقي فيهم حتى اسر بنو سلامان (من الازد) رجلاً من فهم ففداه بنو فهم بالشنفرى فكان الشنفرى في بني سلامان عند رجل منهم يخدمه فلما علم انه منهم اقسم ان يقتل منهم مائة بما استعبدوه فقتل منهم حتى اسروه وقتلوه .

وثانية الروايات ان بني سلامان قتلوا والد الشنفرى فارتحلت به امه وجاورت في فهم فلما كبر الشنفرى قتل مائة من بني سلامان حتى اسروه وقتلوه .

اما ثالثة الروايات فقد ورد فيها ان الازد قتلت رجلاً من فهم ولم تقر بدمه فرهنوا الشنفرى واسرته ثم لم يفدوهم فلما كبر الشنفرى صار من اشد الناس على الازد وقتل منهم حتى اسروه وقتلوه[٩] .

وعلى الرغم من ان الانباري نقل الروايات الثلاث فانه نسب الى مجهول رواية رابعة ذكر فيها ان بني سلامان اسروا الشنفرى وهو غلام فجعله الذي اسره في بهمه يرعاها ثم زوجه ابنته فقتل بنو سلامان الرجل فما زال الشنفرى يغير عليهم حتى قتل منهم تسعة وتسعين رجلاً حتى رصدوه فقتلوه[١٠] .

ولم يشر اي مصدر قديم الى سنة مقتل الشنفرى ولهذا اختلف المحدثون في تحديدها اختلافاً شديداً فذكروا سنة ٥١٠ م[١١] وذكروا سنة ٧٠ قبل الهجرة[١٢] اي ما يقابل سنة ٥٥٢ م .

وقد ورد ذكر ديوان الشنفرى باسم (شعر الشنفرى) في عدد من المصادر القديمة[١٣] وكان اخر ذكر له في كشف الظنون[١٤] ثم اعرضت المراجع وكتب الفهارس عن ذكره منفرداً وان كان الظن متجهاً الى ان علة ذلك ان ديوانه مما جمع مع دواوين غيره من شعراء الازد او الشعراء اللصوص ـ وهما من الكتب المفقودة ـ فاكتفى من ذكرهما بهما عن ذكر ديوان منفرد له[١٥] .

ولعناية القدماء بلاميته المشهورة بـ (لامية العرب) فقد افردوها بشروح حتى ذكر بروكلمان اثني عشر شرحاً لها طبع اربعة منها هي شروح العكبري والزمخشري وابن زكور المغربي وعطاء الله بن احمد المصري .

اما ديوانه فقد نشره اول مرة الشيخ عبد العزيز الميمني واشار في مقدمته الى انه حققه على نسختين خطيتين اولاهما نسخة ملحقة بشرح ابن النحاس للمعلقات وجدها في كتبخانة خسرو باشا باستانبول رقمها ١٤٩ ضاعت منها الصفحة الاولى وفيها ابيات من لامية العرب في ٦٨ بيتاً ثم تائية الشنفرى المفضلية في ٢٨ بيتاً ثم الفائية ، اما النسخة الاخرى فهي نسخة دار الكتب المرقمة ١٨٦٤ التي ضمت اللامية ثم التائية مشروحتين .

واشار الميمني الى انه اضاف الى ما جمعه من النسختين ما اقتطفه من دواوين العلم فخرج بهذا الذي ضمنه كتاب الطرائف الادبية بعنوان (شعر الشنفرى الازدي)[١٦] ولكن الغريب في الامر انه اخرج من ديوانه المطولات الثلاث التائية ولامية العرب واللامية في رثاء تابط شراً بحجة ان ما ورد من الاولى والثانية في مخطوطتيه ناقص وان الثالثة متيسرة في الكتب فضلاً عن شكه في نسبتها الى الشنفرى فهو يقول (ورايت ان اسقط التائية المفضلية ولامية العرب ورثاء تابط ، لان الاوليين وان كانتا توجدان في النسختين الا ان ماعند غيرهما اوفى واتم ، والثالثة خلتا منها مرة فمالي ولاثباتها وهي في عامة الكتب ، على انها لا يوثق بعزوها اليه وان كان الخالديان ذكرا انها وجدت في شعره[١٧] .

وهكذا ضمت نشرة الميمني اثنين وعشرين نصاً لنا ان نطرح منها ثلاثة هي مطالع التائية المفضلية واللامية التي في رثاء تابط شراً التي اثبتها تحت الرموز (د) و (زي) و (حي) فيبقى تسعة عشر نصاً مجموع ابياتها اربعة وثمانون بيتاً سادرجها بتسلسل رموزها في الديوان مشيراً الى عدة ابيات كل منها وبحورها في المسرد الاتي :

رمز النص	عدد الابيات	البحر	ملاحظات حول النص
أ	١١	الطويل	من المخطوطة ـ في وصف غارة صعاليك
ب	٢	الطويل	من الاشباهوالنظائر والحماسةالبصرية ـ في الفخر او المديح
ج	٢	الوافر	في خبر في (المكاسر) ـ في الفخر
د	١ (شطر)	الطويل	الشطر الاول من التائية المفضلية

هـ	١	الطويل	من المخطوطة ـ في الوصف (يبدو البيت من قصيدة فخر)
و	٤	الطويل	من المخطوطة ـ في الفخر
ز	٥	الطويل	من المخطوطة ـ في الفخر والتهديد
ح	٢	الطويل	من المخطوطة ـ في الفخر
ط	٢	الطويل	من المخطوطة ـ في التهديد
ي	٨	الطويل	من المخطوطة ـ في التهديد والفخر
أي	٢	الطويل	من المخطوطة ـ في رثاء نفسه
بي	٣ وشطر (٧ اشطر)	الرجز	من المخطوطة ـ في الفخر والتهديد
جي	١	الطويل	من المخطوطة ـ في الرثاء
دي	٢	المتقارب	من المخطوطة ـ في رثاء اخيه الصغير
هي	٢٠	الطويل	من المخطوطة ـ في الفخر
وي	٢	الكامل	في خبر وروده ومقتله وذكر في (المكاسر)
زي	١	الطويل	البيت الاول من لامية العرب
حي	١	المديد	البيت الاول من اللامية التي في رثاء تابط شراً ورد في تقديمه (وله او لابن اخت تأبط شراً او لتابط او لخلف الاحمر نحله ابن اخت تابط شراً
طي	٢ وشطر (٥ اشطر)	الرجز	من المخطوط ـ في رثاء يده التي احتزت قبل مقتله وفخر بما صنعته
ك	٢	الطويل	من المخطوط ـ في وصف فرسه اليحموم
ان	٤ ثم ٢	الطويل	ضمن خبر في المخطوط يروي قصته مع ابنة مولاه من بني سلامان والابيات جميعاً في الفخر بنسبه
بك	٥	الوافر	من المخطوط ـ حوار مع زوجة له

ومن خلال نظرة عجلى الى الجدول يتضح ان نشرة الميمني التي اسقطت ثلاثة نصوص طويلة لم تتضمن سوى نصين يزيد كل منهما على عشرة ابيات هما النص (أ) والنص (هي) وان سائر ما تضمنته من نصوص تقل عن عشرة ابيات ، فالغالب على نصوصها هو المقطوعات والنتف والابيات المفردة وتلك هي سمة شعر الصعاليك بوجه عام

وهكذا ظل ما بين ايدي الباحثين من شعر الشنفرى منذ عام ١٩٣٧ م (تاريخ نشرة الميمني) هذه الابيات الاربعة والثمانون حتى اصدر الدكتور علي ناصر غالب نشرة جديدة بعنوان (شعر الشنفرى الازدي) سنة ١٩٩٨ م وطبعه في دار اليمامة بالسعودية

وقد أشار المحقق في مقدمته الى نشرة الميمني والى المخطوطات التي اعتمدت عليها ثم تحدث عن عمله هو في جمع مادة نشرته للديوان فقال (قمت اول الامر بجمع شعر الشنفرى من المصادر التي خرجت الى النور وحققت تحقيقاً علمياً بخاصة [كذا] اذا ما اخذنا بالحسبان ان الشيخ الميمني عمل ديوان الشنفرى عام ١٣٥٦ (١٩٣٧ م) وفي اثناء هذه المدة التي تفصلنا عن ذلك التاريخ امكن توثيق شعر الشنفرى من مصادر عدة لم تكن محققة آنذاك ، ثم طلبت المخطوط الذي اشار اليه الدكتور يوسف خليف من (معهد المخطوطات العربية) فوجدته نسخة مصورة عن نسخة مخطوطة (دار الكتب المصرية) تحت رقم (٦٦٧٦ ادب) وكانت الدار صورتها عن نسخة خاصة لا يعلم مصدرها وقد كتبت في سنة ٨٢٥ هـ واكثر صفحاتها غير واضح ، وقد تفضل علي الاستاذ الدكتور خليل العطية فصورها الا

ان معظم صفحاتها غير واضح مما جعلني اتردد في الاعتماد عليها .

وفي فهرست عمله الاستاذ كوركيس عواد للمخطوطات العربية في مكتبة (جستربتي بدبلن) ذكر مخطوطة للشنفرى في ضمن مجموع فيه (شرح البردة) للتبريزي و(المقصورة الكبرى) لابن دريد تحت رقم (٣٥٠١) وحصلت على المخطوط عن طريق الاستاذ الدكتور خليل العطية ايضاً الذي تفضل علي وبعث الي بنسخة مصورة عن الاصل المحفوظ في (جستربتي بدبلن) وبعد الموازنة بين نسخة (معهد المخطوطات) وبينها تبين انهما صورتا عن اصل واحد وبهذا اصبحت لدي صورتان من المخطوط احداهما واضحة واخرى غير واضحة هي صورة (معهد المخطوطات) فاعتمدت على صورة (جستربتي) الواضحة .)[١٨]

وأشار المحقق بعد ذلك الى انه استعان بمطبوعة الميمني التي لم يطلع على المخطوطات التي اعتمدت عليها فضلا عن مصادر الادب العربي الاخرى

والذي يبدو ان المخطوطة التي اعتمد عليها الدكتور علي ناصر لم تحتجن بين دفتيها ما احتجنته المخطوطتان اللتان اعتمد عليهما الميمني فهي لم تضم الا احد عشر نصاً اثبتها المحقق في متن الديوان مع الشروح التي اثبتها مؤرج السدوسي وأغلبها شروح مفردات مع تقديم يطول او يقصر لمناسبات بعض النصوص .

واللافت للنظر ان متن الديوان تضمن لامية العرب كاملة في سبعين بيتاً والتائية المفضلية في سبعة وثلاثين بيتاً (وهما اللتان لم يروهما الميمني كما ذكرنا) ولكنه لم يتضمن اللامية التي في رثاء تابط شراً وكان السدوسي ذهب مع الذاهبين الى نسبتها الى حماد او الى ابن اخت تابط شراً .

ولان المحقق وضع نصب عينيه مطبوعة الميمني ووجد ان ماضمته المخطوطة التي اعتمد عليها اقل نصوصاً منها بكثير فقد صنع ذيلًا للديوان ضمنه خمسة عشر نصاً استقى جلها من مطبوعة الميمني فضلًا عن مصادر اخرى عزز بعضها رواية مطبوعة الميمني وانفرد بعضها بعدد من النصوص لم تروها مطبوعة الميمني وهكذا كان مجموع ماضمه متن الديوان الجديد من نصوص احد عشر نصاً ومجموع ماضمه ذيل الديوان خمسة عشر نصاً ومجموع ابيات نصوص متن الديوان مائة وثمانية وخمسين بيتاً وستة اشطر من الرجز ومجموع ابيات الذيل ثلاثة وستين بيتاً وتسعة اشطر وشطراً واحداً من الطويل فضلًا عن ابيات رواها مع التخريجات ولم يثبتها في متن الذيل مجموعها خمسة عشر بيتاً لم اعقد الى علة افرادها بعد التخريج وعدم ادراجها مع النص

ولكي تتضح الصورة رايت ان اعقد جدول مقارنة بين نشرتي الدكتور علي ناصر والشيخ الميمني بارقام النصوص وعدد ابيات كل منها مستوفياً الديوان وذيله والاضافات الى الذيل بعد التخريجات .

متن الديوان

رقم النص	عدد ابياته	الملاحظات	رقم النص	عدد ابياته	الملاحظات
نشرة علي ناصر غالب			نشرة الميمني		
١	٤	وزاد ٤ ابيات اخرى في الهامش عن الاغاني	أك	٧	روى اربعة ابيات واعقبها بثلاثة بعد خبر
٢	٦ اشطر		طي	٥ اشطر	
٣	٤		اي	٣	
٤	٥		ز	٥	
٥	٨		ي	٨	
٦	١		جي	١	
٧	٧٠		زي	١	روى مطلع لامية العرب التي اشار في مقدمته

٨	٣٧		حي	١	الى انه لن يرويها لانها مروية بصورة اتم في المصادر روى مطلع مرثية تابط شراً مكتفياً به للسبب السابق
٩	٢٠		هي	٢٠	
١٠	٤		و	٤	
١١	٥		بك	٥	
١٥٨ + ٦ اشطر			٥٥ + اشطر		

وواضح ان ثمة فرقاً كبيراً بين عدد ابيات طبعة علي ناصر وطبعة الميمني على ان لنا ان نلاحظ ان النصوص المرقمة ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ والتي تقابلها النصوص المرقمة ز ، ي ، جي ، هي ، و ، بك متناظرة في عدد ابياتها

اما النص (١) والذي يقابله النص (أك) فهو في متن نشرة علي ناصر من اربعة ابيات الثلاثة الاولى منها هي التي وردت عند الميمني في أعقاب خبر روي بعد ابيات اربعة رواها في اول الخبر فكانت المقطوعة عنده سبعة أبيات في اصل المخطوطة اما عند الدكتور علي ناصر فهي كما ذكرنا اربعة ابيات في اصل المخطوطة والرابع منها هو الرابع من الابيات الاربعة الاولى عند الميمني برواية فيها خلاف شديد على ان الدكتور علي ناصر روى في الهامش اربعة ابيات قال في تقديمها (ذكرت في الاغاني رواية اخرى للابيات اثبتها للخلاف الظاهر بينهما)[١٩] والحقيقة ان هذا الذي رواه في الهامش هو الابيات الاربعة الاولى التي وردت في اول الخبر الذي ورد في نشرة الميمني فهي ليست (رواية اخرى) كما قال وانما هي (ابيات اخرى) رابعها هو رواية اخرى للبيت الرابع الذي رواه هو .

وقد روى الدكتور علي ناصر النص الثاني (وهو ارجوزة) في ستة اشطر رواها الميمني تحت الرمز (طي) في خمسة اشطر وبخلاف شديد في اكثر الاشطر والزيادة في رواية الدكتور علي هو الشطر الثالث الذي لم تروه مصادر التخريج التي رجع اليها كلها وانفردت به المخطوطة .

اما النص (٣) الذي رواه الدكتور علي ناصر في اربعة ابيات وورد عند الميمني تحت الرمز (اي) في ثلاثة ابيات فان الزيادة فيه هي البيت الثاني الذي رواه الدكتور علي ناصر بين معقوفتين وقال في هامش تخريجه (انفرد الجاحظ برواية هذا البيت ولم يرد في المخطوط فاثبته على وفق ما جاء في (البرصان)[٢٠] .

بقي ان نذكر ان الدكتور علي ناصر روى لامية العرب في سبعين بيتاً تحت الرقم ٧ بينما روى الميمني بيتاً واحداً هو مطلعها تحت الرمز (زي) وان الدكتور علي ناصر روى مرثية تابط شراً في سبعة وثلاثين بيتاً لم يرو منها الميمني الا بيتاً واحداً هو مطلعها وهكذا زاد متن ديوان الدكتور علي ناصر على عدد ابيات النصوص التي تقابل نصوصه من نشرة الميمني بمائة وثلاثة ابيات فضلاً عن شطر واحد من الرجز.

وزيادة الدكتور علي ناصر تتمثل في شطر الرجز من النص المرقم (٢) الذي يقابله النص (طي) عند الميمني وبيت شعري واحد من النص المرقم (٣) الذي يقابله النص (اي) عند الميمني وتسعة وستين بيتاً من لامية العرب وستة وثلاثين بيتاً من مرثية تابط شراً فالمجموع شطر من الرجز ومائة وستة ابيات ولكن النص المرقم (١) عند الدكتور علي ناصر جاء في اربعة ابيات قابلتها سبعة ابيات عند الميمني في النص (ال) وهكذا بقيت حصيلة زيادة الدكتور علي ناصر شطر من الرجز ومائة وثلاثة ابيات وهي زيادة لم يكن الميمني غافلاً عنها وانما اعرض عن روايتها كما ذكرنا عامداً للاسباب التي اشرنا الى انه ذكرها في مقدمته ، ثم يبقى البيت الذي زاد في رواية النص (٣) عند الدكتور علي ناصر على رواية الميمني في النص (اي) وهو مما لم يرد في المخطوطة التي حققها وانما استقاه من البرصان للجاحظ واثبته في المتن بين معقوفتين وكان ينبغي له ان يثبته في الهامش ، فحقيقة الزيادة اذن هي شطر واحد من الرجز لا اكثر ، اما زيادة نشرة الميمني فهي النصوص التي اثبتها الدكتور علي ناصر في ذيل الديوان مما لم يرد في مخطوطته وخرجه من المصادر (ومن ضمنها الطرائف الادبية) فضلاً عن عدد يسير من المقطوعات روتها المصادر ولم ترد في نشرة الميمني في الطرائف الادبية

وقد ضم ذيل الديوان خمسة عشر نصاً منها ما ناظر رواية الميمني ومنها ما اختلف عدد ابياته عن عدد ابيات روايته عند الميمني ومنها ما انفردت به المصادر التي رجع اليها الدكتور علي ناصر ، ولكي تتضح الصورة سنتابع نصوص الذيل ونقابلها بالنصوص التي وردت في متن رواية الميمني

نشرة علي ناصر غالب			نشرة الميمني		
رقم النص	عدد الابيات	الملاحظات	رمز النص	عدد الابيات	الملاحظات
١	١١	خرج النص من الاغاني والطرائف الادبية	أ	١١	
٢	٥	خرج النص من مصادر مختلفة والطرائف	ب	٢	
٣	٢	خرج النص من مصادر مختلفة والطرائف	ع	٢	
٤	١	خرج النص من مصادر مختلفة والطرائف	هـ	١	
٥	٢	خرج النص من مصادر مختلفة والطرائف	ح	٢	
٦	٣	خرج النص من شرح الانباري والطرائف	ط	٣	
٧	١	خرج النص من تثقيف اللسان ثم ذكر انه ورد بيتاً اخيراً في قصيدة من ١٢ بيتاً في انساب الصحاري وروى الابيات في التخريج	—	—	لم يرو الميمني البيت ولا الابيات الاثني عشر فهو غير موجود في مخطوطته
٨	٧ اشطر رجز	خرجها من الطرائف الادبية ومصادر اخرى وروى ثمانية اشطر عن انساب الصحاري في هامش التخريج	بي	٧ اشطر رجز	
٩	٢	خرجها من مصادر مختلفة والطرائف وروى في التخريج ثلاثة ابيات على الوزن والقافية من انساب الصحاري	دي	٢	
١٠	٢				
١١	٤	خرجها من الاغاني	وي	٢	لم يروها الميمني فهي غير موجودة في مخطوطته
١٢	٢٨	خرجها من جملة مصادر وروى بعد التخريج ثمانية ابيات اخرى	هي	١	لم يروها الميمني واكتفى بالبيت الاول وشك في نسبتها

١٣	٢ (شطران الرجز)	من خرجهما من الاغاني	—	—	
١٤	٢	خرجهما من الاشباه والنظائر والطرائف	ك	٢	
١٥	١ (شطر الطويل)	من خرجه من شرح مايقع في التصحيف والتحريف الذي نسبه الى الشنفرى او غيره	—	—	
٦٣ بيتاً و ٩ اشطر رجز وشطر واحد طويل			٢٨ بيتاً و ٧ اشطر رجز		

ولنا ان نسجل اول ملاحظة وهي ان الدكتور علي ناصر رتب نصوص النيل بحسب تسلسل ورودها في نشرة الميمني فكأنه اهتدى بنشرة الميمني اولًا ثم استعان بالمصادر التي عززت نسبة ما ورد في نشرة الميمني او ترجحت في نسبته الى الشنفرى والى غيره على ان ذلك لا يلغي ان الحصيلة جاءت مرتبة على القوافي فالنصوص ١، ٢، ٣ على الباء والنص ٤ على الحاء والنصوص ٥، ٦، ٧ على الدال والنص ٨ على الراء والنص ٩ على العين والنص ١٠ على الفاء والنص ١١ على الكاف والنص ١٢، ١٣ على اللام والنص ١٤، ١٥ على النون ولا ندري ان كان ذلك من باب المصادفة ام ان الامر قائم على حقيقة اخرى يمكن استنباطها، فنصوص النيل كما ذكرنا وردت في نشرة الميمني بتسلسلها تحت الرموز (أ، ب، ج، هـ، ح، ط، ــ، بي، دي، وي، ــ، حي ــ ك، ــ.) ومعنى ذلك ان النصوص التي وردت في نشرة الميمني تحت الرموز (ك، طي، اي، ز، ي، جي، زي، حي، هي، و بك) والتي قابلت نصوص متن نشرة الدكتور علي ناصر كان ينبغي ان تكون مرتبة على القوافي ايضاً ولكنها ليست كذلك فهل يعني ذلك ان مخطوطة الديوان كانت مرتبة في الاصل على القوافي ثم أُخِلَّت فيها قصائد اخرى ام ان الامر قائم على المصادفة وحدها ؟ ان الاجابة عن هذا السؤال ستبقى معلقة الى ان تكشف المظان عن مخطوطة كاملة لديوان الشنفرى

لذا بعد ذلك ان نشير الى ان النصوص التي وردت في النيل من نشرة الدكتور علي ناصر تحت الارقام (١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١٤) والتي تقابل النصوص التي وردت في نشرة الميمني تحت الرموز (أ، ب، ج، هـ، ح، ط، بي، دي، وي، ك) متناظرة في روايتها وعدد ابياتها وهي مما لم يرد في المخطوطات التي اعتمد عليها الدكتور علي ناصر ولهذا أخرها الى نيل الديوان بينما وردت في مخطوطات الميمني فاثبتها في متن الديوان.

على ان لنا ان نلاحظ ان النص (٨) الذي رواه الميمني تحت الرموز (بي) ورد عنده في سبعة اشطر بينما ورد عند الدكتور علي ناصر بالرواية نفسها وبالنقص نفسه في متن النيل ولكنه رواه في ثمانية اشطر في التخريج وبلا نقص في كلماته نقلًا عن انساب الصحاري فكان ينبغي ان يثبت هذه الرواية في متن النيل وليس الرواية الناقصة مادام الامر وارداً في نيل الديوان وليس في متنه.

كما ان الدكتور علي ناصر روى النص (٩) من بيتين كما ورد عند الميمني تحت الرمز (دي) ثم روى ثلاثة ابيات اخرى في التخريج نقلها من انساب الصحاري. فكان ينبغي له ان يثبت خمسة الابيات كلها في متن النيل لا ان يقسم النص قسمين.

وتبقى بعد ذلك النصوص التي انفرد بروايتها الدكتور علي ناصر او رواها بزيادة عما ورد في نشرة الميمني، اما النصوص التي رواها بزيادة فهي النصوص (٢، ١٢)، والنص (٢) رواه بخمسة ابيات بينما رواه الميمني تحت الرمز (ب) بيتين فقط، ولو تأملنا تخريج النص في نيل ديوان الدكتور علي ناصر لوجدنا ان الابيات الخمسة مروية في شرح المرزوقي لحماسة ابي تمام وفي شرح التبريزي والمؤتلف والمختلف والحماسة البصرية التي روت الابيات (١، ٢، ٥) فقط وانها منسوبة في هذه المصادر كلها الى القتال الكلابي فضلًا عن انها مثبتة في ديوان القتال الكلابي، وان البيتين الاول والثاني وحدهما رويا في الاشباه والنظائر منسوبين الى الشنفرى فضلًا عن الطرائف الادبية، وبعد فلا ادري كيف ساغ للدكتور علي ناصر ان يثبت الابيات الخمسة كلها في نيل ديوان الشنفرى مع ان الابيات الثلاثة الزائدة على رواية الميمني لم ترد في اي من المصادر تخريجه منسوبة الى الشنفرى بل الى القتال الكلابي كما رأينا.

اما النص (١٢) فهو اللامية التي في رثاء تأبط شراً وقد ذكرنا ان الميمني اعرض عن روايتها على انه روى البيت الاول منها واشار في مقدمته الى خلو مخطوطتيه منها فضلًا عن شكه في نسبتها الى الشنفرى، اما الدكتور علي ناصر فقد روى ثمانية وعشرين بيتاً وذكر مصادر تخريج كثيرة ولكنه لم يشر الى خلافها في نسبة القصيدة – وهو خلاف مشهور – والغريب انه روى بعد التخريج ثمانية ابيات اخرى

خرجها من انساب الصحاري لا ادري علة عدم اثباتها في متن النيل سواء ملحقة باللامية ام بصيغة نص مستقل.

تبقى بعد ذلك النصوص التي انفرد بروايتها الدكتور علي ناصر وهي النصوص المرقمة (٧، ١١، ١٣، ١٥).

وقد ذكرنا ان النص (٧) هو بيت واحد خرجه المحقق من تثقيف اللسان ثم ذكر ان البيت نفسه ورد في انساب الصحاري ثاني عشر اثني عشر بيتاً رواها بعد رواية خبر مقتل الشنفرى ، ومرة اخرى لا ادري لم اكتفى بالبيت الثاني عشر في متن النيل وروى الابيات الاثني عشر بعد التخريج مع ان الرواية وردت في نيل الديوان ، وليس في اصله.

اما النص (١١) فهو اربعة ابيات مصدر تخريجها الوحيد عنده هو الاغاني وكذلك النص المرقم (١٣) الذي هو شطران من الرجز خرجهما من الاغاني ايضاً والنصان مما رواه الاصفهاني في ترجمة تابط شراً

ويبقى النص المرقم (١٥) وهو شطر واحد من الطويل خرجه المحقق من شرح ما يقع في التصحيف والتحريف منسوباً للشنفرى او غيره فاذا عدنا الى جدول المقارنة ولاحظنا ان نيل نشرة الدكتور علي ناصر تضمن ثلاثة وستين بيتاً وتسعة اشطر من الرجز وشطرا واحدا من الطويل مقابل ثمانية وثلاثين بيتاً وسبعة اشطر من الرجز تضمنتها النصوص المتبقية من نشرة الميمني التي لم تدخل في متن نشرة الدكتور علي ناصر كان لنا ان نرى ان زيادة نشرة الدكتور علي ناصر تتمثل اولًا في زيادة ثلاثة ابيات في النص المرقم (٢) وزيادة سبعة وعشرين بيتاً في النص (١٢) وهو لامية رثاء تابط شراً التي لم يرو منها الميمني الا البيت الاول

فمجموع زيادة النصين هو ثلاثون بيتاً.

اما النصوص التي انفرد بها علي ناصر فهي النص (٧) من بيت واحد والنص (١١) من اربعة ابيات والنص (١٣) من شطرين من الرجز والنص (١٥) من شطر واحد من الطويل فمجموع ما انفرد به خمسة ابيات وشطران من الرجز وشطر من الطويل ومجموع الفرق الكلي هو خمسة وثلاثون بيتاً وشطران من الرجز وشطر من الطويل.

ان قيمة نشرة الدكتور علي ناصر لا تتمثل في الزيادات الضئيلة التي انفرد بها وانما في روايته النصوص وشرح غريبها وتوثيق روايتها في مصادر تخريج متنوعة وعرض الروايات المخالفة في الهوامش وذلك جهد له قيمته على صعيد العمل التحقيقي. على ان الذي قد يؤخذ على عمله انه ادرج في ذيل الديوان نصوصاً وردت في متن مخطوطتين اعتمد عليهما الميمني وكان بوسعه ان يعتمد نشوة الميمني لادراج تلك النصوص بعد متن مخطوطته ثم يفرد ذيل الديوان للنصوص التي لم ترد في مخطوطتي الميمني ومخطوطاته هو فبذلك يكون متن الديوان مجموع ما ورد في المخطوات وذيله مجموع ما انفردت مصادر التخريج بروايته.

وتبقى فضيلة اعادة نشر ديوان الشنفرى وبشكل مستقل فكتاب الطرائف الادبية كاد يختفي من التداول فضلًا عن ان نشرة الميمني خلت من اهم نصوص الشنفرى وهي لامية العرب والتائية المفضلية ومرثية تابط شراً فكانت نشرة الدكتور علي ناصر ناهضة بروايتها ومن هنا كانت النشرة الاوفى من شعر الشنفرى حتى تكشف الايام عن ديوانه المخطوط الذي تداوله القدماء فتكتمل صورة هذا الشاعر الصعلوك المبدع(٢١).

الهوامش والمصادر

(١) ينظر مثلًا فحولة الشعراء للاصمعي ١٥ والاغاني ٢١ / ١٨٥.
(٢) ينظر مثلًا البيان والتبيين ٣ / ٢٢٤، والشعر والشعراء ١ / ٨٠.
(٣) العمدة ١ / ٣٣١.
(٤) الاعلام ٥ / ٢٥٨.
(٥) هدية العارفين ١ / ٢٤٦.
(٦) ينظر الاشتقاق ٣٦١.
(٧) ينظر سمط اللالىء ١ / ٤١٤.
(٨) ينظر المزهر ٢ / ٤٣١.
(٩) ينظر شرح المفضليات للانباري ١٩٦ – ١٩٩.
(١٠) ينظر الاغاني ٢١ / ١٩٦ – ١٩٩.
(١١) ينظر هدية العارفين ١ / ٢٤٦.
(١٢) ينظر الاعلام ٥ / ٢٥٨.
(١٣) ينظر المصون في الادب ٤ والاشباه والنظائر للخالديين ٢ / ١١٥ والمزهر ١ / ١١٠.
(١٤) ١ / ٧٩٥.
(١٥) ينظر الفهرست ٨٦، ١٨٠.
(١٦) ينظر تفصيل ذلك في الطرائف الادبية ٣٠.
(١٧) الطرائف الادبية ٣٠.
(١٨) مقدمة الديوان ٣٦، ٣٧.
(١٩) شعر الشنفرى ٥٥ هـ ١.
(٢٠) م. ن ٦٠ هـ ٢.
(٢١) جاء في نشرة اخبار التراث العربي العدد (٨٩) المجلد (٨) سنة ٢٠٠١ ان المجمع الثقافي في أبي ظبي اصدر تحقيقاً جديداً لديوان الشنفرى انجزه السيد احمد محمد عبيد في (١٥٦) صفحة سنة ٢٠٠٠ وهي نشرة سنتناولها بدراسة مستقلة اخرى بإذن الله

الوافي في نظم القوافي للرندي

المتوفى سنة ٦٨٤ هـ

دراسة
د . هدى شوكت بهنام
كلية التربية / قسم اللغة العربية
الجامعة المستنصرية

ظهر في الاندلس عدد من المؤلفات الادبية ، ويعدّ كتاب الوافي في نظم القوافي الكتاب النقدي الثاني بعد كتاب « إحكام صنعة الكلام للكلاعي » ، ويعد الوافي من كتب البلاغة ايضاً ، وفيه اخبار مشرقية واندلسية مختلفة ، واورد اشعاراً كثيرة لاندلسيين من عصور الخلافة وما بعدها ، ولا سيما العصر الذي عاش فيه الرندي المؤلف (القرن السابع الهجري) وهو عصر دولة بني الاحمر ، حيث كان واحداً من الشعراء المفضلين ، لدى سلطان غرناطة الاكبر ، ونظم شعراً بناءً على طلبه ، وعلى ذلك ضم كتابه اشعاراً كثيرة له ، استشهد بها في كل باب او فصل اورده ، فالكتاب يكاد يعد ديوان شعر للرندي ، وقد اعتمد فيه مصادر مشرقية متعددة كيتيمة الدهر للثعالبي والعمدة لابن رشيق وغيرهما في ايراد الحكايات والاشعار المشرقية التي تنتمي الى العصور المختلفة من امرىء القيس الى المتنبي والبحتري والمعري وغيرهم .

اما الاخبار الاندلسية فقد اعتمد على نفسه في ايرادها ، ونقل من المصادر الاندلسية الاشعار السابقة لعصره ، واورد حكايات واشعاراً اندلسية للمعاصرين له من الشعراء مع النص على انهم من اصحابه ومن عصره فهو شاهد عيان لما رواه من اخبارهم ، فيعد كتابه بذلك وثيقة تسجيلية لاحداث العصر او لتاريخ العصر الادبي ، كما يمكن ان نقول انه اتاح المجال للاندلسيين للاطلاع على بعض الكتب المشرقية والمغربية المهمة محصورة بنطاق حين جعلها متيسرة متاحة في كتابه « الوافي » ، وقد جاء كتابه في اربعة اجزاء حسب تقسيمه :

الاول : في فضل الشعر وطبقات الشعراء وعمل الشعر واغراضه .

الثاني : وهو القسم البلاغي : في محاسن الشعر وبديعه ومعانيه ويقع في اربعين باباً .

الثالث : في عيوب الشعر .

الرابع : في حد الشعر والعروض والقافية .

■ مؤلف الكتاب :

هو صالح ابن ابي الحسن[1] يزيد بن صالح بن موسى ابن ابي القاسم بن علي بن شريف النَّفْري[2] ، من اهل رُندة ، يُكنى ابو الطيب ابن شريف[3] ، وكنّاه المعري بابي البقاء[4] .

قال عنه ابن الزبير صاحب صلة الصلة انه شاعر مُجيد في المدح والغزل وغير ذلك ، وانه من ذوي الفضل والدين ، ومعدود في اهل الخير .

وكانت للرندي لقاءات عديدة معه ، حيث حضر مجالس اقرانه وانشده الرندي كثيراً من شعره واقام في مالقة شهراً[5] .

ذكر المراكشي وابن الخطيب معلومات يسيرة عن مشيخة الرندي فذكر انه روى عن ابي الحسن ابيه والدبّاج وابن الفخار الشريشي وابن قُطرال وابي الحسين بن زرقون[*] وابي القاسم بن الجدّ التونسي[6] .

وقال المراكشي عن الرندي « روى عنه جماعة من اصحابنا ، وكتب اليّ بإجازة ما رواه وألفه وانشاه نظماً ونثراً »[7] .

كان الرندي كثير الوفادة على غرناطة والتردد اليها ، يسترفد ملوكها وينشد امراءها ، وذكر في الاحاطة ان قصيدته التي اولها :

(اواصلتي يوماً وهاجرتي ألفاً) .

اخبره شيخه ابو عبد الله اللوشي انه نظمها باقتراح السلطان دون ان يسميه وهو السلطان محمد بن يوسف بن الاحمر الكبير مؤسس غرناطة (٦٣٥ - ٦٧١ هـ) وانه كان شاعره الاثير كما ينص في عدد من مواضع كتابه الوافي ، واضاف المراكشي ان السلطان اوعز اليه الا يخرج عن بعض بساتين المُلك حتى يكملها في معارضة محمد بن هانئ الالبيري[8] .

اما آثاره فقد رُوي عنه انه ألف جزءاً على حديث جبريل وصنف في الفرائض واعمالها مختصراً نافعاً نظماً ونثراً ، وآخر في العروض وفي صنعة الشعر سماه « الوافي[9] في نظم القوافي » ، وله كتاب كبير سماه « روضة الانس ، ونزهة النفس »[10] ، وله مقامات بديعة في اغراض شتى ، وكان من خواتيم الادباء في الاندلس ، بارع التصرف في منظوم الكلام ومنثوره ، فهو حافظ متفنن في معارف جليلة ، ونبيل المنازع متواضع مقتصد في احواله[11] .

■ شعره :

قال عنه صاحب الاحاطة : « إن شعره كثير ، سهل الماخذ ، عذب اللفظ ، رايق المعنى ، غير مؤثر للجزالة » وقد اورد له ابن الخطيب نماذج كثيرة من شعره في السلطانيات حيث جاء بقصيدة طويلة من خمسة واربعين بيتاً منها مقدمة متعددة المناصر من غزل ووصف ليل ونجوم مستعيناً بحرف التشبيه (كان) فجاءت في اربعة وعشرين بيتاً ، واعطى للسلطان صفات العلو والاشراق بتشبيهه بالشمس والبدر ، كما اسبغ عليه صفات الشجاعة والكرم ووصف اهله بالشجاعة في قيادة الجيوش والانتصار في الحروب ، قال من قصيدته :

سرى والحبُّ امر لا يُرام
وقد اغرى به الشوق والغرام

واغفى اهلها إلّا وشاة
اذا نام الحوادثُ لا تنام
وليل بته كالدهر طولًا
تذكر لي وعرفه التمام
كان سماه زهر تجلى
بزهر الزهر والشوق الكمام
كان البدر تحت الغيم وجه
عليه من ملاحته لثام
وما شبهت وجه الشمس الا
بوجهك ايها الملك الهمام

وإن شبهته بالبدر يوماً
فللبدر الملاحة والتمام
اذا ما قيل في يده غمام
فقد بخست وقد خدع الغمام
وحشو الدرع اروع غالبي
يُراع بذكره الجيش اللهام
اذا ما سل سيف العزم يوماً
على امر فسلم يا سلام
تناهى مجده كرماً وبأساً
فما يدري أمحياً ام حمام[12]

وله في الليل والسهر ارجوزة قصيرة ، ووصف الليل ايضاً في قصيدة ثالثة اظهر فيها التجسيد مستمداً صوره من المعارك الحربية : الوغى ، والفرار ، والهزيمة ، والثار ، ويبدو انه كان معجباً بهذا اللون من الوصف فاكثر منه كما وصف البحر والانهار والعقل والجيش والسلاح من سيف وقوس ووصف القلم وسكين الدواة ، كما اعجب بالطبيعة الحية ، فوصف الورد والخيري والريحان ، وكان كتابه الوافي ديواناً لشعره إذ إنه كان يتمثل بشعره في كل باب وفصل يورده حتى إنه اعجب ايضاً

بالمعارضات واكثر من ايراد قصائده التي عارض بها قصائد شعراء آخرين، كما سنرى عند عرض موضوعات الكتاب، فمن شعره في اوصاف شتى، قوله من قصيدة وصفها ابن الخطيب بانها مغربة في الاحسان:

وليلة نبهت أجفانها
والفجر قد فجر نهر النهار
والليل كالمهزوم يوم الوغى
والشهب مثل الشهب عند الفرار
كأنما استخفى السُهى خيفة
وطولب النجم بثار فثار
لذاك ما شابت نواصي الدجى
وطارح النسر اخاه فطار
وفي الثريا قمر سافر
عن غرة غيَّر منها الشفار[١٣]

وقوله في وصف البحر والانهار:

البحر اعظم مما انت تحسبه
من لم ير البحر يوماً ما رأى عجبا
طام له حبب طاف على زورق
مثل السماء اذا ما ملئت شهبا

وقوله في العقل والتغرب:

ما احسن العقل وآثاره
لولازم الانسان ايثاره
يصون بالعقل الفتى نفسه
كما يصون الحر اسراره
لا سيما ان كان في غربة
يحتاج ان يُعرف مقداره[١٤]

ومن وصفه الجيش والسلاح:

وكتيبة بالدارعين كثيفة
جرت ذيول الجحفل الجرار
روض المنايا بينها القضب التي
زفت بها الرايات كالازهار
فيها الكماة بنو الكماة كأنهم
اسد الشرى بين القنا الخطار
متهللين لدى اللقاء كأنهم
خُلِقت وجوههم من الاقمار[١٥]

ومن قوله في السيف:

وابيض صيغ من ماء ومن لهب
على اعتدال فلم يخمد ولم يسل
ماضي الفرار يهاب العمر صولته
كأنما هو مطبوع من الاجل[١٦]

ومن قوله في الورد:

الورد سلطان كل زهر
[لوانّه دايم الورود]
بعد خدود الملاح شيء
ما اشبه الورد بالخدود[١٧]

اضافة الى مقطوعة اخرى في وصف الخيري:

وازرق كمثل السماء
فيه لمن ينظر سر عجيب
شح مع الصبح بانفاسه
كأنما الصبح عليه رقيب
وباح بالليل باسراره
لما رأى الليل نهار الاريب[١٨]

ووصف الرندي الطيف بمقطوعة من ستة ابيات اداره في معاني الوصل والهجر ومجيء الطيف وسراه وتخيله وتعلل المحب به، وبنى صوره على التضاد:

الم - ولى، اجفى - اشفى، وصل - هجر، قال:

أواصلتي يوماً وهاجرتي الفاً
وصالُك ما احلى وهجرُك ما أجفى
ومن عجب للطيف ان جاء واهتدى
فعاد عليلاً عاد كالطيف ام أخفى
فياسايراً لولا التخيل ما سرى
ويا شاهداً لولا التعلل ما اغفى
الم فساحياني وولى فراعني
ولم ار اجفى منك طبعاً ولا اشفى[١٩]

وله شعر في الغزل بنوعيه: النسيب والتشبيب، اداره في معاني؛ تذكر ليلة انس، وصف اللقاء وشرب الخمر، وصف الليل ومجيء الصباح، وصف الرياض والنسيم، واهداء التحية لتلك الليالي، قال من قصيدته:

علّلاني بذكر تلك الليالي
وعهود عددتها كاللآلي
لست انسى للحب ليلة انس
صال فيها على النوى بالوصال
غفل الدهر والرقيب وبتنا
فعجبنا من اتفاق المحال
ضمنا ضمة الوشاح عناق
بيمين معقودة بشمال

وكؤوس المدام تجلو عروساً
اضحك المزج ثغرها عن لآل[٢٠]

واعجب ابن الخطيب بنزعة الرندي ووجده سابقا غيره حين قدم بالنسيب قصيدته في مدح الامير ابي عبد الاله، وقد اداره في معاني: قوة الهوى، سحر النظرة، التسلي عن الصبابة، الشوق، الطيف، الهجر، ومدح الامير ووصفه بالشجاعة والكرم والسماحة والعطاء وقضاء حاجة السائل بلغة سهلة فيها القليل من الصنعة، مع اعتماد الثنائيات في عجز كل بيت من ابيات القصيدة، قال فيها:

يـــا طلعـــة الشمس الا انــــه قمـــر
امـــا هـــواك فـــلا يبقي ولا يـــذرْ
كيف التخلص من عينيــــــك لي ومتى
وفيهمـــا القـــاتـــلان الغنـــج والحـــور
وكيف يسلي فـــؤادي عن صبـــابتـــه
ولـــو نهى النـــاهيـــان الشيب والكبـــر

ولي من الشـــوق مـــا لا دواء لـــه
ومنـــك لي الشـــافيـــان القـــرب والنظـــر

وكـــان طيف خيـــال منـــك يقنعني
لـــو يـــذهب المـــانعـــان الـــدمـــع والسهـــر
يـــا نـــابيـــاً لم يكن الا ليملكني
من بعـــده المهلكـــان الغم والغيـــر

من كـــالامير ابي عبـــد الالـــه اذا
مـــا خـــانت القـــدمـــان البيض والسُّمُر
الـــواهب الخيـــل آلافـــاً وفـــارسهـــا
اذا استـــوى المُهْطعـــان الضُرُّ والضَّيْر
والمشبـــه الليث في بـــاس وفي خطـــر
ونعمت الحليتـــان البـــاس والخفـــر[٢١]

واورد له المقري رائية من خمسة وثلاثين بيتاً في مديح الامير ابي عبد الاله قدم لها بمقدمة في السلام على الديار والحبيب والتغزل به ووصف الخمر والليل، ثم التخلص الى المديح، وقد اورد ابن الخطيب مقاطع من مقدمة هذه القصيدة، وغزله يدور في معانٍ معروفة: اللوم، الذل في الحب، نيل اللذات، الصبر، وقد ذكر السلام على الديار والعرار لكي لا يبتعد عن الخط التقليدي في بنية القصيدة العربية، كما وصف الخمر وازالتها الهم واباريقها وشكلها واستمد صوره من الطبيعة: رياضها، وردها، بهارها. اما في مديحه فقد اهتم بصفات المعالي والمجد والجود والعدل والندى واسباغ السعد على شعبه، وهذه الصفات وجدناها تتكرر في مدائحه الاخرى، وهي الصفات نفسها التي تدور حولها اغلب قصائد المديح في الشعر العربي واستخدم الشاعر لغة سهلة واضحة تكثر فيها الصنعة كالجناس والتكرار والتضاد، قال في قصيدته:

سلم على الحي بـــــذات العـــــرار
وحي من اجـــل الحبيب الـــديـــار
وخـــــل من لام على حبهم
فمـــا على العشاق في الـــذل عـــار
ولا تقصـــــر في اغتنـــــام المنى
فمـــا ليـــالي الانس الا قصـــار
وانمــــــا العيش لمن رامـــــه
نفس تـــداري وكـــؤوس تـــدار
وروحـــه الـــراح وريحـــانـــه
في طيبـــه بـــالـــوصـــل او بـــالعقـــار
مـــدامـــة مـــدنيـــة للمنى
في رقـــة الـــدمـــع ولـــون النضـــار

مـــا احسن النـــار التي شكلهـــا
كـــالمـــاء لـــو كف شـــرار الشـــرار

ظبي غـــريـــر نـــام عن لـــوعتي
ولا اذوق النـــوم الا غـــرار
ذو وجنـــة كـــانهـــا روضـــة
قـــد بهـــر الـــورد بهـــا والبهـــار

كـــانمـــا الشمس وقـــد اشـــرقت
وجـــه ابي عبـــد الالـــه استنـــار
محمـــد محمـــد كـــاسمـــه
شخص لـــه في كـــل معنى يشـــار
امـــا المعـــالي قطب لهـــا
والقطب لا شـــك عليـــه المـــدار
مـــؤثـــل المجـــد صـــريـــح العـــلا
مهـــذب الطبـــع كـــريم النجـــار[٢٢]

ونظم الرندي في الاغتراب قصيدة عدها ابن الخطيب من المطولات، اورد منها واحداً وعشرين بيتاً، عبّر فيها عن الاغتراب والحزن على فقد الوطن وذلك في نونيته المشهورة فقد اورد المقري في كتابه النفح ثمانية واربعين بيتاً منها ونص على انه اورد القصيدة كاملة كما نظمها الرندي معتمداً على من يوثق في كتابته لان للقصيدة روايات اخرى فيها زيادات تذكر غرناطة وبسطة وغيرهما من المدن التي سقطت، وكان اهلها يستنهضون همم الملوك بالمشرق والمغرب، فكان بعضهم لما اعجبته قصيدة الرندي ورأى مناسبتها للموضوع زاد فيها تلك الزيادات، لكنه رأى ان هذه الزيادات يمكن ادراكها من قبل اي شخص يملك ذوقاً بسيطاً لانها لا تقاربها في البلاغة، ويحيل المقري الى كتابه الاخر ازهار الرياض لبيانه الامر فيه[٢٣]. وقد اورد المقري هذه النونية ضمن قصائد عديدة في رثاء المدن الاندلسية بعد

سقوطها ، ويستهل الرندي قصيدته بالحكمة عن عدم تمام الاشياء وعدم دوام الحال فيستفهم عن الملوك العرب وتيجانهم اين هم ، وعن قارون وذهبه باسلوب من يسلم امره لله ، وان لكل شيء نهاية يقف عندها ثم يعود الى فجائع الدهر والحوادث التي حلت الجزيرة فتصاب نفسه بالضعف لحزنه على مدن الاندلس ، اذ يتحدث بلغة الانسان الجاهل والحاسد ، فيكثر هنا من تكرار السؤال عن عدد من المدن التي سقطت ويصفها ويعبر عن المه وحزنه وبكائه على هذه الديار ، وينبه الغافلين من الناس على حقيقة الامور ، وتبدل حال الاندلس من نصرة المستضعفين الى طلب النجدة ، والذلة بعد العزة ، فيظهر المه وحيرته ويدلل على صدق كلامه باختيار نماذج مختلفة من المجتمع وماذا حل بهم ، كل هذا في لغة سهلة يغلب عليها الصدق ونبرة الاسى والابتعاد عن الصنعة والمبالغة ، قال في قصيدته :

لكل شيء اذا ما تم نقصان
فلا يغر بطيب العيش انسان
هي الامور كما شاهدتها دول
من سره زمن ساءته ازمان
وهذه الدار لا تبقي على احد
ولا يدوم على حال لها شان
يمزق الدهر حتما كل سابغة
اذا نبت مشرفيات وخرصان
وينتضي كل سيف للفناء ولو
كان ابن ذي يزن والغمد غمدان
اين الملوك ذوو التيجان من يمن
واين منهم اكاليل وتيجان
أتى على الكل امر لا مرد له
حتى قضوا فكان القوم ما كانوا

فجائع الدهر انواع منوعة
وللزمان مسرات واحزان

دهى الجزيرة امر لا عزاء له
هوى له أُحُد وانهد ثهلان

فاسأل بلنسية ما شان مرسية
واين شاطبة ام اين جيسان
واين قرطبة دار العلوم ، فكم
من عالم قد سما فيها له شان

واورد ابن الخطيب للرندي نصاً من كتابه « روضة الانس » فيه يصف محاسن جارية وصفا دقيقا باسلوب بلاغي مسجع فيه التشبيه والاستعارة والكناية ، وصفات معروفة عن جمال المرأة العربية مع استخدام المثل والحكمة واللفظ السهل الواضح ، والاستعانة بالشعر الحكمي خلال النثر :

« ويتعلق بهذا الباب ، ما خاطبني به الفقيه الكاتب الجليل ، ابو بكر البرذعي من اهل بلدنا اعزه الله اخبرك بعجاب ، اذ لا سر دونك ولا حجاب ،.... مشيت يوماً الى سوق الرقيق ، لاخذ حق فؤاد عتيق ، فرأيت بها جارية عسجدية اللون ، حديثة عهد بالصون »[25] .

كان مولد الرندي في المحرم سنة احدى وستمئة ، وتوفي عام اربعة وثمانين وستمئة للهجرة ، واورد ابن الخطيب رواية مثبتة بالسند عن ابي الطيب الرندي انه صنع لنفسه شعراً طلب ان يكتب على قبره ليدعوا له الناس ويترحموا عليه :

خليلي بالود الذي بيننا اجعلا
اذا مت قبري عرضة للترحم
عسى مسلم يدنو فيدعو برحمة
فإني محتاج لدعوة مسلم[26]

■ مخطوطات الكتاب :

للكتاب عدد من النسخ موزعة بين المغرب والقاهرة ، فيذكر د . محمد رضوان الداية نسخة المكتبة التيمورية الملحقة بدار الكتب المصرية بحجم لطيف دقيق الخط ، وهي مكتوبة بقلم اندلسي واضح عليه اثار الزمان ، واستنتج انها تعود للقرن السابع او الثامن ، وقد سقطت الورقة الاولى منها ، وذكر في فهرسة الدار وجود نسخة اخرى قرنت على المؤلف ، واشار د . الداية الى نسخة اخرى في الجامعة العربية معهد المخطوطات مصورة من فاس ، فاكمل منها الورقة الاولى[27] .

ونقل المرحوم الاستاذ ميخائيل عواد في فهرسته لمخطوطات المجمع العلمي العراقي نصاً عن جريدة العلم الثقافي المنشورة في الرباط ١٢ يوليو ١٩٧٤ ، جاء فيه : « .... ان الاهتمام بكتاب الوافي يتجلى في كثرة نسخه بالمغرب ، حتى لا تكاد تخلو منه مكتبة خاصة او عامة طوال قرون عديدة ، ويتجلى ايضاً في ورود اسم الكتاب في عدد من فهارس العلماء والادباء المغاربة » .

ومن نسخ الكتاب الاخرى التي ذكرها المرحوم عواد في فهرسته :

١ ـ نسخة الخزانة العامة برباط الفتح ، ضمن مجموع من ورقة ١٢٢ ب الى ١٩٥ أ ، ٢٦ س ، ١٨ × ٢٣ سم ، مكتوبة بخط مغربي وسط .

٢ ـ نسخة في اكسفورد .

٣ ـ اربع نسخ اخرى وهي :

أ ـ نسخة « المنوني »

ب ـ نسخة « تطوان » .

جـ نسخة « عبد الحي الكتاني » .

ء ـ نسخة « الكلاوي »[28] .

٤ ـ نسختا المجمع العلمي العراقي وهما المعتمدتان في هذه الدراسة وهما :

أ ـ نسخة مصورة بالفتستات عن نسخة خطية في خزانة ليدن (برقم : ٢٠٦٧) بخط النسخ، في ١٢٢ ورقة، ١٩ سطراً، رقمها في مكتبة المجمع ١٢٦ شعر ودواوين اولها : بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي قال العلامة صالح بن ابي الشريف رحمه الله تعالى الحمد لله الذي خلق الانسان وعلمه البيان، واظهر بقدرته عجائب حكمته فعقل العقل، وترجم اللسان، وامطر رياض الافهام فتفتقت اكمام البدائع في افنان الافتنان ..... وبعد فإن الاديب جليس ممتع وانس مقنع، وخل لا يخلى، والف لا يمل .... وقد اوردت في كتابي هذا جملة كافية في صنعة الشعر لمن احب ان ياخذ بأزواره، ويطلع على اسراره، ويتفنن في بديعه، ويتبين سقطه من رفيعه هذا، وان كان من سلف قد سبق في هذا المضمار .... وسميت كتابي هذا بالوافي في نظم القوافي وقسمته اربعة اجزاء تتضمن ما فيه من الاجزاء بحول الله تعالى .... » .

أخرها : « .... تم بعون الله تعالى هذا الكتاب المبارك يوم الاحد الموافق لخمسة ايام مضت من شهر محرم الحرام سنة ١٢٩١ على يد الفقير الى ربه القدير محمد عراقي وحفني ناصف البركاوي على ملكه الفقير محمد ابو زيد وصلى الله وسلم على سيدنا محمد في البدء والختام .... »(٢٩) .

وتتميز النسخة بوجود هوامش متفرقة لبعض العناوين واضافة كلمات ساقطة من النص، وتصحيحات لاخطاء عارضة .

ب ـ نسخة اخرى مصورة بالفتستات عن نسخة خطية في الخزانة العامة بالرباط، بخط مغربي في ٨٤ ورقة، ٢١ س .

اولها : « قال الشيخ الجليل الفقير القاضي، ابو الطيب صالح ابن الشيخ الاجل الفقيه المكرم المرحوم ابي(٥) الحسن علي بن شريف الرندي، رحمه الله تعالى، ورضي عنه الحمد لله الذي خلق الانسان وعلمه البيان .... » .

وتتشابه هذه النسخة مع النسخة السابقة بصورة عامة مع بعض الاختلافات في ايراد النصوص زيادة ونقصاناً، وفيها هوامش وتعليقات عديدة على هوامش المخطوطة، وتكون احياناً بخطوط مغايرة لخط المخطوطة مما يدل على تملك عدد من الاشخاص لها، كما تتشابه النسختان في بدايتهما الا ان النسخة المغربية تنقص في نهايتها ثلاثة اسطر عن المشرقية ولا يوجد فيها عبارة الناسخ التي وضعها خاتمة للكتاب، فقد انتهت بما ياتي : « انتهى وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى » .

■ موضوع الكتاب :

الكتاب لاحق بكتب البلاغة والنقد، ويقسم الى اربعة اجزاء بعد مقدمة المؤلف التي تحدث فيها عن الشعر وقيمته ومحاسنه مع شرح بسيط لمضمون الكتاب .

تضمن الجزء الاول اربعة ابواب، **الاول في فضل الشعر** ومن تكلم به واثاب عليه فاتى بآية قرآنية عن اتيان الله الحكمة لمن يشاء، واورد الحديث النبوي (ان من الشعر لحكمة) وان الرسول (ﷺ) ندب حسان بن ثابت اليه وقال « ان روح القدس ليريده ما دام ينافح عن بنيه » ويورد اقوالاً عن الشعر وفضله، وقصصاً عن شعراء الاسلام حسان بن ثابت وغيره، وكيف دافعوا عن دينهم بالشعر وموقف الرسول (ﷺ) منه وقصة البردة وكعب ابن زهير، ويورد ايضاً مواقف السلف الصالح من الشعر والشعراء كجرير وعباس بن مرداس واستماع الشعراء للشعر مع طائفة من شعر جرير مثلًا على ذلك، ويورد قصصاً لبعض الشعراء العباسيين وموقفهم في الشعر من الخلفاء كالرشيد والمامون وعبد الله بن المعتز وسيف الدولة، وينقل النصوص عن صاحب اليتيمة .

ويورد كذلك حكايات للمعتمد بن عباد الاندلسي منقولة من كتاب قلائد العقيان وخصوصاً عن شعره الذي قاله في منفاه في اغمات، فضلًا عن احد اصحاب افريقية وحكايته مع الشعر مع ايراد النصوص على ذلك .

ونرى ان الرندي في هذا الباب وربما في الابواب اللاحقة قد حقق نظرة شاملة الى الادب العربي وعده كلا واحداً لا يتجزأ، فعندما تحدث عن فضل الشعر نظر الى تاريخ الشعر العربي مشرقاً ومغرباً مبتدئاً باوائل الشعراء العرب في الاسلام وتابع تاريخهم الزمني حتى وصل الى الاندلس والمغرب .

وجاء الباب الثاني في الشعراء وطبقاتهم، فابتدأه بقوله : « سئل بعض العلماء عن الشعراء فقال : هم ارباب النظام وامراء الكلام، وما عسى ان يقال في قوم الاقتصاد محمود الا منهم، والكذب غير جائز الا لهم، وجعل الشعراء ثلاثة اصناف جاهلي ومخضرم واسلامي، بعد ان اقرّ للشعراء جواز الايجاز والكذب في الشعر .

اما الجاهلي فقد عرفه بانه لم يدرك الاسلام، وجعل رؤوس هذه الطبقة اصحاب الستة المشهورات، ورأسهم امرؤ القيس . واما المخضرم فيعرفه بانه « الذي ادرك الجاهلية والاسلام » واختار من هذه الطبقة النابغة الجعدي وكعب بن مالك وحسان بن ثابت، وقد سار على طريقته في الطبقة الاولى التي اكتفى بتسمية رأس شعرائها وهنا اختار ايضاً عدداً من الشعراء يمثلون هذه الطبقة .

واما الاسلامي فهو الذي نشأ في الاسلام، وقسم شعراء هذه الطبقة الى ثلاثة اصناف : محدث ومولد ثم كل عصر بعد ذلك ينسب اليه اهله، واختار من المحدثين : العتابي والاشجع الاسلمي والسيد الحميري ومروان بن ابي حفصة ورأسهم بشار بن برد العقيلي، واختار من المولدين جماعة منهم : مسلم بن الوليد وصريع الغواني وابو الشيص والرقاشي وابان اللاحقي ورأسهم ابو نواس الحسن بن هانيء، ونقل هنا رأي صاحب العمدة بان ابن

المعتز وابن الرومي وابا تمام والبحتري كانوا في طبقة متداركة غطوا على من سواهم (اي في طبقة واحدة) ثم تحدث عن المتنبي (فقال عنه انه شغل الناس بشعره ونقل رأي صاحب اليتيمة عن فضل المتنبي ومسير شعره شرقاً وغرباً وجاء ببيت المتنبي :

وما الدهر الا من رواة قصائدي
اذا قلت شعراً اصبح الدهر منشدا

وذكر سبب تلقيبه بالمتنبي لقوله :

انا في امة تداركها الله
غريب كصالح في ثمود

وجاء بآراء من الكتب ولبعض الادباء في مسالة تنبؤ المتنبي بشعره ، كما جاء باقوال للعرب عن اشعر الناس وروايات من مجالس ثعلب عن هذا الموضوع .

وخصص الباب الثالث لعمل الشعر وآدابه فبدأه بتقسيم الشعر الى طرفين ووسط ويقوم على اربعة اشياء : لفظ ومعنى ووزن وقافية ، ويرى ان اناساً قد توقفوا عن عمل الشعر بسبب الهيبة له لا الجهل به .

ويقصد بهؤلاء علماء الشعر وليس الشعراء ، فقد اورد بعض الحكايات الموجودة في كتب الادب عن المفضل الضبي وعدم قوله الشعر وهو من اعلم الناس به ، وكذلك اورد للاصمعي حكاية في المعنى نفسه .

ثم ذكر شروط عمل الشعر وهي تحري اوقات الفراغ وامكنة الخلوة وترك العمل فيه حتى يشتهيه اي يرغب فيه لان الشهوة (كما يرى) نعم المعين ، واذا ما سئم الانسان ان يترك ويرح نفسه ولا يكره طبعه ، لكن يهتم بمطالعة اشعار العرب ما يستجيده في المعنى الذي يريد ، وكذلك من الامثال ، ويشترط على الشاعر التنقيح والاختيار والابتعاد عن الاستكثار ، والتأمل في الشعر والنظر فيه بعد الانتهاء منه لان العجل يؤتي الندم ، ثم يدعو الى استشارة ذوي الخبرة وعمل الشعر المنظوم عليه ويأتي بحكمة على ذلك (بان الانسان لا يرى عيب نفسه والمرء كما قيل يفتن بابنه وبشعره) ، وعرض لحالة الشاعر عندما يرتج عليه وعكس ذلك حينما يتأتى له حسن البديهة وجودة القريحة ، وجاء بمثل على هذه الحالة بحكاية لابي تمام مع المعتصم ، وللشريف الطليق (الاندلسي) الذي وصفه بحسن البديهة وجودة القريحة وقصته مع فتى اختبر بديهته ، وكذلك اورد حكاية من عصره (ويعد هنا شاهد عيان) للهيثم الاشبيلي الذي كان يملي رسالة او شعراً وموشحة ولا يتوقف ، وجاء بحكاية اخرى للشيخ ابي علي القصري بسبتة .

ويعود الى الحديث عن شروط عمل الشعر فذكر الاجازة والمماطلة ، فاما الاجازة فقد عرفها بانها (ان يذيل الشاعر على كلام غيره على البديهة ما يلائم مغناه ويتصل بمعناه) وجاء بحكاية للباجي وابن حسداي وابن عمار ، وبحكاية اخرى عن شعراء مشارقة منقولة من صاحب العمدة ، وجاء بحكاية ثالثة للمعتمد بن عباد . فيتضح انه ينقل الحكايات المشرقية عن العمدة واليتيمة والحكايات الاندلسية عن قلائد العقيان او من مشاهداته اذا كانت تخص شعراء عصره . وذكر المماطلة : وهي (ان يتساجل الشاعران فيصدر احدهما ويعجز الاخر) ويأتي بمثله من شعر امرىء القيس .

وكان الباب الرابع عن اغراض الشعر وادابها : بدأه بالقول (اعلم ان اغراض الشعر كثيرة ولكن الذي يدور منها على الالسنة وتتداوله مع الازمنة ثمانية انواع : النسيب والمدح والتهنئة والرثاء والاعتذار والعتاب والذم والوصف) .

عرف النسيب بقوله (النسيب للروح نسيب وهو ريحانة الانس وسلوانة النفس لانه يستقر ويروق ويهز ويشوق ولذاك جعلوه صدرا في المدايح وسبباً في المنايح) ويستشهد على ذلك بقول ابي الطيب :

(اذا كان مدح فالنسيب المقدم)

وبنسيب حسان في قصائد مديح النبي . وذكر اداباً لهذا الباب ان يكون اللفظ رشيقاً والمعنى رقيقاً ، واذا وصف المجنون بالتيه والاعراض ونحو ذلك من الاغراض ان لا يقابل بالجفاء ولا يعامل معاملة الاكفاء ، ويمثل لذلك بالشعر وبالحكايات وبنصوص مختارة (هكذا سماها) لابي الشيص والشريف الرضي واخرين ، وبقصيدة لابن الخطيب[20] ولابراهيم بن سهل الاسلامي ، ونقل قصة عن المبرد مع المتوكل وهما يتناشدان الشعر واورد نونية ابن زيدون لتكون مسك ختام فصل النسيب ، حيث عرج بعده على المديح وآدابه ، فبين ان (المدح محبوب بالطبع شهي للسمع ، والنفوس في حبه متفقة وفي دواعيه متفرقة ، فالكريم يجود ويبذل فيه المجهود ، واللئيم يتعلل ويجب ان يحمد بما لم يفعل كما قيل في بعضهم) واورد بيتين على ذلك ، وذكر بعض العبارات التي تقال في وصف باب المدائح مثلاً : « المدائح حلل قدت على قيود الكرام ولذلك لا تلام اللئام ، مدح اللئيم هجو له لانك تصفه بما لا يعرفه ومن المثل السائر من مدحته بما ليس فيه فقد بالغت في ذمه » وفي معناه نظم الرندي :

ما جوابي لمن مدحت بشعري
فجزائي جزاء وغد سفيه
اترى علة لذلك الا
انني جبته بما ليس فيه

واورد مثلًا لذلك واتى بالفاظ اخرى مختارة في المدح ان فلاناً من عنصر كريم ومعدن شرف صميم ، هو شريف المنسب ضعيف المنصب قد ارضع اخلاق الخلافة ... » كما اتى ببعض اداب هذا الباب « ان تكون القصيدة بارعة الابتداء رائقة الانتهاء واذا شببت بغزل او نحوه فلتكن نبيهة الاستطراد منبهة على المراد ،

والممدوحون طبقات تتفاوت اخطارهم وتتفاوت اقدارهم فينبغي ان يوصف كل نوع بما هو حقه ولا يتعدى به ما يستحقه ، فاما الملك فيوصف بالجلال وكرم الخلال وعز السلطان وعظم الشان ويشبه بالعلويات وما يليق به من الارضيات ويتحرز في ذلك من اشتراك الاسماء ولا يلحقه عيب بوجه ما » فاتى بحكاية عن ذلك للاخطل عندما دخل على معاوية ، وامثلة اخرى عن الاصمعي وقصائد مختارة في هذا الباب للمتنبي وله (المؤلف) حيث نظم قصيدة لما بويع بالحضرة النصرية بولاية العهد للامير ، فقال في ذلك في عروض قصيدة المتنبي اللامية السابق ايرادها وهي قصيدة طويلة ، ثم اتى بقصيدة اخرى لابن حمديس في مدح المعتمد فعارضها الرندي ايضاً بدالية من نظمه بمناسبة اعذار الامير فقالها في الحضرة النصرية وهي دالية طويلة ايضاً ، وهنا نجد اختلافاً بين نسختي المخطوطة ، اذ انه في النسخة المغربية يذكر بعد معارضة ابن حمديس كيف انه من الصعب في هذا الباب مدح اثنين للتحرز من تفضيل احدهما على الاخر ، فذكر نصاً للخنساء لم يجده في مجموع شعرها ثم ذكر نصاً اخر للبحتري ولبعضهم عند موت المعتضد ، لكن في النسخة المشرقية نجد قولًا للمبرد بان من الشعراء من يجمل المدح فيكون ذلك وجهاً حسناً لبلوغه القصد مع خلوه من الاطالة واورد على ذلك مثلًا للحطيئة وذكر انه نظر في بيته الثالث الى قول لزهير في المعنى نفسه ، وانه رأى بعضهم يعيب هذا البيت من حيث جعله يسر بالعطاء فيورد لنفسه بيتين في المعنى ، ثم يورد ايضاً رواية لشراحيل بن معن بن زائدة وللخنساء ، فكان النص المنقول عن المبرد وشراحيل زيادة على النسخة المغربية كما انه زاد بعد النص المنظوم في المعتضد اربعة نصوص اخرها من نظمه هو اي المؤلف .

وخصص الفصل الثالث بالتهنئة وعرفها بانها من مهمات الاغراض ولكنه لم يجد فيها الا الابيات اليسيرة في المعاني القليلة ، وقد اختار ما يجري مجرى المقطعات والاغراض المنوعات من قبل المتنبي ، كما اختار مقطعة فيها تهنئة بثلاثة اشياء في بيت واحد :

عيد وابلال من مرض واياب من سفر :

فيـــنا ثـــلاثـــة اعيـــاد اتت نسقـــاً
اذ عـــاد عيـــد وصـــح ابن واب أب

وبعد ان اختار عدداً من المقطعات في التهنئة وخاصة في مولود انتقل الى فصل الرثاء الذي جعله ثلاثة انواع : التوجع والتابين والتعزية ، فاما التوجع فيكون بتعظيم الرزء واحلال الخطب واعمال التاسف ، واما التابين فيذكر مآثر المرثي ومكارمه ووصفه بما يجب له ، واما التعزية فبالحضّ على الصبر والترغيب في الاجر والتاسي بالسلف فيما عدا من فجائع الدنيا وقوارع البلوى ليتاسى بذلك ولي الهالك فجاء بقول الخنساء في صخر واورد حكايات للصديق ابي بكر ، ولبعضهم ولابي فراس الحمداني ، وجعل المرثيين ثلاثة اصناف رجال ونساء واطفال . فالرجال يتسع في ذكرهم المجال ويمكن فيهم المقال ، واختار ما يراه من ابدع القول في هذا قول ابي تمام يرثي محمد بن حميد واورد القصيدة بطولها ، كما اورد من شعره الذي كتبه بعد وفاة امير المسلمين الى ولي عهده ابنه امير المسلمين السلطان المولوي فاورد قطعة نثرية طويلة ثم ذيلها بلامية طويلة من نظمه .

وفي رثاء النساء قال (واما رثاء النساء فتضيق فيهن مسالك الكلام وتقصر عنهن مدارك النظام والوجه ان يكنى عنهن جرياً على عادة الصون لهن فيقال في المرأة انها كانت شمساً فافلت وزهرة فذبلت ونحو ذلك واستشهد بقول لابي بكر الداني وانتقد على المتنبي قوله في اخت سيف الدولة :

فـــإن تكن خلقت انثى فقـــد خلقت
كـــريمـــة غيـــر انثى العقـــل والحسب

فرأى ذلك غير جيد لانه جعل انوثتها عيباً . وبَكَز المعيب عيب وانتقد عليه ايضاً قوله في ام سيف الدولة واورد رائية طويلة له (للرندي) في هذا الباب .

اما رثاء الاطفال فاشترط فيه بانهم « يوصفون بما كانت تعطيه فيهم الفراسة وتقتضيه في مخايلهم النجابة ويقال انهم كانوا كالاقمار خطفت قبل تمامها والازهار قطفت في كمامها ويقال أنهم كانوا كما قال التهامي من قصيدة طويلة له :

حكم المنيـــة في البـــريـــة جـــاري
مـــا هـــذه الـــدنيـــا بـــدار قـــرار

وفي النسخة المغربية (واما الاطفال فيقال انهم صرعوا الاكباد وبتتوا الاعضاء وانهم كانوا كالاهلة خطفت قبل تمامها والازهار قطفت في اكمامها كما قال التهامي ....) وبعدها اورد دالية لبعضهم علق بعدها انه من الصعب اجتماع تعزية وتهنئة .... لكن في النسخة المشرقية اورد بعد قول التهامي المختار من قصيدة طويلة له ومرثية في ابن ابي بكر ، ومرثية لابي تمام في ابنين صغيرين ليورد بعد ذلك رأيه في صعوبة اجتماع تعزية وتهنئة ولياتي في النسختين بقول لابن مراده من اهل عصر المؤلف في تولية الملك اثر موت ابيه بمراكش ولابي بكر بن مجبر يهنىء الوزير الكاتب ابا بكر بن اخيل من اهل بلد المؤلف وقد ولد له غلام اثر موت آخر .

ثم ياتي فصل الاعتذار بيدأه بقوله (حسن الاعتذار يوجب القبول عند الاحرار وسوء الاعتذار لسوء الذنب تذكار) ويورد قولًا للبحتري ولاخر ، ورأى ان من احسن ما في الباب قولًا لابي الحسن بن الحاج يستعطف ابا امية بن عصام وجاء بقول لبعضهم يعتذر عن ترك الوداع وآخر عن الخضاب وابيات للحارث ابن هشام يعتذر عن الفرار يوم بدر .

وابتدأ القول في العتاب (لا يكون العتاب الا بين الاحباب لانه

استصلاح للود واطفاء لنار الحقد) ويمثل لذلك بنصوص شعرية لشعراء مشارقة وينقل ايضاً نصوصاً عن قلائد العقيان . ووضح رأيه في الذم والهجاء : (الذم كاسمه ذميم ولكن ربما يقي الكريم من اللئيم) ، ونقل حكاية لابي العيناء ، وجعل ضروب الهجاء ثلاثة : تعريض وتصريح وتحقير ، ومذهبهم في ذلك التقصير ، واورد اقوالاً معروفة في هذا الباب ، ونصاً لبعضهم من خبيث الهجاء ، وعدداً من المقطعات كل منها تحت عنوان (لاخر) ، ونصاً لابن عمار وحكاية لابن المفضل مع المتنبي ، وحكاية لعمر ابن الخطاب مع النجاشي .

ثم ياتي القول على الوصف عرفه فقال (الوصف ذكر الشيء بما يصوره في النفس كصورته في الحس ويمثله للخيال بما ليس له من الهيئات والاشكال ، وهو باب جليل وعليه مدار الشعر الا القليل ، واكثر ما يقع ذلك بالتشبيه والتمثيل كقوله تعالى « والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم » ونص على انه سيورد في هذا الباب ما استجاده من بدائع الصفات وروائع التشبيهات في انواع الموصوفات : في وصف الليل وابتدائه لابن خفاجة (سماه ابا اسحاق الخفاجي) وانه اخذه من قول البحتري وابي بكر الداني ، وفي طول الليل لسعيد بن حميد الكاتب وروى لنفسه شعراً في منزعه ، ومثل في قصر الليل بشعر لابراهيم بن العباس ، وللحاتمي وله ولابن هانيء الاندلسي . ويشعر في الهلال والنجوم لاخر وله وللبحتري ، وجاء بمقطعات في الثريا للتهامي وللحاتمي والصنوبري ، وفي السحاب والمطر والثلج والبرق استشهد باحسن الاشعار في هذه الاوصاف في رأيه لابن خفاجة وللناشيء ولابن حمديس ، واورد مختارات جيدة في وصف الرياض والازهار والمياه والانهار لابن خفاجة وللسيد ابي الربيع والرصافي البلنسي ولابن مزادة وله ولابن طاهر في الورد واورد ابياتاً لم ينسبها لعلها لابن طاهر في الورد ايضاً والترنجان وله في الحبق القرنفلي ومن الخيري والاقحوان ، وله في مطيب نرجس وبهار (في المغربية : قضيب نرجس تزهت فيه ست نوارات ، وهي غير المقطوعة الواردة في النسخة المشرقية ، ويعلق على تصحيف كلمة نرجس الى برجس في المغربية وكذلك في حب الملوك . وفي المشرقية يورد نصوصاً لمطيب النرجس وللابهار للمعري ولابن دراج وللمبرد ولابن الرومي لتكون مقطوعته في قضيب النرجس له (اي للرندي) ، من ذلك يتبين ان في نسخة المشرق اضافة لا نجدها في نسخة المغرب) . ثم يورد نصوصاً في العنب والتين والرمان والنارنجة وتفاحة ملونة والحرشف والبصل والجوز والاترجة ، وهنا يكثر من ايراد الاوصاف مقطعات وقصائد لمشارقة ومغاربة ولاوصاف شتى من الطبيعة والاشياء والرماح والخيول وغير ذلك ، وهنا ايضاً تتفاوت النسختان بين زيادة ونقصان ، فقد ترد نصوص في المغربية لا نجدها في المشرقية وترد نصوص في المشرقية لا نجدها في المغربية وتستغرق حوالي عشر اوراق ويختار من الباب قصيدة لابن حمديس هائية ولابن قلاقس وله .

ويأتي الجزء الثانيّ من الكتاب في محاسن الشعر وبدائعه وقد جعله اربعين باباً قدم له بقوله (اعلم ان باب صنعة النظام ونقاد الكلام تواضعوا في صنعة الشعر على اسماء وسموا بها بدائعه ورسموا روائعه فجمعوا بذلك فوائده ونظموا فرائده ، وقد اوردت من ذلك اربعين باباً تروق الناظر ويفوق بها الخاطر ان شاء الله تعالى .

■ **الباب الاول في الابتداء** : عرفه بقوله « اعلم ان الابتداء مطلع الكلام وعنوان النظام من القصيدة محل الوجه من الانسان والذي يحسنه مع اللفظ الرائق والمعنى الفائق ان يكون بالجمل الابتدائية والفعلية والنداء والاستفهام ونحو ذلك مما له صدر الكلام وان كان ذلك مما يجري مجرى المثل فذلك الغاية في الجودة كقول ابي تمام :

(السيف اصدق انباء من الكتب) .

وجاء برأي الحاتمي في ابتدائه هذا بان اجود ابتداء قاله شاعر هو معلقة امرىء القيس لانه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل ، واستشهد باشعار لامرىء القيس وابي تمام والطليق والمتنبي ، وهو كما يبدو يرى حسن الابتداء في صدر الكلام في الشطر الاول من البيت لان اكثر استشهاداته اكتفى فيها بصدر البيت .

■ **الباب الثاني في الانتهاء** : وجعله نظير الابتداء واهميته تكمن في انه يعلق بالذهن ويثبت للذكر وانه الخاتمة ويرى ان ما يحسنه ان يوجد ما يوحي بانتهاء الكلام وكمال النظام ، كالتغير والتمثيل ويستشهد بقول المعري والمتنبي ، (هنا زيادة ونقصان كلمة في التعريف بين النسختين) ، وقد يكون الانتهاء بيتاً واحداً يؤذن بالانتهاء ويستقل بالمعنى واحياناً بوصف القصيدة ثم يستشهد بقول لابي تمام .

■ **الباب الثالث في الاستطراد** : وهو ان ينفصل الشاعر في القصيدة من الغزل الى المدح بمنزع يتناسب به الكلام ويلتئم معه النظام ويستشهد باقوال لحسان وابي الطيب وزهير ، ونقل حكاية لابن ابي دلف من المبرد ، وقد يكون الاستطراد بمناسبة الشيئين كالعطف والتشبيه ونحو ذلك ويستشهد على ذلك من شعره .

■ **الباب الرابع في المطابقة** : وهو عند اكثرهم ذكر الشيء وضده وعلى ذلك اناشيد ابن رشيق في عمدته ، واورد انشاد الحاتمي لقول الحسن بن مطير المذتول عن عدد من العلماء ، وجعل المطابقة ثلاثة انحاء : مطابقةً في بيت كقول البحتري ومطابقتين في بيت كقول البحتري ايضاً ، وثلاث مطابقات في بيت واحد كقول ابن المعتز .

■ **الباب الخامس في المقابلة** : وهي نوعان : لفظية ومعنوية ، فاللفظية ثلاثة انحاء :

الاول : ان يكون في البيت قسمان او اكثر ، في كل قسم لفظان متواليان ، كل لفظ منهما يماثل نظيره في الترتيب والمادة اللفظية

من اسم او فعل او حرف ، وفي الصيغة ومناسبة الاعراب وموازنة التقطيع ، كقول ابي الطيب :

لهم اوجه غر وايد كريمة
ومعرفة عد والسنة لد

الثاني : ان يتقابل المصراعان من البيت ، فتكون كل لفظة من احدهما تماثل نظيرتها من الاخر فيما ذكر او في بعضه .

الثالث : ان تكون المقابلة بين بيتين مستشهداً بذلك بقول المتنبي .

اما المعنوية فهي ثلاثة انحاء : الاول مركب من مطابقة ومماثلة وذلك ان يؤتى في البيت بلفظين متواليين ثم بآخرين مماثلين لهما في الترتيب وسائر الشروط وربما نقص بعضها مستشهداً بقول عمرو بن معدي كرب (وهنا يوجد هامش بخط مخالف ربما لمن امتلك النسخة عن البيت وجعله من الشعر المطرب الذي لا يكاد يتفق لشاعر حيث قابل بين قبل وبعد ويبقى وينفذ ، اذ رأى ان رواية البيت غير هذه الرواية التي اوردها الرندي بل بوضع وينفذ بدل ويبقى وهو اصوب لتحقيق المطابقة ، وجعله من السهل الممتنع (وقد وقع تحت تعليقه اسم باقي الجندي عفى عنه) ، والبيت الشعري هو :

ويبقى بعد حلم القوم حلمي
ويبقى بعد زاد القوم زادي

ويأتي الرندي مقابلة ثلاثة بثلاثة لابن زيدون ولابي الطيب اربعة باربعة . ثم المقابلة المعنوية الثانية في معنى التشبيه مستشهداً بقول امرىء القيس ، والثالث في معنى التفسير مستشهداً بقول ابي بكر بن النطاح وابن خفاجة ، ومن هذا النوع ما تكون مقابلته منعكسة الترتيب كقول ابن المعتز :

ثغر وريق ونشر
مسك وخمر ودر

وهذه المقابلة اضافة من النسخة المشرقية لا توجد في النسخة الاخرى .

■ **الباب السادس في المناسبة** : والمناسبة ذكر الشيء وما يناسبه على جهة الاستعارة او التشبيه واستشهد بآية قرآنية وفسرها .

■ **الباب السابع في التشبيه** : وهو تمثيل بصور المشبه في صورة المشبه به بصفة موجودة فيهما او مقدرة في احدهما موجودة في الاخر ويعرض المدح او الذم والتفضيل في ذلك بانحاء بانه يترك الشيآن في صفة هي في احدهما اغلب واجلى ، فاذا شبه الاخفى بالاجلى في باب التجنيس كان ذلك مدحاً للاجلى كالخد يشبه بالورد وعكسه اعياني مدح الاخفى كالورد يشبه بالخد وللتشبيه صيغ في الموضع ومراتب في النظم ، فاما الصيغ فالكاف وكأن ويشبه ومثل ويحكى ، وتظن وتحسب وتخال وما اشبه ذلك وجاء بقول لاحد الشعراء ، وتحدث عن التشبيه بغير اداة كقولك فلان اسد فيحتمل تقدير الاداة او نفيها على جهة المبالغة ، واما مراتبه فتسع منها تشبيه شيء بشيء في بيت ومنها تشبيه شيء بشيئين او بثلاثة او باربعة في بيت واحد منها تشبيه شيئين بشيئين او ثلاثة بثلاثة او اربعة باربعة او سبعة بسبعة ، ومنها في تشبيه حروف خط اسم احمد وهو من باب الكناية عن الشيء بشبهه ، واستشهد لكل نوع ببيت او ببيتين من الشعر .

■ **الباب الثامن في الاستعارة** : واصلها التشبيه وذلك ان يجعل للشيء مجازاً ما هو لغيره حقيقة بلفظ غير موضوع له في الاصل ولا راتب عليه وربما التبس بالتشبيه الذي لا اداة فيه والفرق بينهما ان ذلك يسوغ فيه تقدير الاداة ولا يسوغ ذلك في الاستعارة وان قدر فساد المعنى ، ومثل لذلك بقول حبيب وابن حمديس .

■ **الباب التاسع في التخييل** : وأصله التشبيه ايضاً وذلك ان يتوهم في الشيء معنى ليس فيه لوجود صفة تكون علة لوجود ذلك المعنى في غيره كالخجل تكون عنه الحمرة في بعض الوجوه فيتوهم الخجل في الورد لوجود الحمرة ولذلك قال ابن الرومي في تفضيل النرجس على الورد :

خجلت خدود الورد من تفضيله
خجلاً تورّدها عليه شاهد

وقال مناقضه :

فانظر الى المصفر لوناً منهما
واقض فما يصفر الا الحاسد

وجاء بمثلين لمرج الكحل ولابن شريف .

■ **الباب العاشر في التفريع** : واصله التشبيه ايضاً وذلك ان يتفرع وصف من وصف وهو في سياقه نحو من الاستطراد واستشهد بقول ابن المعتز واورد نصاً منقولاً وعلق على البيت الاخير بانه ليس بتفريع جيد لنزول رتبة الخمر عن ريق المعشوق عند عاشقه ، وحق التفريع ان يكون الاخر من الموصوفين اعلا درجة في الحسن من الاول ان قصد المدح او في القبح ان قصد الذم وهو نوع خفي الا على الحاذق في الصنعة ونحوه كقول البحتري ، وجاء بتفريع جيد في رأيه للصنوبري .

■ **الباب الحادي عشر في التوجيه** : وهو مأخوذ من توجيه الحلة وذلك ان يكون لها وجهان وكذلك بيت الشعر يكون له وجهان في المدح او غيره ، ونقل نصاً من صاحب اليتيمة للمتنبي فجاء بثلاثة ابيات متفرقة من قصائد عدة ، وله بيت من قصيدة وبيتان من قصيدة اخرى علق عليها بان في البيت الاول مبالغة وفي الثاني توجيه .

■ **الباب الثاني عشر في التمثيل** : وهو نحو من التشبيه وذلك ان تمثل قضية باخرى ليصح بذلك مقصودها ويستشهد بقول المتنبي والمعري ، واجد الرندي في هذه الالوان من البلاغة يكثر من الاستشهاد باشعار المشارقة الكبار .

■ **الباب الثالث عشر في التمثل** : وهو ان يكون البيت او شطره يتمثل به فيجري مجرى الاقوال المقبولة والحكم المشهورة ويكون على سبعة انحاء : امثال الشطور وامثال الابيات ومنها مثلان في بيت تتمثل باي قسم شئت ، وهو هنا يدخل نماذج من شعره ضمن النماذج التي يستشهد بها على انواع التمثل ، ومنها ثلاثة امثال او اربعة او خمسة امثال في بيت .

■ **الباب الرابع عشر في التجنيس** : وهو تماثل الالفاظ او تشابهها ، وهو خمسة انواع :

الاول : تجنيس المماثلة وهو اتفاق اللفظ واختلاف المعنى وهو على ثلاثة اضرب :

الاول : ما كان باللفظ المشترك الموضوع للدلالة على شيئين فاكثر كقوله :

اسيلة الخد دونها الأسل السمر
ودون ارتشاف الريق من ثغرها ثغر

ويرى ان هذا الضرب اذا ما توالى منه في البيت على نسق كان معيباً لاجل التكرار ويرى الحسن من ذلك ما كان في القوافي المتوالية كانه ايطاء وليس به ، واستشهد بمقطوعة للحريري على ذلك ، والضرب الثاني ما كان باللفظ الموضوع في الاصل لشيء مخصوص ثم سمي به غيره كإساءة وضع للاسد ثم سمي به الرجل ، والضرب الثالث ما كان من الاسماء موافقاً للفعل او الاسم .

والنوع الثاني : تجنيس المشابهة ويكون على ثلاثة اضرب ايضاً : تجنيس التركيب : ما كان مؤلفاً من بعض اقسام الكلام واستشهد على نماذجه من شعر ابي القاسم الشجري والحصري السبتي الذي نظم قصيدة في نحو مئة وثلاثين بيتاً استشهد الرندي ببعض من ابياتها .

والضرب الثاني : تجنيس التفصيل وهو ان تجنس اللفظة بشبيهها من اواخر اخرى او بلفظة وبعض اخرى ، فمن الاول استشهد بقول له ومن الثاني بشعر لغيره ، والضرب الثالث نحوه الا انه مختلف في الخط ، والنوع الثالث : تجنيس المقاربة وهو ضربان : الاول : تجنيس الممدود بالمقصور مستشهداً بقول للمعتمد ، والثاني ما لا يختلف لفظه الا بضبط بعض احرفه ، وهنا يورد شعراً انشده له بغرناطة بعض المتصوفة لرجل منهم وقد نزلوا بالمشرق تحت دوحة وهو كقول الداني الذي نقله من القلائد .

النوع الرابع : تجنيس الاشتقاق ، وهو ما اختلفت الفاظه في البناء لا في المعنى ، والنوع الخامس : شبيه بتجنيس الاشتقاق وليس به ، والفرق بينهما اختلاف للمعنى كالبهر والبهار والنهر والنهار .

■ **الباب الخامس عشر في المضارعة** : وهو نحو من التجنيس وذلك ان يتقارب اللفظان ولا يتباينا الا باحد اربعة اما بتقديم وتاخير في بعض الحروف كالمفارقة والمرافقة ومنه :

بيض الصفائح لا سود الصحائف
في متونهن جلاء الشك والريب

واما بزيادة احدهما على الاخر بحرف من آخره ، واما بتصحيف حرف او اكثر من احدهما كالبراعة واليراعة ، واما بمخالفة حرف من اللفظ لنظيره من الاخر وجاء بامثلة لابن المعتز وابن عمار وابن خفاجة .

■ **الباب السادس عشر في الترديد** : وهو إعادة اللفظ في حشو البيت او القسيم من الكلام المقفى وذلك لما يقتضيه الشيئان ، وقال (اعلم انه اذا غيرت اعادة اللفظ معناه كان ذلك تجنيساً ولم يكن ترديداً كقولك فلان اذا اعطى اعطى فمعنى اللفظ الثاني بالغ وذلك تجنيس فان قلت اذا اعطى اعطى قليلًا كان ترديداً ومنه قول الحريري .

■ **الباب السابع عشر في التصدير** : وهو نحو من الترديد والفرق بينهما ان اللفظ المعاد في التصدير لا يكون الا قافية في الشعر او فقرة في السجع والا فهو ترديد ومنه قول ابي نؤاس واخرين .

■ **الباب الثامن عشر في الاتباع** : وهو نحو من الترديد ايضاً ، ويكون نوعان : الاول كقول الشاعر :

فمن عاش شب ومن شب شاب
ومن شاب شاخ ومن شاخ ماتا
ومن مات فات ومن فات باد
ومن باد عاد عظاماً رفاتا

وللثاني كقول ليلى الاخيلية :

اذا ورد الحجاج ارضاً مريضة
تتبع اقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذي بها
غلام اذا هز القناة سقاها

فهو هنا لم يعرف الباب وانما جاء بالامثلة الشعرية دليلًا على انواع الاتباع .

■ **الباب التاسع عشر في التبديل** : وهو نوعان : احدهما تبديل الترتيب : هو نحو من التصدير وذلك ان يقسم الكلام قسمين يذكر في الاول منهما لفظين او اكثر على ترتيب ما ثم يعاد ذلك في القسم الثاني بعكس ذلك الترتيب ، ومثل بقول الحسن بن سهل وما انشده ابن رشيق في الباب نفسه لابن الرومي ، وذكر ايضاً قول المتنبي وغيره ، والثاني : تبديل القافية والروي ، ويورد لنفسه شعراً على ثلاث قواف ، وقصيدة في تبديل القوافي عارضها الكاتب ابو بكر بن النجار الاشبيلي .

■ **الباب العشرون في التضمين** : وذلك ان يورد الشاعر في شعره بيتاً مشهوراً لغيره او قسيماً منه ويناسب بينهما في السياق حتى يكون كانه كلام واحد وذلك على نحو احدهما بترك التنبيه على ان المضمن للغير وهو ابرع ما يكون في الباب ، ويورد نماذج

من شعر الشريف ابن مرعى من باب الهجاء وما انشده البديع ، ويروي تذاكره ابيات البديع مع بعض الاخوان وقوله الشعر في معنى البديع .

■ **الباب الحادي والعشرون في الاطراد** : وهو نظم الاسماء على حسب ترتيبها في الوجود وذلك امر اتفاقي لا يمكن الا في بعض الاسماء ، والحسن من ذلك ما اتى دون كلفة واورد مراسلة شعرية بينه وبين صاحبه الوزير الاديب ابي العباس بن بلال الجزيري .

■ **الباب الثاني والعشرون في التفسير** : وذلك ان يفسر الشاعر اخر ما اجمله اولًا على نحو ما يلزم في المقابلة ، وهو ضربان : احدهما ان تكون الجملة والتفسير في بيت واحد ، والثاني ان تكون الجملة في بيت والتفسير في بيت اخر .

■ **الباب الثالث والعشرون في المبالغة** : وهي ثلاثة اقسام : الابهام ويمثل لشعر كثير في ذلك ، والاعياء وهو ان يبلغ في الوصف الحال التي يقل وجوده فيها ، والتبليغ وهو زيادة على القدر الكافي في المقصود يكون المعنى به ابلغ ، ويمثل لشعر الخفاجي وامرىء القيس والخنساء .

■ **الباب الخامس والعشرون في التسهيم** : وهو ماخوذ من تسهيم الفرد وذلك ان تكون فيه الوان معروفة الترتيب ، فاذا ظهر احدها علم ما بعده ، وكذلك الشعر المسهم اذا سمع صدر البيت منه عرف عجزه قبل سماعه وذلك لانتضاء الصدر اياه ، واورد نصاً لصاحب العمدة ولابي العتاهية ولاخر ولنفسه .

■ **الباب السادس والعشرون في التحرز** : وهو زيادة يتحفظ بها مما يخل بالمعنى من الامور المتوهمة عن اطلاق اللفظ واستشهد بشعره وبشعر ابن عبدون وطرفة وابن سهل وابن شرف .

■ **الباب السابع والعشرون في الالتفات** : ويكون زيادة في الكلام يراد بها الاعتناء والاهتمام وذلك على ضربين : احدهما في اثناء الكلام كالحشو ، والثاني بعد تمام الكلام كالفضلة .

■ **الباب الثامن والعشرون في التحريف** : وذلك ان ينحرف عن الوصف الى ما يوهم انه يناقضه وانما ينحرف الى ما يؤكده .

■ **الباب التاسع والعشرون في الاستثناء** : سماه ابن المعتز توكيد المدح بما يشبه الذم وجاء برأي لابن رشيق في هذا الباب بانه قد ضل قوم من حيث جعلوا عيباً ما ليس بعيب بوجه كقول ابن الرومي على بعده ، وجعل سبيل هذا الباب ان يؤتى بما فيه بوجه قائم يتخلص منه وعلق على بيت لابن الرومي بانه وصف حسن لكنه قد يعاب في بعض الاحوال من جهة التبذير واستجاد قول ابي هفان في ذلك وابرز مواطن الابداع فيه .

■ **الباب الثلاثون في القلب** : وهو على ضربين : احدهما قلب ترتيب الفاظ البيت فيستقيم وزنه ومعناه وياتي مثلًا من شعره . والثاني : قلب ترتيب حروف الكلام فيقرأ منعكساً كما يقرأ مستقيماً كقول الحريري الذي جعله الرندي اصعب ما يتكلف من ضروب البديع ولم ير لغيره من ذلك ما يرتضيه الا بيتاً من مشطور الخبب لابن عبد الله ابن الحكيم من اهل بلده ، وكذلك شبيه ما صنعه ابو الحجاج بن الشيخ المالقي ويراه قولًا متكلفاً ، ويورد ابداع ما رآه في الباب وانه بيت فريد لابن ابي الحجاج فيه القلب والاهمال وانفصال الحروف ، وذكر ما يتعلق بهذا الباب مربعاً يقرأ طولًا وعرضاً .

■ **الباب الحادي والثلاثون في التصحيف** : وهو ضربان : احدهما اتباع اللفظ بما يشاكله في الخط ولا يباينه الا في اللفظ ، والثاني ان يكنى عن اللفظ بما يشبهه من ذلك على وجه التورية مستشهداً بقول الحريري وغيره مع الرواية .

■ **الباب الثاني والثلاثون في الترصيع** : وهو ان يقسم القول قسمين في كل قسم منهما من الفقر المتقابلة مثل ما في الاخر مستشهداً بقول ابن سارة وأحد اهل بلده .

■ **الباب الثالث والثلاثون في التسجيع** : وهو ان يفقر البيت فقراً متماثلة في غير مقاطعة مستشهداً بقول المتنبي وابن عبدون .

■ **الباب الرابع والثلاثون في التسميط** : وهو ماخوذ من نظم السمط وذلك ان تكون ثلاثة ارباع البيت على فكرة واحدة وهو اكمل التسميط متمثلًا بقول صريع الغواني والمعتمد الذي جعل تسميطه ناقصاً عن قول المتنبي :

انا ابن اللقا انا ابن السخا
انا ابن الضراب انا ابن الطعان

■ **الباب الخامس والثلاثون في لزوم ما لا يلزم** : وهو انواع وذلك ان يلزم الشاعر ما لا يلزمه براعة منه واقتداراً كالتزام حرف واحد في موضع الردف من الروي كقول الحريري ، ومنها اعجام حروف القصيدة كقوله من ابيات له (الحريري) ، ومنها اهمال الحروف كلها مستشهداً بقول الحريري ايضاً ، ومنها الازدواج المفسر مستشهداً بقول ابن سارة ، ولبعضهم رثاء التزم فيه الظرف والازدواج .

■ **الباب السادس والثلاثون في التفصيل** : وذلك ان يقسم الشعر قسمين او اكثر في مواضع متوازنة من ابياته ، فاذا فصل منها قسم في كل بيت عما قبله كان الباقي تام الوزن والمعنى وينفك بذلك من المقطعات بحسب ما تقتضيه صنعة ذلك فمما ينفك منه قطعة قول الحريري او ست قطع قول المعري ومما ينفك منه اربع عشرة قطعة وكل بيت ينقسم الى ستة اجزاء ، ويبين الانقسام على الابيات التي اوردها ، ثم كل لفظة بعد ذلك قسم على حدة ولفك ذلك اربعة اوجه الاول ان تبدأ من آخر كل بيت منهما فتسقط اجزاءه جزءاً جزءاً حتى تنتهي الى القسم الاول فيكون من ذلك خمس قطع والثاني ان تسقط الجزأين الثاني والثالث من كل بيت منهما فيكون الباقي بيتين تبدأ من آخرها ثم تسقط جزءاً جزءاً ، فيكون من ذلك ثلاث قطع ، والثالث ان تضيف الجزء الاول من كل بيت منهما الى الجزء السادس او الى الرابع

والخامس معاً او الى الخامس والسادس معاً فيكون من ذلك ثلاث قطع والرابع ان تسقط الجزء الخامس من كل بيت منها او الرابع وحده او الرابع والخامس معاً فيكون من ذلك ثلاث قطع وهنا ما ينقله منه ثمان وستون قطعة بان كل بيت منها ينقسم تسعة اجزاء ، كل جزء ملها من لفظة الا الاول من كل بيت منها ، فان كل جزء منهما من لفظتين ، ولذلك ذلك سبعة عشر وجهاً الاول ان تبدأ من آخر كل بيت منهما فتسقط الجزأين الثامن والتاسع ثم الخامس والسادس معاً ثم الثالث والرابع معاً ثم الثامن فيكون من ذلك ست قطع وكل قطعة ينفك منها عدد من القطع .

■ **الباب السابع والثلاثون في التختيم** : هو صنع ابيات تكتب في شكل مختم تتقاطع أسطره ويشترك ما يتلاقى منها في مواضع التقاطع في لفظة او حرف واحد او اكثر إما مصحفاً او مختلف الضبط واما باقياً بحاله ، وهو انواع ، وقد رسم شكلين له ، الاول : قصيدة لابن قلاقس والثاني له (اي للرندي) معارضاً فيه خاتماً لبعض اهل العصر ، يحتوي على ثمانية ابيات تحيط بها ثمانية ابيات اخر مرصعة في ثلاثة مواضع متقابلة ، وكل بيت من المحيط يشترك آخره مع ما يليه من ابيات الحشو ، وكل بيت مما في حشو المحيط يقع فيه الاشتراك في ستة مواضع ، فصنع مثله ، ثم ياتي ببسط الخاتم بعد كل رسم .

■ **الباب الثامن والثلاثون في الاحالة** : ان يحيل الشاعر في شعره على امر مشهور كانه يرى بذلك معرفته بالمعاني المقولة والاخبار المنقولة مستشهداً بقول عدد من الشعراء .

■ **الباب التاسع والثلاثون في نفي الشيء بايجابه** : بان يكون ظاهر الكلام نفياً وباطنه ايجاباً .

■ **الباب الاربعون في اللغز** : وهو من اخفى انواع الاشارة بان يكون ظاهر الكلام مما يمتنع حتى يعرف باطنه ونقل هنا عن العمدة ، وجاء بمثل للسيد ابي الربيع ولاخرين ولنفسه واورد مقلوب عدد من الكلمات ، كما اورد منشوراً في اللغز .

■ **الجزء الثالث في عيوب الشعر** : وهي ثلاثة : الاخلال والسرقة والضرورة . اما الاخلال فثمانية اضرب ، الاول : سوء اللفظ ويكون باحد ثلاثة اشياء ، منها ان يكون اللفظ غثاً ساقطاً ، كالالفاظ الواردة في قول حبيب : حزّات ومحرات ومناخر وهي الفاظ غثة ، ومنها ان يكون مقفراً حرثيثاً كقول ابن علقمة النحوي (ما لكم تتكاكؤون عليّ كما يتكاكا على ذي جُنة ، افرنقعوا عني ، فقال بعضهم دعوه فان شيطانه يتكلم بالهندية) ، ومنها ان يكون مشتركاً بما يخل باي وجه .

والثاني : سوء الابتداء وذلك يكون باحد ثلاثة اشياء منها سوء المواجهة كقول المتنبي [كفى بك داء ان ترى الموت شافياً] ومنها ما يكره للتطير به ومنها ما يتجه معه تبذير .

والثالث : قطع الكلام عما قبله عند الانفصال من الغزل الى المدح .

والرابع : ذكر الشيء مع البعد عنه واتى برواية عن الكميت وعن نقد ابيات لامرىء القيس بحضرة سيف الدولة مع تحليل هذه الابيات وبيان مواضع تناسبها في المعنى .

والخامس : التركيب : تقديم ما حقه التاخير ، وتاخير ما حقه التقديم فيكون عن ذلك ثلاثة عيوب منها الالتباس المخل بالمقصود مستشهداً بقول كشاجم ، ومنها : التعقيد الذي يعسر معه فهم الكلام ، ومنها فساد المقصود لفساد المقابلة مستشهداً بقول النهشلي وشعر ابن رشيق فياتي المؤلف بالشعر ويؤشر موضع العيب فيه .

والسادس : التكرير ، اعادة اللفظ في الشعر لغير وجه يسوغه ، وهو على ضربين احدهما : ان يكون ذلك في البيت الواحد مستشهداً بقول حبيب وتعليق الصاحب عليه مع نص منقول من العمدة .

الثاني : ان يكون في بيتين فاكثر مستشهداً بقول ابن الزيات فان كان التكرير بمعنى التفخيم في باب المدح او الاستعذاب في باب الغزل فذلك حسن .

والسابع : الاعتماد : وهو ان يؤتى في البيت بلفظة حشو لا معنى لها الا اقامة الوزن .

والثامن : المعاضلة : وهو فساد الاستعارة وذلك على ثلاثة اضرب : احدها سوء الاستعارة ، والثاني وصف الاستعارة بما ليس من شانها ثالثها : نسبتها الى ما لا يليق به .

■ **الفصل الاول : ضروب السرقة** : وهي انواع ، وتدل على استحسان لما ياخذه وعجز عن الاتيان بما يغنيه عنه ، وهو ثلاثة فصول : الاول في ضروب السرقة والقابها ، وهي تسعة منها : **الاول** : الاغتصاب : ان يسمع الشاعر ما يعجبه ممن هو دون طبقته فيدخله في شعره ويغلبه عليه .

الثاني : **الانتحال** : ان يدعي الشاعر شيئاً من شعر غيره وقد نسب ذلك لقوم من الفحول كالنابغة وزهير وعنترة .

الثالث : الاهتدام : ان ياخذ بنية البيت ومعناه فلا يغير منه الا القليل كقول كثير الماخوذ من قول صخر الهذلي .

الرابع : الاغارة : ان ياخذ معنى البيت ببعض لفظه مستشهداً بقول النابغة ولابي بكر الداني وهو الاندلسي الثاني الذي يستشهد بشعره في هذا الجزء من الكتاب بعد ابن عمار ، وقد نقل حكايات رواها الجاحظ عن العتابي ، واخذ ابي نواس من الشعراء وحكاية عن ابن درستويه النحوي لاخذ البحتري معنى سعيد بن حميد التي شاركه فيها ابو العباس الناشيء ، وزاد عليه ابن الرومي واحسن كما سبقه ابو تمام الى الخروج في المعنى نفسه ، وقد اورد الرندي عدداً من تعليقات ابن بسام على النصوص المذكورة لتميز الذخيرة في ايراد السرقات الشعرية وعناية مؤلفها ابن بسام بتتبع معاني الشعراء .

الخامس : النظر ويسمى الالهام : ان يرى الشاعر معنى لغيره فينحو منحاه من غير اخذ شيء من لفظه ، وانشد الحاتمي في ذلك لعمر بن ابي ربيعة ونظره في المعنى الى بيت امرىء القيس :

سمـوت اليهـا بعـدمـا نـام اهلهـا
سمـو حبـاب المـاء حـالًا على حـال

وروى حكاية عن صاحب الزهر عن ابي تمام واخذه لمعنى ابن ابي دواد الذي الم فيه بقول ابي نواس .

السادس : الاختلاس : ويسميه قوم قلب المعنى مستشهداً بقول ابن هاني وقلبه معناه من الطائي ، وقول ابن الرومي وقلبه المعنى من قول عدي .

السابع : النقل : وهو نقل المعنى ، من باب لباب كنقل ابن مجبر لمعنى ابن الرومي ونقل آخر للمعنى نفسه .

الثامن : التلفيق : وهو جمع الكلام من مواضيع شتى مستشهداً بنص من العمدة ليزيد بن الطثرية ، فقد رأى لمن اوله من قول جميل ووسطه من قول جرير وآخره من قول عنترة . وقول لابن زيدون اوله من قول المخزومي وآخره من قول الفرزدق .

التاسع : الاحتذاء : هو اخفاء السرقة وذلك ان يتتبع الشاعر طريقة غيره كاحتذاء كشاجم طريقة الاعرابي .

■ **الفصل الثاني** : في مراتب الاخذ وهي ثلاث : الزيادة والمساواة والتقصير ، فاما الزيادة فتغتفر بها ذنب السرقة وربما فاز الاخذ بالمعنى وكان به اولى وذلك باخذ ثلاثة اشياء : زيادة المعنى وحسن العبارة والاختصار ، ويستشهد على كل شيء من الاخذ لاندلسيين ومشاركة دون تعريف للانواع الاخرى وهي المساواة والتقصير .

■ **الفصل الثالث** : فيما يشبه السرقة ، والذي يشبه السرقة وليس منها ثلاثة : التوارد والاجتلاب والتداول .

١ ـ التوارد : موافقة الشاعر لغيره في البيت ونحوه من غير ان يسمع به ، فاذا زعم ذلك من يحسن الظن به قبل قوله كان ذلك تواردا ، مستشهداً بما قاله الاصمعي لابي عمرو ابن العلاء ، وما سئل به المتنبي في ذلك فقال : الشعر محجة فربما وافق الخاطر الخاطر كما يقع الحافر على الحافر ، واورد رواية للفرزدق وجرير ولصفوان بن ادريس وابن المنخل .

٢ ـ الاجتلاب : ان يورد الشاعر في شعره بيتاً مشهوراً لغيره كالمتمثل به ، ولا يرى ابو عمرو بن العلاء ذلك عيباً .

٣ ـ التداول : ايراد اللفظ الذي لا يستقل بالفائدة ويستشهد بقول كثير .

الضرورة : وهي الجملة من العيوب ولكن بعضها اخف من بعض وتنحصر في اربعة وهي : التبديل والتقديم والتاخير والزيادة والنقصان .

فاما التبديل ، فمنه قلب الاعراب نحو ما انشده ابو عمرو بن العلاء عن شرحبيل بن عمرو والاخطل .

ومنه نصب الفعل بالفاء في الموجب ، ومنه حمل اللفظ الذي لا يتم الكلام الا به على معنى القطع ، ومنه اقرار حرف العلة المتطرف بعد الالف الزائدة مما حقه ان يقلب همزة ، ومنه نقل حركة الوصل الى الروي الذي اوجب الاعراب تسكينه ونقل سكونه الى الوصل لاجل التقييد ، ومنه تانيث المذكر حملًا على اللفظ والمعنى ، ومنه تبديل الحرف الصحيح بحرف علة ، ومنه تذكير المؤنث اذا تاخر الخبر ، ومنه وضع الجملة موضع اسم الفاعل او المفعول في صلة الالف واللام ، ومنه وضع الكاف موضع مثل ، ومنه وضع فعل الامر موضع فعل الخبر .

واما التقديم والتاخير فمنه الفصل بين النعت والمنعوت ، والفصل بين المضاف والمضاف اليه وذلك على وجهين اخفهما الفصل بينهما بظرف او مجرور وهو اثقل من الاول .

والثاني : الفصل بينهما بغير ذلك ، ومنها الفصل بين الظرف ومعموله ، وبين الجار والمجرور ومنه تقديم الفاعل على فعله ومنه تقديم المضمر على الظاهر .

واما الزيادة فنوعان : زيادة حرف وزيادة حركة ، فاما زيادة الحرف فمنها ان يثبت في الوصل ما شانه ان يلحق في الوقف اجراء الوصل مجرى الوقف ، ومنها زيادة حرف المد واللين ، وذلك على وجهين احدهما في تكسير الرباعي تشبيهاً له بالخماسي والثاني في القوافي عن اشباع الحركات .

ومنها مد المقصور في مذهب الكوفيين ومنعه عند البصريين والتوسط فيما ليس له قياس يوجب قصره ، ومنعه فيما له قياس يوجبه كفعل فعلان ، ومنها اثبات ضمير الرفع في العامل الاول من باب اعمال الفاعل ، ومنها صرف ما لا ينصرف ، ومنها تنوين المنادى المفرد ، ومنها قطع الف الوصل في حشو القسم ، ومنها تضعيف حرف الروي ومنها زيادة النون الثقيلة او الخفيفة في الفعل في غير الامر والنهي والاستفهام ونحو ذلك مما ليس بواجب ومنها اجراء الحرف المعتل مجرى الصحيح في اثبات ما يستثقل عليه من الحركات ومنها تحريك عين الفعل اتباعاً لحركة ما قبله .

والنقصان اربعة انواع : نقصان حركة ونقصان حرف ونقصان اكثر من حرف ونقصان كلمة ، ويستشهد على ذلك بان قد تاتي في عين الفعل المحذوف اللام وعين الفعل المفتوح تشبيهاً له بفعل والفعل المضموم والمكسور ، وفي ضمير المؤنث الغائب المتصل بعد حذف وفي لام المعتل المنصوب اذا كان ما يليه مكسوراً او مضموماً .

واما نقصان الحرف فمنه ترخيم ما ليس بمنادى ومنه حذف المد واللين اكتفاء بحركة ما قبله ، ومنه حذف الف الاستفهام وحذف الياء والواو من ضمير الغيبة ، وهكذا ياتي بحالات كثيرة مع امثلة شعرية ، ومنه ايضاً حذف ياء ضمير المتكلم في القافية ومنه ايضاً مثلًا : منع الصرف مما ينصرف عند الكوفيين ، وحذف التنوين اذا وليه متحرك ، وحذف نون التثنية لغير اضافة ، وحذف النون من مِنْ ، ومنه حذف اسم ليت ، وقصر الممدود .

واما نقصان ازيد من حرف : منه حذف التاءوالياء من اللواتي .

واما نقصان الكلمة : فمنه حذف الموصول واقامة الصلة مقامه ،

ومنه العطف على ضمير الرفع والخفض من غير اعادة العامل .

فصل فيما يجوز في الشعر لغير ضرورة : من ذلك اقامة الجمع مقام المفرد واقامة المفرد مقام الجمع ، ومنه ان يذكر احد المتلازمين ويخبر عنهما معاً لدلالة احدهما على الاخر ، وعطف الشيء على ما ليس من جنسه ومنه حذف لا وانت تريد اثباتها ، ومنه حذف نون الجمع .

■ الجزء الرابع : في حد الشعر والعروض والقافية :

عرف الرندي الشعر بانه ما نظم بالقصد من الكلام على وزن معلوم وقافية ملتزمة وقد يأتي من الكلام ما هو على وزن الشعر وليس بشعر لانه خرج اتفاقاً لا قصداً ، ثم عدد التفعيلات العروضية وهي اجزاء ابيات الشعر : وهي الفاظ موضوعة لاوزان مقاطع ابيات الشعر وجملتها عشرة . فعولن ، فاعلن ، مفاعيلن ، مستفعلن ، فاعلاتن ، مفاعلتن ، متفاعلن ، مفعولات ، فاعلات ، مستفعلات ، فجعل الثمانية الاولى من استخدامات القدماء ، والتفعيلتين الاخيرتين من استخدامات المحدثين ، ثم جاء بفصل في القاب البيت التي تختلف باختلاف احواله وجعلها ثمانية : التام والوافي والمنهوك ، والمشطور ، والمجزوء ، والمصرع والمقفر ، والمسمط .

واتى بفصل آخر في القاب الاجزاء وعوارضها ، فأجزاء البيت الشعري ثلاثة : عروض وضرب وحشو ، وعوارضه ثلاث : زيادة ونقص وحكم ، مع تعريف وتعداد كل واحدة من العوارض الثلاثة واعطاء امثلة لها : كالترفيل والاذالة والاسباغ للزيادة في آخر الشعر . والخزم للزيادة في اوله ، وجعل النقص ضربين : علة وزحاف .

وجعل العلة ثلاث : ابتداء وفصل وغاية ، ويروح الى تقسيم كل منها مع امثلة وهي في الابتداء : الخرم والغصب . وفي الفصل : القطع ، والحذذ ، والقصر ، والحذف ، والعطف ، والكسف . وفي الغاية : البتر ، والوقف ، والصلم ، والتشعيث .

واما الزحاف فلا يكون الا في السبب وجعله اثني عشر نوعاً : الخبز ، والاضمار ، والوقص والطيّ والقبض والكف والعصب والعقل والنقص والخبل والخزل والشكل وقد يجتمع الخرم والزحاف منها ستة : الثرم ، والحزب ، والبتر ، والقصم ، والعقص ، والحسم ، فعرّف هذه العلل والزحافات وبين التفعيلات التي تقع فيها .

ويتحدث عن الحكم ويجعله تسعة امور يعرف كلا منها ، وهي ، المعاقبة والمراقبة والاعتماد والوفور والتتميم والسلامة والصحة والبراءة والتعرية .

■ فصل في انواع الشعر والقابها :

ويقصد (بحور الشعر) ويجعلها خمسة وعشرين نوعاً ، خمسة عشر قديمة تكلمت بها العرب ، وعشرة محدثة ولدها المحدثون ، ويرى ان القديمة قد رتبت في خمس دوائر عروضية : الاولى للطويل ، تتضمن : الطويل والبسيط والمديد ، وقد رسم الرندي كل واحدة من الدوائر الخمسة ، واستعرض تفعيلات كل بحر منها مع زحافاته وعلله . الثانية للوافر ، وتتضمن : الوافر والكامل . والثالثة للهزج ، وتتضمن : الهزج والرجز والرمل ، والدائرة الرابعة للسريع ، وتتضمن : السريع والمنسرح والمضارع . والدائرة الخامسة للمتقارب . فيكون المجموع اثني عشر بحراً مهملًا الخفيف والمتدارك والمجتث والمقتضب اي انه لم يدخلها ضمن دوائره الخمسة . ثم اورد قصيدة من نظمه تجمع بحور الشعر المذكورة ، ضمن في المصراع الاول من كل بيت اسم البحر ، وفي الثاني تفعيلاته متابعاً في ذلك قصيدة لقوم لم يذكر من هم ، وهو في قصيدته هذه قد ذكر الخفيف والمقتضب والمجتث واهمل المتدارك فقط ، ويلاحظ زيادة اسم هذا البحر في هامش الصفحة ، ومطلع هذه القصيدة :

مثال طويل الشعر ما انا قائل

فعول مفاعيلن فعولن مفاعل

واورد بعد ذلك البحور المحدثة وهي عشرة : الوسيط والوسيم والمعقد والمتئد ، والمنسرد والمطرد والخبب والفريد والعميد والوجيز ، واستعرض اجزاء كل بحر منها وسماها (نوعا) واستشهد لها بأمثلة من الشعر ، مثلًا : اجزاء الوسيط (مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن) ، والوسيم (فاعلاتن فعولن ـ مرتين) ، ويشير الى وجه تشابه كل بحر الى مثيله من البحور العربية المعروفة . فالوسيط يكون مبدؤه من اول الجزء الثاني من الطويل ، والمعتمد اجزاء شطره (فاعلات ـ ثلاث مرات) ويشير الى ان مبدأه من سادس الجزء الاول من الوافر .

■ فصل في القافية :

عرف الرندي القافية بانها عند قوم حرف الروي ، واورد رأي الخليل وسيبويه وابن رشيق فيها ، وذكر القاب القافية وهي : المتكاوس والمتراكب والمتدارك والمتواتر والمترادف ، وشرح كل لقب واتى بمثل عنه ، وجعل الحروف ستة : الروي والردف والتأسيس والدخيل والفصل والخروج وعرف الوصل بانه ما اتى بعد الروي من هذه الحروف الستة وهي : (الالف والياء والواو والتاء والهاء والكاف ، وشرح حالة كل حرف كما شرح الخروج : وهو ما يتبع الوصل من الحروف المتولدة عن اشباع حركة ، وجعل الحركات ست : الرس ، والحذو ، والتوجيه ، والمجرى ، والنفاذ ، والاشباع ، ثم شرح كل حركة منفردة .

■ فصل في عيوب الاعاريض والقوافي :

ومن عيوب الاعاريض : النقص بانقاص قوة العروض عن قوة الضرب ، وشرح وجودها في الابيات الشعرية المختلفة ، وبين مواطنها في البحور الشعرية ، ومن العيوب ايضاً الغلط ويكون في الترصيع ممثلًا لذلك بقول المتنبي .

وعيوب القوافي ثمانية : التضمين ، والاستدعاء ، والاقواء ، والإكفاء ، والاجازة ، والايطاء ، والسابع يكون ضروباً منها :

اختلاف الحذو وجعله من اشد العيوب نحو : علينا وفينا . ومنها اختلاف الاشباع او التوجيه . والثامن : التجريد . وهنا ينتهي الكتاب بعد ذكر سنة نسخه (في المشرقية) وهي سنة ١٢٩١ هـ ، وتم النسخ على يد : محمد عراقي ، وحفني ناصف البركاني ، وتملكها : محمد ابو زيد ، اما النسخة المغربية فيوجد نقص في اخرها قدره ثلاثة اسطر مع عدم ذكر سنة النسخ والناسخ .

■ **مصادر الكتاب :**

تنوعت مصادر الكتاب (الوافي في نظم القوافي) وتشمل :

١ ـ المصادر المشرقية :

وتتضمن ثلاثة انواع :

أ ـ آراء من علماء وادباء مشارقة دون النص على اسماء كتبهم ، فقد ذكر استفادته من رأي الخليل وسيبويه والجاحظ .

ب ـ كتب مشرقية نقل عنها بعض النصوص ككتاب الكامل للمبرد وكتاب اليتيمة للثعالبي وهو حين يذكر اسم الكتاب ينقل عنه نقلًا حرفياً فمثلًا نجده قد نقل من اليتيمة مقطعاً من بداية الفصل الخاص بالمتنبي والفصل الخاص بأبي فراس الحمداني .

جـ ـ الاستفادة من بعض الكتب المشرقية دون ذكرها ككتاب قدامة بن جعفر : نقد الشعر ، وذلك في تقسيمه الشعر الى طرفين ووسط وانتظامه باربعة امور : اللفظ والوزن والمعنى والقافية .

٢ ـ المصادر المغربية :

وقد نص على نقله من كتابي : العمدة لابن رشيق ، وزهر الاداب للحصري القيرواني . وكان كتاب العمدة من ابرز المصادر التي نقل عنها نصوصاً كثيرة في كتابه بطريقتين : الاولى اذا نص على نقله ما انشده صاحب العمدة يكون قد نقل القصيدة او الحكاية نقلًا حرفياً .

والثانية انه نقل ابواباً كثيرة ومتفرقة عن كتاب العمدة ، لكنه بوبها وقسمها وفرعها واعطى للمادة حقها وسهل للقارىء الرجوع الى ما يحتاجه من الكتاب بعد ان وجدناها عند ابن رشيق مبسوطة واسعة ومتداخلة مع بعضها البعض ، مما يصعب الرجوع اليها كلا متكاملًا ، اضافة الى ان الرندي عرف كل قسم وفرع ومثل له بامثلة شعرية توضيحية مما جعل الكتاب اقرب الى ان يكون تعليمياً .

ويمكن بيان نموذج عن طريقة الرندي الثانية في الاخذ من العمدة ، فمثلًا في الجزء الاول من الوافي في فصل الشعر اخذ عن العمدة تقسيمه للمادة وقصة كعب وحسان ، وفي باب طبقات الشعراء قسمها الرندي الى : جاهلي ومخضرم واسلامي ، وقسمها ابن رشيق الى اربع طبقات : جاهلي ومخضرم واسلامي ومحدث ، مع وجود اختلاف في تسلسل المادة .

وباب عمل الشعر ورد في العمدة ، وتحدث فيه عن اغراض الشعر وجعلها خمسة بينما خصص الرندي باباً لعمل الشعر وباباً لاغراض الشعر وجعلها ثمانية ، ولكن ابن رشيق تحدث عن عمل الشعر في باب آداب الشاعر .

ووردت بعض فصول باب محاسن الشعر وبدائعه في العمدة كالاستطراد الذي جاء تعريفه مغايراً عن الرندي لكنه شبه الخروج بالاستطراد ووضحه فذكر تعريف الرندي للاستطراد في باب الخروج ، كذلك تحدث ابن رشيق عن الفرق بين الاستعارة والتشبيه والتمثيل ، وجعل التمثيل والاستعارة من التشبيه الا انهما بغير اداة وعلى غير اسلوبه .

ولا نجد كثيراً من فصول الجزء الثاني من الوافي في العمدة ، فقد ذكر التضمين الذي هو احد عيوب القافية بان تتعلق القافية او لفظة مما قبلها بما بعدها ، الا ان الرندي قد ذكر التضمين في باب محاسن الشعر وعرفه بانه تضمين بيت مشهور ضمن قصيدة الشاعر .

وتحدث في العمدة عن التجنيس وقسمه الى اقسام عديدة فكان الاتفاق بينه وبين الوافي في القسم الاول فقط وهو المماثلة . وجعل في العمدة الترديد واحداً من انواع التجنيس ، وهو عند الرندي واحد من ابواب محاسن الشعر ، وهناك اختلاف في تعريف الاثنين للترديد .

وقد خصص ابن رشيق باباً في الاوزان عرفها وبين كيفية تقطيع الاجزاء وذكر الزحاف ، واشترك مع الرندي في بعض انواعه كالخرم والثرم والخزم مع اعتناء الرندي بالتفصيل والتقسيم ، وكالثلم والعصب والخرم والفصل ، وذكر ايضاً الترفيل والتذييل بان جعلهما الضرب السادس والسابع من ضروب الشعر الثلاثة والستين ، كما ذكر القصر والكسف والقطع التي جعلها الرندي من علل الابتداء .

وخصص ابن رشيق باباً في القوافي وذكر فيه بعض حروفها التي بين الرندي ستاً منها كالردف والتأسيس والخروج والدخيل كما ذكر بعض الحركات كالتوجيه والحذو والاشباع الواردة في الوافي .

وعلى الرغم من نقل الرندي نصوص كثيرة من ابن رشيق لكن يبقى له فضل تنظيمها وتبويبها وتقسيمها اضافة الى احتفاظ كل مؤلف بشخصيته واسلوبه وطريقته في التأليف ، ويبقى ايضاً للرندي فضل هذه الدقة الكبيرة في التقسيم والتفريع[٢١] .

واما نقله عن كتاب زهر الاداب للحصري ، فقد كان متمسكاً بالنص ينقل عنه نقلًا حرفياً كما فعل مع غيره من المصادر التي اشار اليها ضمن كتابه .

٣ ـ المصادر الاندلسية :

كان من المصادر الرئيسة التي اعتمدها الرندي في كتابه كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه وكتاب قلائد العقيان للفتح بن خاقان . اما العقد فقد استفاد من بعض عباراته الواردة في كته

الزمردة الثانية في فضائل الشعر ومخارجه وادخلها في مقدمته ، كما وجد بعض التشابه في الافكار كقصص منح الرسول (ﷺ) البردة لعباس بن مرداس وكعب بن زهير ، مع تميز كل مؤلف باسلوب روايته وطريقته في تأليف الكتاب .

وتحدث ابن عبد ربه عن ما يجوز في الشعر مما لا يجوز في الكلام ، فقد ذكره الرندي في باب الضرورة ووزعه ضمن تقسيماته وتفريعاته ، وفي باب عروض الشعر نجد الكتابين يذكران التفعيلات الثمانية التي زاد عليها الرندي وجعلها عشرة عند المحدثين ، كما ذكر الدوائر العروضية الخمس على طريقة العقد ، ويتشابه الكتابان في العلل والزحافات المذكورة ، وان انفرد العقد بذكر ارجوزة علمية من نظم المؤلف في عروض الشعر وعلله وزحافاته ، ورسم الدوائر الخمس ، وانفرد الرندي بذكر البحور الحديثة ، وكان الموضوع في العقد اكثر امثلة وافاضة منه في الوافي ، وكذلك يتقارب الكتابان في باب القوافي وحروفها وعيوبها .

ونقل من كتاب قلائد العقيان الاخبار والاشعار الخاصة بالمعتمد بن عباد ، اي انه استقى المعلومات الخاصة بالاندلسيين من التراجم الواردة في القلائد .

٤ ـ المشاهدات والمجالس :

اهتم الرندي بذكر الاشعار الكثيرة الخاصة بمعاصريه واهل بلده واعتمد فيها على مشاهداته ، كما نظم ايضاً الكثير من الاشعار واوردها في الكتاب بناء على طلب الامير الاكبر في الحضرة النصرية ، مما يتبين لنا انه كان متعلقاً باهداب القصر ومنتجعاً لبني الاحمر .

■ الوافي عند المحدثين :

اهتم المحدثون بدراسة علماء النقد القدامى ، فخصصوا مؤلفات كاملة تستعرض تاريخ النقد الادبي عند العرب ، ودرجوا كتاب الوافي ضمن هذه المسيرة ؛ فقد درس د . محمد رضوان الداية تاريخ النقد الادبي في الاندلس وخصص مجالًا واسعاً لدراسة كتاب الوافي وعده واحداً من كتب النقد والبلاغة في الاندلس ، فعرف بمؤلفه وبمخطوطة الكتاب وبموضوعه ، حيث استعرض فصوله واحداً واحداً وقارن كل فصل منها مع كتب النقد الاخرى ليبين مقدار استمداد الرندي واقترابه منها ، وخاصة كتاب العمدة الذي اكثر الرندي من الاستفادة منه ، ويؤخذ على د . الداية اهتمامه ببيان اقسام الكتاب على العمدة وغيره وتوضيح تعريفهم لذلك القسم او الفرع وان الرندي يتبعهم فيها دون توضيح تعريف صاحب الوافي نفسه لذلك القسم او الفرع[٢٢] .

ودرس د . احسان عباس تاريخ النقد الادبي عند العرب وتوقف وقفة سريعة عند الرندي ، وجعل كتابه هذا ذا منحى تعليمي خالص ، وانه لا يضيف شيئاً جديداً باعتباره قد جمع فيه ما جاء في كتاب العمدة وما جاء في الفصل الخاص من (العقد الفريد) حول الشعر[٢٣] .

وهناك دراسات اخرى لم يتيسر لي الحصول عليها والاستفادة منها وقد درجها الاستاذ المرحوم ميخائيل عواد في فهرسته لمخطوطات المجمع حين ذكر مخطوطة كتاب الوافي[٢٤] .

هذا ويعد كتاب الوافي واحداً من كتب النقد والبلاغة في الاندلس ، اطلعنا على ذوق الاندلسيين وآرائهم في القرن السابع الهجري ، وتكمن اهميته القصوى في اطلاعنا على نماذج كثيرة من شعره تصلح لدراسة الادب في ذلك القرن .

هذا وارجو ان اكون قد وفقت في اعطاء صورة واضحة لكتاب اندلسي مهم ، والله المعين .

■ الهوامش :

(١) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة لابن عبد الملك المراكشي تحقيق د . احسان عباس ، بيروت دار الثقافة ، ١٩٦٤ ، ٤ / ١٣٦ .
(٢) الاحاطة في اخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٧٥ ، ٣ / ٣٦٠ .
(٣) الذيل والتكملة ٤ / ١٣٧ ، الاحاطة ٣ / ٣٦٠ .
(٤) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب للمقري ، تحقيق : د . احسان عباس ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٨ ، ٤ / ٤٨٦ .
(٥) الاحاطة ٣ / ٣٦٠ .
(●) وقد سماه ابن الخطيب في الاحاطة ابو الحسن زرقون ٣ / ٣٦٠ .
(٦) الاحاطة ٣ / ٣٦٠ ، الذيل والتكملة ٤ / ١٣٧ .
(٧) الذيل والتكملة ٤ / ١٣٧ .
(٨) الاحاطة ٣ / ٣٦١ .
(٩) في الذيل والتكملة سماه (الكافي) لكن في مخطوطة الكتاب سماه (الوافي) اضافة الى الاحاطة .
(١٠) الاحاطة ٣ / ٣٦١ .
(١١) الذيل والتكملة ٤ / ١٣٧ .
(١٢) الاحاطة ٣ / ٣٦١ ـ ٣٦٤ .
(١٣) الاحاطة ٣ / ٣٦٦ ـ ٣٦٧ .
(١٤) م . ن ٣ / ٣٦٧ .
(١٥) م . ن ٣ / ٣٦٧ ـ ٣٦٨ .
(١٦) م . ن ٣ / ٣٦٨ .
(١٧) الاحاطة ٣ / ٣٦٩ .
(١٨) كذا في الاحاطة ٣ / ٣٦٩ ، ويبدو ان هناك كلمة ساقطة في صدر البيت الاول .
(١٩) م . ن ٣ / ٣٦١ .
(٢٠) الذيل والتكملة ٤ / ١٣٧ ـ ١٣٨ .
(٢١) الاحاطة ٣ / ٣٦٤ ـ ٣٦٥ .

(٢٢) النفح ٤ / ٤٨٩ – ٤٩٠ .
(٢٣) م . ن ٤ / ٤٨٦ – ٤٨٩ ، وانظر ايضاً : ازهار الرياض في اخبار القاضي عياض للمقري ، تحقيق مصطفى السقا واخرون ، القاهرة ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ١٩٤٠ ، ١ / ٤٧ – ٥٠ .
(٢٤) النفح ٤ / ٤٨٦ – ٤٨٨ .
(٢٥) الاحاطة ٣ / ٣٧٣ – ٣٧٥ .
(٢٦) م . ن ٣ / ٣٧٥ – ٣٧٦ .
(٢٧) تاريخ النقد الادبي في الاندلس ، محمد رضوان الداية ، بيروت ، دار الانوار ، ١٩٦٨ ، ٤٣٥ .
(٢٨) مخطوطات المجمع العلمي العراقي دراسة وفهرسة ميخائيل عواد ، بغداد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٨١ م ، ٢ / ٤١٥ – ٤١٦ .
(٢٩) كتب بعد الختام « حسن مشتاق دهام تم والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وسلم » .
(●) كذا في المخطوط .
(٣٠) لم اتوصل الى ترجمة ابن الخطيب هذا وهو غير لسان الدين بن الخطيب وزير غرناطة الذي عاش بعد الرندي وتوفي سنة ٧٧٦ هـ) .
(٣١) انصب اهتمامي على مقارنة الوافي بكتاب العمدة دون غيره ، لانه المصدر الرئيس المعتمد لدى الرندي .
(٣٢) تاريخ النقد الادبي في الاندلس : د . محمد رضوان الداية ، ٤٣٢ – ٤٧٠ .
(٣٣) تاريخ النقد الادبي عند العرب د . احسان عباس ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ١٩٧١ ، ٥٣٨ – ٥٣٩ .
(٣٤) مخطوطات المجمع العلمي العراقي ٢ / ٤١٤ – ٤١٦ .

مصادر الدراسة

■ المخطوطات :

– كتاب الوافي في نظم القوافي لابي البقاء صالح بن ابي الحسن الرندي « ت : ٦٨٤ هـ » نسخة مصورة بالفتستات عن نسخة خطية في خزانة ليدن (برقم : عربي ٢٠٦٧) بخط النسخ ١٢٢ ق ، ١٩ س ، (رقمها في المجمع العلمي العراقي ١٢٦ / شعر) .
– نسخة اخرى .
نسخة مصورة بالفتستات عن نسخة خطية في الخزانة العامة بالرباط بخط مغربي ، ٨٤ ق ، ٢١ س ، (رقمها في المجمع العلمي العراقي ١٢٧ / شعر) .

■ المطبوعات :

– الاحاطة في اخبار غرناطة لذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) تحقيق محمد عبد الله عنان ، الطبعة الاولى ، ٤ مجلدات ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م – ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .
– ازهار الرياض في اخبار القاضي عياض لشهاب الدين احمد بن محمد المقري (ت ١٠٤١ هـ) ضبط وتحقيق وتعليق : مصطفى السقا وآخرون ، القاهرة ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، ١٣٥٩ هـ / ١٩٤٠ م .
– تاريخ النقد الادبي عند العرب (نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري) : د . احسان عباس ، الطبعة الاولى ، بيروت ، دار الامانة مؤسسة الرسالة ، ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م .
– تاريخ النقد الادبي في الاندلس : د . محمد رضوان الداية ، الطبعة الاولى ، بيروت ، دار الانوار ، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م .
– الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة لابن عبد الملك المراكشي (ت ٧٠٣ هـ) ، بقية السفر الرابع ، تحقيق د . احسان عباس ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٤ م .
– زهر الاداب وثمر الالباب لابي اسحاق ابراهيم بن علي الحصري القيرواني (ت ٤١٣ هـ) تحقيق : علي محمد البجاوي ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، دار احياء الكتب العربية ، د ، ت .
– العقد الفريد لابي عمر احمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي (ت ٣٢٨ هـ) ، شرح وضبط وتصحيح : احمد امين وآخرون ، ٧ أجزاء ، القاهرة ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٩ م .
– العمدة في محاسن الشعر وادابه ونقده لابي علي الحسن بن رشيق القيرواني الازدي (ت ٤٥٦ هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، جزءان ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م .
– مخطوطات المجمع العلمي العراقي ، دراسة وفهرسة : ميخائيل عواد ، بغداد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .
– نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب لاحمد بن محمد المقري التلمساني (ت ١٠٤١ هـ) تحقيق : د . احسان عباس ، ٨ مجلدات ، بيروت ، دار صادر ، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م .
– يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر لابي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي النيسابوري (ت ٤٢٦ هـ) ، تحقيق وتفصيل وضبط وشرح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ٤ اجزاء ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦ م

أبو الحسن الخزرجي وكتابه العقود اللؤلؤية

أ . د . قحطان رشيد صالح

حياته :

هو أبو الحسن موفق الدين علي بن الحسن[1] بن ابي بكر بن الحسن بن علي بن وهّاس الخزرجي الزَّبيدي — ينتهي نسبه إلى الصحابي قيس بن سعد بن عبادة سيد الخزرج . ويقال : إن جدّه هو الذي عناه الزمخشري بقوله :[2]

ولـــــــــولا ابن وهّـــــــــاس وســـــــــابقُ فضلــــــــــه
رعيت هشيمــــــــــــــــــاً واستقيت مصرّدا

وإن صح هذا ، فذلك يعني أنه من أسرة فاضلة كريمة ، ذات مكانة اجتماعية وعلمية ، فأبوه كان أحد مصادره في الرواية ، وكان أولاده وبعض حفاده على حظ طيّب من العلم والمعرفة[3] . وربما كانت ولادته في حدود سنة ٧٤٠ هـ أو قريباً منها ، ففي أخباره أنه مات في زبيد أواخر سنة اثنتي عشرة وثمانمئة وقد جاوز السبعين من العمر[4] . وقيل كانت وفاته في المحرم من السنة المذكورة منصرفة من الحج بمدينة حرض[5] .

كان الخزرجي موضع ثناء كل الذين تعرّضوا لذكره من المؤرخين القدامى والمحدثين ، إذ أشادوا بمكانته أديباً ومؤرخاً . فالعسقلاني يذهب الى أنه « أشتغل بالادب ففاق أقرانه » ويقول بعد الثناء عليه : « اجتمعت به في زبيد »[6] وعنه يقول السخاوي : « اشتغل بالادب ، ولهج بالتاريخ فمهر فيه » ، وهو من الفقهاء[7] ، وكذلك لقّب نفسه في رواياته . ويذهب جرجي زيدان الى انه « نشابة نبغ في أواخر القرن الثامن من الهجرة »[8] وعده

يقول الزركلي : « مؤرخ بحّاثة »[٩] ويشيد به د . شوقي ضيف ، ويذهب الى انه مؤرخ كبير . ومن كبار الفقهاء والقراء والمحدثين في عصره[١٠] .

وكان ــ كما تشير أخباره ــ حسن الصلة ، وثيق العلاقة ، شديد الولاء للبيت الرسولي الحاكم ، فهو كثير الاشادة ببني رسول الذين حكموا اليمن ما بين ٦٢٦ / ٦٣٠ ــ ٨٥٨ هـ ، وبانهم من نسب غساني يماني ، وكان هذا يدفعه للفخر بانهم أبناء بلده وعمومته ، فكلاهما يمتّان الى أصل واحد ، فغسان والخزرج من الأزد والأزد من كهلان ، ولهذا قال :[١١]

بها ليل من غسّان من آل جفنةٍ
فروعُهمُ فرعي ونجــرهمُ نجري

وليس أدل على ذلك مما ذكره الخزرجي في أحداث سنة ٧٨٤ هـ متحدثاً عن وفاة والدة السلطان الاشرف إسماعيل إذ قال[١٢] « فندبني السلطان ــ رحمه الله تعالى ــ للحج عنها والزيارة ، فزودني أربعة آلاف درهم ، ولما رجعت من الحج والزيارة سامحني في خراج أرضي ونخلي يومئذٍ مسامحة مستمرة مؤبّدة مستقرة ، جزاه الله عني أفضل الجزاء » وفي هذا الندب ، دليل على صلاح أبي الحسن ومكانته الاثيرة لدى السلاطين ، فضلاً عن مسامحته في أموال الخراج ، وربما كانت هذه المكانة وراء هذا الميل الواضح الى هذه الاسرة والثناء عليها في شعره وفي سرده لاخبارها ، وتخصيص تاريخ دولتها بكتابة « العقود اللؤلؤية » والتاكيد على عروبة نسبها ويمانية أصلها .

أما مكانته العلمية ، فإنها تتضح في هذه الجهود التي بذلها في شتى المجالات ، ومنها تصنيف الكتب التي صارت مصادر غنية للتاريخ اليمني خاصة ، والاسلامي عامة ، وهي تنبيء عن مقدار حفظه وتتبعه للأحداث : قراءة في كتب سابقيه ، ومشافهة عمن عاصروه . وأخذه العلم عن بعض الشيوخ وأبرزهم المقريء أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عثمان بن حسن بن شنيبة[١٣] (٧٥٨ هـ) إذ نصّ على أنه فقيه صالح عارف بالقراءات السبع وطرقها .... وأن الخزرجي قرأ عليه القراءات السبع إفراداً وجمعاً[١٤] ، وهذا يعني أنه قرأ عليه وهو في سن مبكرة . ومما يؤشر هذه المكانة ، أن قاضي القضاة بزبيد مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي أجازة في جميع مقروءاته ومسموعاته ومستجازاته ومصنفاته[١٥] . ولم يكن الخزرجي مؤرخاً وأديباً فحسب ، وإنما كان فقيهاً ومدرساً لاقراء القرآن بالقراءات السبع في الجامع المبارك الاشرفي[١٦] . وأخذ عنه المؤرخون كابن الديبع الشيباني (تنظر قرة العيون ٢ / ١٨ ــ ٣٣ ــ ٥٣ ــ ٦٦ ــ ٧١ ــ ٧٤ ــ ٨٧ ــ ١٠٥) وكابن أبي مخرمة (ينظر تاريخ ثغر عدن ٦١ ــ ٦٩ ــ ١٤٥ ــ ١٧٠ ...) والعلامة الفاسي صاحب كتاب « العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين » الذي عاصره ، وقد أخذ عنه الخزرجي كذلك .

مصنفاته

أثرى أبو الحسن الخزرجي المكتبة التاريخية بالكثير من المصنفات التي تتفاوت في غزارة مادتها ومساحتها الزمنية ، واختلاف مسميات بعضه ، وصحة نسبة البعض الاخر له . فله تاريخ كبير على السنين وآخر على الاسماء وثالث على الدول[١٧] . وهذه المصنفات ــ كما وصلت إلينا أو ذكرتها مصادر الدارسين ــ هي :

١ ــ العسجد المسبوك في من ولي اليمن من الملوك : وهو مخطوطة من ٥١٢ صفحة نسخت في يوم الخميس الخامس من شعبان سنة ١١٠٣ هـ . وتمثل البابين الرابع والخامس فقط من القسم الثاني لكتاب كبير تشمل خطة محتوياته : المقدمة والقسم الاول ، وفيه خمسة أبواب تتناول ذكر الرسول ﴿ ﷺ ﴾ والعصور الاسلامية بعده . والأبواب مقسمة الى فصول . والقسم الثاني وفيه : خمسة أبواب تتناول ملوك مصر والشام وأفريقيا والقيروان والاندلس والمغرب الاقصى وملوك صنعاء وعدن وأمراء زبيد ووزراءها . والابواب مقسمة الى فصول كذلك ، والفصول من السادس الى الثاني عشر من الباب الخامس تروى تاريخ الدولة الرسولية منذ تاسيسها حتى السلطان الأشرف ٨٠٣ هـ . وقد تكون للكتاب أسماء متقاربة السياق والدلالة ، فالزركلي في أعلامه يسميه (العسجد المسبوك في تاريخ الاسلام وطبقات الملوك)[١٨] ، وفي مقدمة الناشر لمصورة وزارة الاعلام والثقافة) أسماء أخرى للكتاب وقد زاد بعض النسّاخ على أصل الباب الخامس منه . وللكتاب مخطوطات عدة منها نسخة الحرم المكي[١٩] . وهو مرتب حسب السنين والشهور والايام أحياناً . ولعله هو التاريخ الكبير الذي مرت الاشارة اليه آنفاً . وقد نشر شاكر محمود عبد المنعم في بغداد سنة ١٩٧٥ خمسة فصول من الباب الثالث وهو خاص بذكر الخلفاء من بني العباس ، وقد نسب ما نشره للسلطان الأشرف الرسولي[٢٠] وفي مقدمة الناشر أن « بعضهم ينسب هذا الكتاب لهذا السلطان (ت ٨٠٣ هـ) ، لان هذا السلطان ــ كما يقول السخاوي في الضوء اللامع ــ يقوم

بكتابة أصول الكتاب الأولى ثم يدفعها الى من يتمها ويهذبها، فإذا عرضها عليه زاد فيها أو نقص، والخزرجي معاصر للملك الأشرف ووثيق الصلة به، وربما كان ــ كما يقول الناشر ــ هذا تفسير نسبة بعضهم الكتاب الى الملك الاشرف .. وإذ نقف عند هذا الموضوع نقول: إن المتتبع لكتابات الخزرجي يجده يكرر رواياته ويوزعها في أكثر من مصنّف، فكثير من رواياته الشعرية والتاريخية في كتابه « العقود » هي هي في كتابه « المسجد المسبوك » بنصّها الكامل في الاعم الاغلب، وبعض رواياته التاريخية خاصة، ماخوذة من كتاب « السلوك » للجَنَدي، وقد تطول هذه الروايات وقد تقصر، وهو في هذا التكرار يحذو حذو بعض السابقين ومنهم أبو منصور الثعالبي، الذي يعدّ الجزء الأول من كتابه « لباب الاداب » تكراراً لكتابه « فقه اللغة ». والجزء الثاني من اللباب تكراراً لما أورده في كتبه الاخرى مثل: اليتيمة وغرر البلاغة والمنتحل[21]، بل إن مادة « غرر البلاغة » تكرار لما في كتابه « الاعجاز والايجاز »[22] ولعل الخزرجي ألف « العقود » أولاً، وحين بدا له أن يضع كتاباً شاملاً في التاريخ من بداية العصر الاسلامي الى أوائل القرن التاسع الهجري، لم يجد بدّاً من إعادة تاريخ بني رسول (المروي في العقود) ليتم له استيفاء هذه المادة التاريخية الواسعة. والموازنة بين الكتابين في اكثر من مسالة تؤكد أن الكاتب واحد واسلوب العرض واحد والجمل الدعائية التي يسوقها المصنف لنفسه واحدة. ولعل الخزرجي كان كالثعالبي يستجيب أحياناً لطلب بعض الحاكمين في وضع كتاب ما تتصل مادته بالاحداث والاعلام، فلا يجد عذراً لعدم التلبية، فيضطر لمثل هذا التكرار نتيجة ضيق الوقت أو تداخل المضوعات. وهي بعد ذلك مروياته ينقل منها ما يشاء ويضعها حيث يشاء. وإذا لم يكن الخزرجي موضع تشكيك في أمانته العلمية، فليس هناك ما يبرر نسبة كتاب « العسجد » للملك الاشرف، وأن يكون الخزرجي فيه مهذّباً له وناظراً. متفحصاً لمادته. ولو حصل مثل هذا الامر لذكره الخزرجي نفسه الذي حرص على إظهار علاقته المتينة بهذا السلطان، ولو صحّ هذا الامر لاشار إليه مؤرخون متاخرون أخذوا عن الخزرجي كابن الديبع وابن أبي مخرمة. وتعاصر الرجلين ونوع العلاقة بينهما لا تقف سبباً قوياً لما يذهب إليه المتشككون، صحيح أن أحداث الكتاب تنتهي بوفاة الأشرف سنة ٨٠٣ هـ، وأن الخزرجي أهمل تاريخ ما يقرب من عشر سنين بعده سبقت وفاته هو، ولكن هذه الملاحظة تنسحب على كتابة الموثوق النسبة إليه « العقود » الذي أنهاه باحداث شهر ربيع الاول من هذه السنة كذلك، مطيلاً في ذكر محامد الأشرف ووصف غسله ودفنه والاشارة الى رثاء جماعة من الشعراء له، واثبات قصيدة الفقيه اسماعيل ابن ابي بكر المقرىء في رثائه[23]. ونسبة كتاب العقود اللؤلؤية » للخزرجي يؤيدها الاصل المخطوط له، ممثلاً بالنسخة الخطية القديمة المودعة في دار كتب ديوان الهند بلندن[24]. ولعله لم يكمل رواية الاحداث حتى سنة ٨١٢ هـ ــ سنة وفاته ــ بسبب المرض والشيخوخة أو انشغاله بمؤلف آخر وما الى ذلك من مبررات يمكن أن تساق، وعلى أية حال فإن مثل هذا الموضوع يحتاج الى دراسة متأنية ومتابعة لكل مصنفاته وما قد ينسب للأشرف من مؤلفات.

٢ ــ طراز إعلام الزمن في تراجم أعلام اليمن: وهو مرتب على الحروف ابتداءاً باكابر الصحابة والتابعين من أهل اليمن الى أيامه. وتوجد منه نسخة في « المتحف البريطاني » والجزء الاول منه في مكتبة جامع صنعاء[25]. وقد يسمى « طراز اعلام اليمن في طبقات أعيان اليمن » أو « العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر أهل اليمن »[26] ويعدّهما الزركلي كتابين، كل عنوان مما تقدم، اسم لكتاب مستقل عن الاخر. ويقول جرجي زيدان عنه: « تراجم مرتبة على الهجاء .... اقتبس أكثرها من الجندي » وتوجد منه نسخة في ليدن والمتحف البريطاني »[27].

٣ ــ الكفاية والاعلام في دول اليمن: مرتب حسب الدول ومنه نسخة في لندن[28]. ويقول المرحوم الاكوع: « وينسب إليه كتاب الكفاية والاعلام في من تولّى اليمن من الاسلام » ومنه نسخة في مكتبة پاريس وأخرى في لندن[29]، ويذكره ثانية تحت اسم: « تاريخ الكفاية والاعلام في من ولي اليمن وسكنها من الاسلام »[30] وفي مقدمة العسجد المسبوك: وينسب للخزرجي كتاب اسمه: (الكفاية والاعلام في من ولي اليمن وسكنها من أهل الاسلام). وهو في تاريخ اليمن، ورتّبه حسب الدول التي حكمت اليمن. ويبتدىء بالباب الرابع في ذكر ملك اليمن وملوك صنعاء وعدن، رتّبه على عشرة فصول من ظهور الاسلام الى قيام دولة بني زُريع. والباب الخامس خصصه في تاريخ مدينة زبيد ومن حكمها وأرخ من عصر بني زياد الى عصر الملك الاشرف اسماعيل الرسولي. وهذا تكرار لما أورده في كتابه « العسجد المسبوك » وهذا يؤكد ما يشرنا اليه فيما تقدم، في موضوع تكرار الخزرجي لاخباره في أكثر من كتاب.

٤ ــ مرآة الزمن في تاريخ زبيد وعدن. وينفرد الزركلي بذكره. وقد تكون مادته تكراراً لما في العسجد كذلك.

٥ ــ ديوان شعره. غير موجود[31].

٦ ــ مجموع رسائله . غير موجود[٣٢] .

٧ ــ قصيدة « الدافعة » ردّ بها على بعض معاصريه[٣٣] . ولا يعرف ، هل هي ضمن ديوانه المفقود أم أنها نص مستقل ؟ .

٨ ــ المحصول في انتساب بني رسول : يقول الخزرجي حين يتحدث عن قصيدة الحارث الرائش : « وقد كنت شرحت هذه القصيدة ... في جزء لطيف وسميته « المحصول ..... »[٣٤] فهل هذا الجزء ضمن كتاب لم يذكره ، أم أنه يشكل مصنفاً مستقلاً صغيراً ؟ .

٩ ــ العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ــ موضوعنا التعريف بالكتاب : وهو جزءان . ومنه نسخة قديمة مودعة في دار كتب ديوان الهند في لندن ، وقد استنسخه سيرجيمزرد هوس أواخر القرن التاسع عشر ، ثم ترجمه الى الانكليزية في مجلدين ووضع له الفهارس ، ورسم خرائط توضح الاماكن التاريخية التي ذكرها الخزرجي في كتابه . ثم أشار البروفسور أدوارد برون بطبع الكتاب عن نسخة سيررد هومس .

وقد عهد للمرحوم بسيوني عسل تصحيح الكتاب عند طبعه ، فوجد بعد مقارنة النسخة المستنسخة بالاصل المخطوط أن سيررد هومس ترك من الكتاب عند نسخه تاريخ حياة الفقهاء وأرباب الطرق ، فاعيد الطبع اعتماداً على النسخة الاصلية وتمّ ذلك سنة ١٩١١ م[٣٥] . وقد توهم جرجي زيدان حين ذهب الى ان الاستاذ براون هو الذي نقل الكتاب الى الانكليزية وصدّر الترجمة في ثلاثة مجلدات سنة ١٩٠٨ م .

يبدأ الجزء الاول من الكتاب بمقدمة الطبعة الثانية سنة ١٩٨٣ م في دار الاداب ببيروت ، تحدث فيها المصحح الثاني الاستاذ المرحوم محمد علي الاكوع عن جهوده لاخراج الكتاب إخراجاً محموداً أتبعها بترجمة موجزة للمؤلف ، ثم مقدمة المصحح الاول ، وقد مرت الاشارة الى ذلك . وهذا الجزء خلو من مقدمة للمؤلف ، كان من المفروض أن يتحدث فيها عن محتويات الكتاب ، ولمَ وقف في تاريخه عند سنة ٨٠٣ هـ ؟ وعن السبب الذي دعاه لتاليفه ، وهل صنّفه استجابة لطلب أحد الحاكمين أو الاعيان ؟ أم أن صلته ببني رسول والتقرب إليهم هو الذي دفعه لتاليف كتاب خاص بدولتهم ؟ وهل كان تاليفه قبل كتابه « المسجد » أم بعده ؟ لنتبيّن السبب في هذا التداخل والتكرار في أخبار الكتابين فيما يتصل بالدولة الرسولية خاصة . وقد قسّم الكتاب الى أبواب وفصول ، وهو منهج اتبعه في كتابه « المسجد » بشكل أكثر دقة . ولا نجد في « العقود » البسملة التي بدأ بها « المسجد » بل يبدأ بالباب الاول ، وهو في « ذكر انتساب الملوك بني الرسول وكيف كان السبب في دخولهم اليمن واستقلالهم بالملك فيها » . ولا يذكر بعد هذا العنوان عدد الفصول وانما يسترسل بالحديث حول هذا الموضوع في أربع صفحات تناول فيها عراقة ملوك حمير وملوك غسان في المُلك في الجاهلية والاسلام . وبعدها ياتي فصل بلا ترقيم ، وفيه يواصل الكلام عن هذه العراقة باقل من صفحتين . وبعده فصل آخر دون ذكر تسلسل كذلك ، يتحدث فيه عن خراب سد مأرب ، وبعد صفحتين يعنْون بكلمة فصل مرة ثالثة مواصلاً القول في المرحلة التاريخية بعد خراب السد ، وبعد صفحتين ونصف الصفحة ياتي فصل بعنوان : في ذكر ملوك الشام في الجاهلية من غسان ، وهذا الفصل في ثلاث صفحات . وفي فصل تالٍ يزيد قليلاً عن صفحة واحدة يذكر أسماء ملوك غسان ، ثم يتحدث عن آل جفنة عمال القياصرة على عرب الشام في فصل من خمس صفحات . ويتناول آخر فصول هذا الباب وهو في ثلاث عشرة صفحة ــ تاريخ بني رسول ملوك اليمن في الاسلام ، ويلاحظ أن هذه الفصول تتميز بالقصر ، عدا الفصل الاخير ، وان تداخل الاحداث فيها يمكن المصنف من دمج بعضها بالبعض الآخر ، مختصراً فصوله ومحققاً الوحدة الموضوعية في الوقت نفسه .

اما الباب الثاني فهو « في ذكر قيام الدولة المنصورية وأسبابها » وبعد أن يتحدث في صفحتين تقريباً عن اختيار الملك المسعود الايوبي للملك المنصور عمر الرسولي نائباً عنه في اليمن ، يضع لفظة فصل ، وليس في هذا الباب فصل غيره . وهو يتكون من ثلاث وثلاثين صفحة يخصّه باخبار السلطان المؤسس للدولة حتى مقتله في الجنَد سنة ٦٤٧ هـ . ويعد المصنِّف أمر السلطان الاول عمر بضرب السكة على اسمه ، وأمر الخطباء أن يخطبوا له في سائر أقطار اليمن سنة ٦٣٠ هـ ، هو البداية الحقيقية لقيام الدولة الرسولية ليؤكد صدق نبوءة الحارث الرائش حين قال في قصيدته الميمية[٣٦] :

ويظهر راية « المنصور » فيهم
على خاءٍ مخفّفةٍ ولام

فهو إذن باب من فصل واحد ، وقد كان بامكانه جعله في فصلين : فصل للحديث عن إنابة الملك المسعود للملك المنصور ، وفصل ثانٍ عن استقلال المنصور الرسولي بحكم اليمن حتى وفاته ، أو الاكتفاء بالباب دون الفصل . ونجد المؤلف بعد هذا الباب ، يخصص باباً لعهد كل سلطان دون تقسيم الابواب الى فصول . فالباب الثالث : في أخبار الدولة المظفرية وفتوحها ،

ويريد يوسف المظفر بن عمر الذي يلقبه بالخليفة . والباب الرابع في ذكر الدولة الأشرفية الصغرى . والباب الخامس : في ذكر دولة المؤيّد وما كان فيها ، وبه يتم الجزء الاول ، وهو في تسع وخمسين وثلاثمئة صفحة . ويتناول المصنّف في كل باب ، الاحداث العامة ومآثر كل سلطان ، وشيئاً عن سيرته وصفاته ومجالسه ، والترجمة لمن يموت من الاعيان ورجال الدولة والفقهاء . ولانه كان يسرد أخباره حسب النظام الحولي ، فقد عزف عن تقسيم الأبواب الى فصول .

ويبدأ الجزء الثاني ــ وهو في اثنتين وستين ومئتي صفحة ــ بمقدمتي المصحّحين ، ثم يأتي الباب السادس : وهو في ذكر أخبار الدولة المجاهدية . وبعده الباب السابع : في ذكر قيام الدولة الافضلية ووقائعها ، ثم الباب الثامن : في ذكر قيام الدولة الاشرفية الكبرى وبعض أيامها . وهذا الباب طويل تجاوز مئة وأربعين صفحة على الرغم مما يبدو أنه إشعار باختصار ذكر الأحداث إذ نص على « بعض أيامها » . وهذه الأبواب الثمانية تتكرر ــ مع شيء من الاختلاف ــ في كتابه « المسجد المسبوك » ولكنه يجعلها فيه سبعة فصول ضمن الباب الخامس من « المسجد » إذ إنه يختصر الباب الاول من أبواب « العقود » ويدمجه مع الباب الثاني منه جاعلاً من بابي « العقود » هذين ، الفصل السادس من « المسجد » تحت عنوان طويل هو[٢٧] : في ذكر الدولة الغرّاء الرسولية الزهراء وذكر قيام السلطان نور الدين أبي الفتح عمر بن علي بن رسول الغساني التركماني ــ ويريد بهذه النسبة سكن أسرة آل رسول في بلاد التركمان ــ وهكذا الأمر في الفصول الأخرى التي تنتهي بالفصل الثاني عشر ، وهو : في ذكر الدولة الأشرفية الكبرى ، دون أن ينكر ما قاله في « العقود » : « وبعض أيامها » .

الخزرجي الراوية

هذه الكتب التي مرّ وصفها ، والتي قام الخزرجي بتصنيفها ، شهود صدق على غزارة محفوظه ، وجمّ عطائه : راويةً وأديباً ، وأن عنايته امتدت الى تاريخ بلده اليمن خاصة ، فوثّقه في أكثر من كتاب ، والى التاريخ الاسلامي بشكل عام . والخزرجي الراوية يقترب في سرده للأحداث من منهج الجنْدي في كتابه « السلوك في طبقات العلماء والملوك » سواء من حيث اتجاهات هذه الأحداث وأنواعها ، أم ذكره للعادات والرؤى والكرامات ، أم بعض تعليقاته على القصائد والمقطوعات الشعرية ، أم ضبط أسماء الاعلام والاماكن . وقد سبق المؤرخُ الطبري الاثنين في هذا المنحى . نعم أخذ الخزرجي عن الجندي الكثير ولكنه أخذ عن غيره كذلك . وتلك سنّة المصنِّفين في شتى ألوان المعرفة . فالمؤرخ ابن الاثير يعترف باخذه عمن سبقوه وخاصة الطبري ، وفعل هذا الخطيب البغدادي عند وضعه لكتابه « تاريخ بغداد » ومثل هذا فعل مصنِّفو كتب الامثال والمعاجم وكتب الاداب العامة .

لقد أخذ الخزرجي عن رواة معروفين كثيرين لهم تصانيف منشورة . وحين يعود الدارس لبعض مؤلفات هؤلاء يجدهم ينسبون أخبارهم لرواة ثقات ، وأن مقابلة بعض ما ذكره الخزرجي لا يختلف كثيراً عما سرده هؤلاء في تصانيفهم . وفي مقدمة هؤلاء ــ كما أسلفنا ــ القاضي بهاء الدين الجندي . والمقارنة بين كتاب « العقود » وكتاب الجندي « السلوك » توضح مقدار الاخذ ونوع الموضوعات التي ذكرها . ويقرب ما اخذه عنه من خمسين رواية (ينظر في العقود على سبيل المثال ١ / ٣٨ ــ ٥٤ ــ ٦١ ــ ٧١ ــ ١١٧ ــ
١٢٠ ــ ٢ / ١٦ ــ ١٨ ــ ٣٧ ــ ٤٠) ويتباين أخذه عن الاخرين من رواية واحدة الى سبع روايات ، وأبرز هذه المصادر « العقد الثمين » للفاسي ، ينظر العقود ٦٦/١ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ١٨٣ ، ١٨٦ . و « تواريخ الامم » لحمزة الاصفهاني « العقود » ٢٤/١ ــ ٣١ » والعقد الغالي الثمين ٤٦/١ ، ٦٤ ، ١٩٦ والسيرة المظفرية ٣٧/١ ، ٥١ ، ١٨٥ والكتابان للامير بدر الدين اليامي . و « التيجان في ملوك حمير » رواية ابن هشام المعافري (٢٢/١ ــ ٣١) و « مرآة الجنان » لسبط ابن الجوزي » (٤٧/١) . كما روى عن ابن قتيبة (٢٥/١ ــ ٢٦ ــ ٢٨ ــ ٢٩) والمسعودي (٢٩/١) والحافظ الذهبي (١٢٦/١) ، و « بهجة اليمن » لابن عبد المجيد (٢٩٠/١ ــ ٣١٢ ــ ٣١٤ ــ ١٣/٢) وآخرين ، فضلًا عن دواوين بعض الشعراء (١١٧/١) .

وتشكل معلوماته الخاصة مصدراً رئيساً من مصادر الاخبار والاحداث والنصوص الشعرية والنثرية التي رواها في كتاب « العقود » ناسباً ما يرويه لنفسه . وهو في هذا الضرب من الرواية يسلك طرائق مختلفة ، ولكنها تتكرر على صفحات الكتاب ، من ذلك قوله عند إسناد النص : قال علي بن الحسين الخزرجي (٧/١ ــ ٣٦ ــ ٤٨ ــ ٥١ ــ ٨٧) وقد يتبع ذلك بقوله : « تجاوز الله عنه » (٢٠/١) أو قال علي بن الحسن عامله الله باحسانه (٢٧/١ ــ ٣٠ ــ ٣١ ــ ٣٤) ويكرر مثل هذا النهج في كونه مصدر المعلومات بعبارة : قال المصنّف رحمه الله

(٩٨/١ ـ ٢٣٢ ـ ٢٣٩) وقال المصنف أيده الله (٣٢٠/١) وقد يقول : قال علي بن الحسن الخزرجي ، وأخبرني من أثق به من حفّاظ الاخبار (٢٤٤/١) . وكثيراً ما يروى نصوصاً شعرية عقب سرده لبعض الاحداث مباشرة ، وهذا يعني نسبة رواية هذه النصوص لنفسه ومن حفظه (١٤٤/١ ـ ١٤٦ ـ ١٦١ ـ ١٧١ ـ ٢٢٩ ـ ٢٣٥ ـ ٣١٢) وفي مواضع كثيرة أخرى .

ولكنه في روايات أخرى يذكر عمن سمع ومن أخبره بهذا الحدث أو ذاك ، من ذلك : قال علي بن الحسين الخزرجي : وحدثني والدي رحمه الله ... (٣٣/٢) وقال علي بن حسن الخزرجي : وحدثني حسين بن عبد الله ابن منصور ، قال : حدثني حسن بن موسى بن معلان عن جارية يقال لها : نخبة من جواري مولاتنا جهة صلاح والدة السلطان الملك المجاهد ، وكانت ممن في الحصن أيام الحصار ، قالت .... (٢٧/٢) وهكذا تمت حلقات الاسناد بين الخزرجي وشاهدة العيان . ومن ذلك : قال علي بن الحسن الخزرجي ، وأخبرني الفقيه اسماعيل بن علي بن ثمامة ـ وكان من نقلة الاخبار ..... (٥٩/٢) وتنظر في سيرة هذا الفقيه فتجده حسن السيرة ، كامل القضاء مبارك التدريس ، وكان يسمى البكّاء لانه سريع العبرة (٢٢٧/٢) ومن هذا اللون في الاسناد ، قال علي بن الحسن الخزرجي : أخبرني الشيخ الصالح شهاب الدين أحمد بن أبي بكر الردّاد قال : كتب إليّ السلطان الملك الاشرف كتاباً (وأوقفني على كتابه اليه) (١٨٩/٢) وتلاحظ أن المصنف يؤكد صلاح الراوية وإطلاعه على نص الكتاب إمعاناً في الدقة وسلامة الخبر . ومن هذا الضرب كذلك ، قال علي ابن الحسن الخزرجي : أخبرني الامير نجم الدين محمد بن ابراهيم الشرف ، المتولي زبيد يومئذٍ قال : أخبرني الفقيه تقي الدين عمر ابن أحمد بن عبد الواحد قال : أخبرني بعض الرعية الثقات أنه رأى .... (٢٤٠/٢) والخبر تام السلسلة ، وأن الشرف هذا كان والياً محبوباً حسن السيرة ، ويكرر المصنف عنه الرواية (٢٤٠/٢) وله ، أخبرني الفقيه علي بن محمد الناشري ، قال : أخبرني بعض المسافرين ..... (٢٥٨/٢) ويأخذ عنه ثانية قائلاً : حدثني الفقيه أبو الحسن علي .... (١٨٥/٢) ويكرر المصنّف الاخبار عنه (٢٣٦/٢) والفقيه الناشري ممن درسوا في الجامع المبارك وقد مدحه الخزرجي بشعره (١٧٢/٢) . ومن هذا الاسناد المتكامل قوله : أخبرني الفقيه محمد بن ابراهيم الصنعاني قال : أخبرنا شيخنا الفقيه العلامة نفيس الدين سليمان بن ابراهيم العلوي ، قال : حدثني القاضي شرف الدين أبو القاسم بن عبد الرحمن الاشرفي إنه قال : وجدورقة مكتوبة .... الى آخر الخبر (٢٤٥/١) ونظير هذا قوله : أخبرني الفقيه الامام العلامة جمال الدين محمد بن عبد الله الريمي ، وكان ممن يختص به السلطان المجاهد قال : أعطاني السلطان المجاهد .... (١٠٥/٢) .

وقد يعمم في ذكر الرواية دون تحديد سنده ، فيكثر عنده القول : أخبرني من أثق به (١٢٥/١ ـ ٢٤٢) واتفق المؤرخون جميعاً (٣٥/١) ، وقال علماء السير والاخبار (٢٥١/١) ويقول بعض الانصار (٢١/١) وذكر بعض الاخباريين (٢٩/١) ، وفي بعض التواريخ ... (٣٠/١) وحكى بعض تلامذته (٦٥/١) .

وربما صدر خبره بـ « يقال » (١٠٥/١) و« قالوا » (٥٩/٢) و« روي » (١٠٤/١) و« يروى » (٤٩/١ ـ ٥١ ـ ٥٢ ـ ٦٠ ومواضع كثيرة أخرى) و« يحكى » (٥٢/١ ـ ١٣٨) وعندئذ يتوقف قبول الرواية على مبلغ الثقة بالخزرجي نفسه .

ومما يتصل بهذا الموضوع أمران ، أولهما : أن الخزرجي قد يذكر الخبر ـ أو بعضه ـ من مصدرين تحرياً للدقة ، كالذي نقله عن صاحب « السيرة المظفرية » بشان وفاة الناصر أيوب بن طفتكين لليلة الجمعة الثاني عشر من المحرم سنة عشروستمئة ، ثم عقب بـ « قال الجندي : أول سنة عشرة وستمئة . وعندي أنه هو الصحيح »[٣٨] وحين ختم خبراً بقوله : « وذلك على رواية ابن عبد المجيد ثمانون يوماً ، وعلى رواية الجندي نحو من تسعين يوماً »[٣٩] وثانيهما : أن المتتبع لنقله عن الجندي خاصة ، قد لا يجد حدوداً تفصل بين رواية الجندي ورواية المصنّف ، وذلك أمر كان ينبغي أن يتنبه عليه الخزرجي على الدوام ليبتعد عن هذا الخلط الذي يحسب عليه[٤٠] . وقد يروى أخباراً يمتزج فيها الحدث بالشعر والوصف[٤١] ونجدها مع اختلاف بسيط في سلوك الجندي[٤٢] ، دون ان يتبين القارىء مدى إفادته من صاحب السلوك . ولكنه في حالات أخرى يوضح حدود هذه الافادة وانتهاء النقل بين فقرة جديدة بقوله : « وفي هذه السنة .... أو وفيها ... » وهذا كثير ، قد يختم الاخذ عن الاخرين بـ « انتهى »[٤٣] وقد يشعرنا بانتهاء النقل عن الاخرين حين يبدأ بخبر يسند روايته لنفسه ، قال : علي بن الحسن الخزرجي[٤٤] .

وأيا كان الامر ، فالذي تقدم ذكره من مصادره المكتوبة أو رواياته الشفوية المسندة ، تظهر الرجل مؤرخاً أميناً فيما رواه من أخبار وأحداث كبيرة كانت أم صغيرة .

وصف د . شوقي ضيف كتاب العقود وصفاً دقيقاً مشيراً ، الى أنه كتاب نفيس لا يعرض التاريخ السياسي فحسب ، بل يعرض أيضاً التاريخ الثقافي والحضاري عرضاً مفصلاً[٤٥] . وقارىء هذا الكتاب يتبين أن الروايات الكثيرة التي ضمّها هذا الكتاب بجزأيه ، ذات اتجاهات عديدة ، تتناول مختلف مناحي الحياة وأبرزها :

الرواية السياسية والادارية : وقد عني فيها المصنف غاية العناية ، فهو قد وضع كتابه أساساً لتاريخ الدولة الرسولية ، ونجده يطيل في الحديث عن ارهاصات قيامها وكيفية تأسيسها ، وما تخلل ذلك من حروب ووقائع بين بني رسول وخصومهم من الثائرين والمناهضين لهم في الداخل ، وبعض صدامات لهم مع جيوش آتية من خارج حدود السلطنة ، كالحديث عن غارة قادمة من الديار المصرية وعبث الجند بأهل تعز والجند وغيرهما[٤٦] .

وكان إذا ما ذكر وفاة سلطان تحدث عن دفنه وذكر محاسنه ومآثره ، ثم الحديث عن السلطان الجديد وكيفية توليه ، مشيراً الى صدور المنشورات الديوانية للاعلان عن قيام دولة السلطان الجديد ، فضلًا عن خوضه في تفاصيل تاريخية كثيرة مثل الاشارة الى رسائل الطاعة ووصول الهدايا الى الحاكمين . وما يعكس ذلك من شؤون العلاقات الخارجية ، ومنها وصول رسول صاحب كنباية وملك السند ورسائل صاحب هرموز ودهلك وأهالي بلدة كاليقوط لاعلان الولاء[٤٧] . الى جانب ذكر حالات الصلح ، أو أخبار الفتن والنزاعات والشغب في أرجاء الدولة . ومنها إغارة السلطان المؤيد على المعازبة بعد فساد أمورهم في التهائم وما انتهى اليه الامر السلطاني إذ شيّخ عليهم امرأة منهم يقال لها : بنت العاطف[٤٨] .... ومنها إغارة السلطان الاشرف ابن السلطان الأفضل على بلاد العبيد عند قرية (بيت العقار) بعد خروجه من قرية (بيت الفقيه بن عجيل) وكيف « سار بحملين من الطبلخانة والزمّار وراية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ورايته المنصورة »[٤٩] . إضافة الى يوميات سلطانية تخصّ حجّهم وتنقلاتهم وصعودهم الحصون ونزولهم منها ، أو القبض على هذا وإطلاق سراح ذاك . وقد يطيل الحديث في الأخبار الثانوية ومنها ما يتصل بمن يولد أو يخنق أو يتوفى رجالًا ونساء من الاسرة الحاكمة أو غيرها .

ومما يتصل بالجانب الإداري وتنظيم شؤون الدولة ، الاشارة الى تولية الوزراء[٥٠] والكتّاب ، وذكر ألقاب الكثيرين من أصحاب المراكز الرسمية في مختلف المدن ــ وخاصة الكبيرة منها ــ ومن هؤلاء : المشدّ أو مشدّ الاستيفاء ، أو أستاذ الدار ، أو الناظر ، أو الوالي ، أو صاحب زبيد أو غيرها والمقدم والمقطع[٥١] .....

الرواية الاجتماعية : وهو موضوع متشعب ، امتد حديثه صفحات طويلة ، شملت كل ما يتصل بشؤون المجتمع وأفراده خاصهم وعامهم . من ذلك اهتمامه بحياة الفقهاء والقضاة والترجمة لحياة المئات منهم ، بل اطالة هذه التراجم لبعضهم من حيث صفاتهم وثقافاتهم وتصنيفهم الكتب وأسمائها ووفيات هؤلاء ، مؤرخاً ذلك بالسنة والشهر واسم اليوم وتاريخه في كثير من الاحيان[٥٢] . كما تجلت عنايته بالاحداث التي تمس شؤون الناس ومعايشهم ، من ذلك ذكر سنوات القحط وارتفاع الاسعار ومعاناة الناس وموت الكثير منهم بسبب ذلك . ومنه ما حدث سنة ٦٥٥ هـ في صنعاء وصعدة والظاهر ، إذ أكل الناس الكلاب والسباع[٥٣] ، ولعل من أسباب هذا القحط ما تنزل في البلاد من أسراب الجراد وتلف الزرع وألوان الثمار ، ومن ذلك ما حدث سنة ٦٥٦ هـ أيضاً وفي سنة ٧٠٢ هـ إذ عمّ القحط الشديد اليمن جميعه سهلًا ووعراً[٥٤] . وبسبب سقوط المطر المدمّر كالذي حدث ليلة السبت آخر شهر جمادي الاخرة سنة ٦٩٧ هـ ، إذ عم اليمن مطر عظيم وخاصة في تهامة أتلف السفن وهدم الحصون وقلع الأشجار[٥٥] ، ومثله ما حصل من مطر شديد في يوم التاسع عشر من صفر سنة ٧٤٣ هـ ، فتهدمت البيوت وتلفت النفوس وهلكت الحيوانات . وافتقر الكثير من أهل وادي زبيد . كما يؤرخ لبعض الحرائق المدمرة ، ومنها الحريق الذي حدث في زبيد سنة ٧٨١ هـ وحريق آخر حدث سنة ٧٩٢ هـ[٥٦] ، كما يشير الى انتشار الأمراض كالجذام[٥٧] ، وهذه الاحداث تقوده الى تسجيل الشؤون الاقتصادية وانعكاساتها على حياة ابناء المجتمع ، من ذلك تفصيله القول في الغلاء الذي حصل سنة ٨٠١ هـ وبيان مدى ارتفاع الاسعار وفحشها وزيادة المكاييل ، وما حصل في مجاعة حصلت في رمضان في سنة ٤٩٣ هـ إذ بيع المُدّ من الطعام بنيف وتسعين ديناراً[٥٨] ، ويتصل بهذا الموضوع الاشارة الى ظهور الدراهم الجديدة وما يتبعه من تغيّر بالاسعار كالدرهم السعيدي المظفري والدرهم الرياحي (الرياضي)[٥٩] .

ومما يتصل بالحياة الاجتماعية حديثه عن مظاهر الزواج وإقامة الافراح لمدة سبعة أيام[٦٠] ومثلها في مجالس العزاء[٦١] ، فضلًا عن ذكر موسم الخيل في عدن[٦٢] ، والاشارة الى الولادات الغريبة ، كأن يكون للمولودة أربع أياد وأربع أرجل ، أو أن تلد جارية ولداً له وجه جدي وأعضاؤه وحواسه غريبة المواضع[٦٣] .

وعني بتوثيق الظواهر الطبيعية ، من ذلك ما حدث يوم

الثلاثاء الثامن والعشرين من شهر ربيع الاول سنة ٧٩٢ هـ ، إذ ظهرت هالة على الشمس لمدة ثلاث ساعات تقريباً الى آخر الساعة السادسة ، وكانت هالة كبيرة بينها وبين الشمس من كل ناحية نحو من عشرة أذرع ، ولونها بين البياض والصفرة والحمرة والخضرة وكان هناك شعاع أبيض كأنه الفضة البيضاء ، وتكرر ذلك بعد شهر[٦٤] ومن ذلك حدوث الزلزال في صنعاء سنة ٦٥٩ هـ[٦٥]، ووصفه لزلزال حدث في السودان سنة ٨٠٢ هـ[٦٦] .

ولأن الشأن الديني ركن أساس من حياة المجتمع ، فقد كان اهتمامه كبيراً بكل ما يتصل بحياة الفقهاء الشخصية والسلوكية والعلمية ، وهذا معلم بارز يؤكد هذا الاهتمام ، إذ أفاض بالاشادة بهم وبمواقفهم وتشددهم بتطبيق الشريعة الاسلامية ، كالذي ذكره عن اصرار الفقيه عبد الرحمن بن اسماعيل (٦٥٤ هـ) على صيام السلطان عمر الرسولي شهرين كفّارة جماع في نهار شهر رمضان قائلاً : « الفرض بالكفارة حسم مادة معاودة الذنب ، ولا تنحسم مادة معاودة الذنب في هذا الفعل من مولانا السلطان إلا بذلك[٦٧] . رافضاً ما أراده بعضهم من الجزاء بالاطعام أو الاعتاق . ويشكل إكثاره من رواية الرؤى والبشارات وكرامات الاولياء والصالحين مثالاً على هذا التوجه الذي ينساق أليه بحسّ المؤرخ والعاطفة الروحية التي تضع الاولياء في مقامات رفيعة ، حتى وإن أغرق بعض هذه الرؤى بالخيال والخرافة[٦٨] . ومن رواياته ذات التوجه الديني حديثه عما فعله جند المظفر سنة ٦٧٢ هـ في « بيت حنبص » إذ كسروا أوعية الخمور وأراقوه ، وقد تغنى الشاعر غازي بن المعمار بهذا الحدث منوهاً بفعل هؤلاء ، غامزاً الأشراف الذين يشربون الخمر خفية ويظهرون النسك للناس في الجهر[٦٩] :

ولما فتحنا « بيت حنبص » عنوةً
وجدنا به الادواج ملأى من الخمر
وعنـد أمير المـؤمنين عصابـةٌ
يقولون بالبيض الحسان وبالسُمرْ
فإن تكن الأشراف تشرب خفيةً
وتُظهر للناس التنسكَ في الجهر
وتأخذ من خلع العذار نصيبها
فـاني أميرُ المـؤمنين ولا أدري

وتتعدد رواياته عن الحج وكسوة الكعبة[٧٠] ، ووصفه لبعض المواسم[٧١] . كما كان يعنى بذكر المجالس التي تعقد لقراءة الكتب الدينية وختمها ، وحضور الاعيان والناس الآخرين ، محتفلين بمثل هذه المناسبات[٧٢] . ومن مظاهر الاهتمام الديني كثرة الربط والخانقاهات وبناؤها في اماكن متفرقة للعبادة وأداء الفروض والتعلّم ، إذ يُرتب فيها : إمام وشيخ ومؤذن وقيّم ومعلم لتعليم الايتام القرآن الكريم بعد أن يوقف عليهم وقف حسن[٧٣] . ويتصل بهذا السياق ذكره لاقامة مشايخ الصوفية « سماع المحيا » في الليلة العاشرة من شهر جمادى الاخرة[٧٤] ، وحديثه عن بعض من يتراقص من الصوفية في قرية « البهاقر » مستشهداً ببيتين شعريين لاحد الفقهاء في ذم ذلك[٧٥] . ويكثر عنده الحديث عن المتصوفة ونقل كلامهم وأدعيتهم والتعريف باسمهم والاشارة الى مجاهداتهم[٧٦] . وقد يخلط بين الرواية السياسية والدينية للاحاطة بالخبر كاملاً ، كما في حديثه عن استيلاء بعض الائمة والأمراء والاشراف على صنعاء سنة ٦٧٤ هـ ، وحين رقي الامام منبر مسجد صنعاء أذّن المؤذن في منارته « حيّ على خير العمل » خاتماً هذه الرواية ببيتين يصوران عدم رضا المصنّف عن هذا العمل[٧٧] .

ولو علموا عقبى الامور لقابلوا
أوائلها بالحزم واطّرحوا العُجب
ولكنه المقدور يلوي بذي الحجا
فيسلبـــه إن حمّ آراءه سلبا

وتعنى الرواية الاجتماعية بما يكشف عن الجانب الحضاري الذي صارت اليه البلاد في شتى المجالات . وهي تظهر مدى الاهتمام بالبناء وإقامة العمائر ذات الصلة الوثيقة بالنواحي التعليمية والدينية والحياة الاجتماعية . فالكتاب يشير الى بناء ما يقرب من مئتي مدرسة في المدن والقرى مثل : تعز وزبيد والجند وجبلة وغيرها ، وكانت هذه المدارس تخصص للقراءات أو للحديث النبوي أو الفقه . ويرتب في هذه المدارس ، مدرس وطلبة ومؤذن وإمام في أوقات الصلوات الخمس ، كما يخصص وقف لكفاية الجميع . وقد يُجعل إلى جانب هؤلاء معيد ومعلم وقيّم وشيخ ونقيب[٧٨] . وقد تبنى مدارس خاصة ببعض المذاهب[٧٩] . وربما أوقفت في بعض المدارس خزانة من الكتب النفيسة[٨٠] . وكما بنيت المدارس داخل اليمن فانها بنيت خارجه كالمدرسة المجاهدية في مكة المشرفة[٨١] . وقد اسهم في بناء هذه المدارس السلاطين والامراء وبعض سيدات القصر السلطاني الى جانب تنظيم شؤونها[٨٢] .

وكان الاهتمام واسعاً في مجال بناء المساجد على امتداد السلطنة اليمنية . وقد شاركت نساء القصر في هذا العمل الجليل

فضلاً عن سلاطين الدولة ورجالها . وكانوا يرتبون فيها إماماً ومؤذناً ومدرساً وقيماً ووقفاً يقوم بكفاية الجميع منهم واطعام الوافدين إليها . وقد يرتبون في المسجد مؤذنين وقيمين . وكانت هذه المساجد تسهم الى جانب واجباتها الدينية في إغناء العملية التعليمية إذ يجتمع الناس فيها لقراءة الكتب(٨٣) .

ومن الطريف أن نجد بعض الفقهاء يذم المدارس ويدعو الى ملازمة المساجد كلياً للثواب ؛(٨٤)

بع المدارس لو علمت بدارس
يغلو وأخسرُ صفقة للمشتري
دعها ولازم للمساجد دائماً
إن شئت تظفر بالثواب الاوفر

ومن هذا المنطلق بناء الربط والخانقاهات ، وقد مرت بنا الاشارة الى ذلك .

ويكثر الخزرجي الاشارة إلى بناء القصور ووصف عمارتها كالقصر المعقلي في ثعبات وآخر في صالة ، وقصر الشجرة في تعز وقصر عوهان في جبلة ، الى جانب التمثّل بالشعر الذي قاله الشعراء في وصف هذه القصور . فضلاً عن الحديث عن بناء الاسوار وعمارة أبوابها وخنادقها وزخرفة الشوارع وإقامة الحصون ، كالذي عرف عن السلطان المجاهد من عناية بالبساتين والمساكن العجيبة والقصور الغريبة(٨٥) ..

الرواية الادبية

كتاب « العقود اللؤلؤية » رافد ثقافي ثري الاخبار ، بل هو من أوفر المصادر مادة تاريخية وأدبية في عصر يعد من أزهى العصور اليمنية ، من حيث الوحدة السياسية والبناء الاجتماعي والحركة الثقافية الواسعة . ووقفة متانية عند هذا الكتاب تكشف عن مدى حاجة الدارس الادبي خاصة ، لمثل هذا النمط من الكتب التي يواكب فيها النصُّ الادبي الخبرَ التاريخي ويلتصق به ، يوضحه ويُغنيه . وهذا ما تجده في الكثير من الكتب التاريخية التي اختط لها أصحابها هذا النهج المعرفي العام كالطبري والمسعودي وابن الاثير ، وكذلك كان الخزرجي يسرد أخباره ثم يتبعها في أكثر الحالات بالنص الادبي المناسب . وقد وجدنا في كتابه هذا مادة شعرية واسعة في مختلف الاغراض : الحماسة والمديح والوصف والرثاء والهجاء والفخر ... ويقرب ما ذكره من أسماء الشعراء (٧٥) شاعراً يمنياً وغير يمني منهم السلطان والأمير والفقيه والوزير والكاتب ... وبلغ مجموع ما أنشده من الشعر (١٣٧٨) بيتاً ، منها (١٢٧٣) منسوبة لقائليها و(١٠٥) أبيات غير منسوبة ، وكثير من هذه لابي الطيب المتنبي . ويلاحظ أنه عرّف ببعض الشعراء وما يتصل بجانب من حياتهم والاشارة الى وجود دواوينهم كمحمد بن حمير والقاسم بن هيثمل والشيخ علوان بن عبد الله وعفيف الدين عبد الله بن جعفر(٨٦) ، والذي يستوقف الدارس ان الخزرجي لم يقف عند الكثير من الشعراء وقفته عند الفقهاء ومنهم الفقهاء الشعراء ، إذ كان يذكر تواريخ مواليدهم ووفياتهم وجانباً من حياتهم الاجتماعية والدينية والادبية(٨٧) . ولعله لم يشأ أن يتحول مؤلفه الى كتاب أدبي ، فالرجل أولًا وأخراً مؤرخ أخبار وسارد أحداث ، وعلى أية حال ، فان الكتاب يكشف عن مدى إحاطته بالجوانب الادبية للعصر الذي أرّخ له ، من حيث المادة الشعرية التي اثبتها وما ذكره من اسماء العشرات ممن قالوا الشعر ــ وهو منهم ــ . وقد أثبت لكثيرين قصائد طوالًا تتراوح أبياتها بين ٣١ ــ ٤١ ــ ٤٣ ــ ٤٥ ــ ٤٧ بيتاً .

وتقل عنده رواية النصوص النثرية قياساً بالنصوص الشعرية ، وما ذكره من النثر يتوزع بين كتاب تقليد ورسائل تهنئة وإعلان طاعة ومنشور سياسي ودعوة لتاييد موقف سياسي أو الرد عليه ، ومنها كتب أدعية ومبايعة ونصر . وهي بمجموعها تمثل الانموذج الذي صارت عليه الكتابات النثرية ، وما تميزت به من تكلّف للسجع ، وحرص على الموازنة بين الجمل أحياناً ، وترجيح هذه النصوص بالايات القرآنية والأبيات الشعرية التي تتناسب وسياق المعاني بياناً وتوكيداً . فضلاً عن نص نثري وصفي ينسب لحسان بن ثابت أو سجع كهان وذكر لبعض الامثال(٨٨) والرسائل الاخوانية .

ومما يتصل بهذا الجانب الادبي للكتاب ذكره لما يزيد على مئة وعشرين مصنّفاً في مختلف العلوم المعرفية : الدينية ، في الفقه والفرائض والتفسير والحديث . واللغوية والأدبية مما يتصل بالنحو والالفاظ والعروض والأدب بمعناه العام . والتاريخية ، في الاخبار والسير والانساب والقضاء والسياسة والادارة ، وفي العلوم الصرف كالحساب والجبر والمقابلة والفلك والطب والدواء والبيطرة ، فضلاً عن كتب في الموسيقى والطرب والالحان(٨٩) . وكان الانتهاء من تصنيف بعض الكتب يتخذ شكلاً احتفالياً يحمل المصنِّف الى مقام السلطان مرفوعاً بالطبلخانه مع صلة مجزية للمؤلف(٩٠) .

وهو بذلك يلقي الضوء على مبلغ ما وصل إليه النشاط الثقافي من حركة واتساع ، وما بذله العلماء والادباء والفقهاء في

اليمن ، من جهود أثرت التراث العربي ــ الاسلامي ، وحفظت له الكثير من هذا النتاج الفني المتنوع . ولان الكتاب مصدر أدبي جليل فقد رجع اليه العديد من الدارسين المحدثين المهتمين بتاريخ اليمن وأدبه ومنهم الدكتور شوقي ضيف[٩١] والدكتور يحيى حسان في كتابه الشعر اليمني في القرن التاسع ، ومحقق كتاب « نسمة السحر » فما أثبته الخزرجي من نصوص شعرية ونثرية ثروة قيمة في موضوعاتها وفي دلالاتها وأسماء الاعلام اللامعين من قائليها .

والذي تقدم يعني أن هذا الكتاب ذو مادة غزيرة قيمة تتوزع في اتجاهات مختلفة : سياسية واجتماعية ودينية واقتصادية وحضارية ، إلى جانب العناية بالاعلام المشهورين من ملوك وأمراء ووزراء وقضاة وفقهاء وشعراء وكتّاب ، فضلاً عن ذكر السيدات وما قدّمته من عطاء . وتجدر الاشارة هنا إلى أن الخزرجي حرص أشد الحرص على ضبط أسماء الاعلام وألقابهم وأسماء الامكنة كذلك ، تحرياً للدقة في تلفظها وليبعدَ الخطأ واللبس عن الدارس والقارىء ، وخاصة حين يتحمل اللفظ أكثر من قراءة ، كقوله مثلاً : اسمه زتن براء مفتوحة وتاء مثناة من فوقها وآخره نون وهو على وزن وثن مفتوح أوله وثانيه . ومثله : قرية عُقاقه بضم العين المهملة وألف بين قافين وآخر الاسم هاء[٩٢] ولعله حذا في ذلك حذو الجندي وابن خلكان . وقد حاول الخزرجي ــ ما استطاع ــ أن يختار من التاريخ عيون أخباره وجليل أحداثه وأن لا يكون حاطب ليل . واجتهد ما وسعه الاجتهاد في أن يتطابق العنوان مع المضمون . ولكنه على أية حال مؤرخ عزّ عليه أحياناً أن يهمل حتى الخبر الصغير البسيط الذي قد يلقي ضوءاً على قضية ما ، وهو في النهج التاليفي يحذو حذو الطبري الذي قال متّحدثاً عن سرده للاخبار : « إنّا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدّي إلينا »[٩٣] .

موقفه من الروايات :

الخزرجي مؤرّخ ــ كغيره من المؤرخين الذين سبقوه ــ يروي الخبر ويسرد الحدث جاهداً في توثيق ما يرويه عن تاريخ الدولة الرسولية ، وما وقع في عصرها من أحداث جسام خارجية وداخلية . وقد حرص الخزرجي على تاصيل الخبر عن قيام حكم بني رسول واثبات نسبهم الغساني اليمني في أخباره المنقولة وفي شعره هو وشعر الاخرين . والرجل في كثير من هذه الروايات ، راوية لا ناقد ممحّص ، فقد لا يقف عند الكثير من رواياته فيقول رأياً أو يبدي تعليقاً ، حتى تلك التي يبدو عليها الانتحال ومن ذلك إيراده القصيدة الميمية المنسوبة للملك الحارث الرائش الحميري ، وهي من الشعر التعليمي الذي يستعرض فيه قائلوه الاحداث التاريخية منظمة مسلسلة . فهذه القصيدة وصنعها قائلها ليظهر عراقة الملك الرسولي ، وأن الحارث هذا تنبّأ بهذا الملك ، متحدثاً عن مستقبل الزمان ومخبراً بما سيكون من الحوادث قبل وقوعها ، كما في قوله ــ بعد تسعة عشر بيتاً[٩٤] :

ويظهـــر رايـة المنصـور فيهم
على خـــاء إذا نطقـــوا ولام
ويملـــك بعـده رجـل نحيـل
على آبـــائـه أزكى السـلام

وإذ يوافق الخزرجي قائل هذا الشعر على تنبؤاته يقول مشيراً الى البيت الاول : « فكان كما قال من ظهور الملك المنصور واستقلاله في اليمن وتواتر ذريته من بعده إلى يومنا هذا ، وهو عمر بن رسول .... ويتساءل المرء ، هل كان حساب الجُمّل معروفاً منذ أيام الحارث قبل الاسلام ، وأن حرف الخاء قيمته ٦٠٠ وحرف اللام ٣٠ فيكون المجموع ٦٣٠ وهو التاريخ الذي تولى به المنصور الرسولي ملك اليمن؟ الخزرجي يعرف أن « التاريخ الشعري » الذي يعتمد على ترتيب الحروف الابجدية وما يقابلها من أرقام لضبط تاريخ مناسبة من المناسبات ، عرف متاخراً ــ أي في العصر الاسلامي . يقول الشيخ محمد حسين آل ياسين : « وعند ما شعر العرب بالحاجة الملحة الى الحساب ... بادروا باديء بدء الى إعطاء حروفهم الابجدية قيماً حسابية معينة ، فكانوا يرمزون الى الواحد بحرف الالف ، والى الاثنين بحرف الباء والى الثلاثة بحرف الجيم ــ وهكذا ، ويطلقوا على ذلك اسم « حساب الجمّل »[*] .

ولعل الخزرجي يعرف ان القصيدة قيلت متاخرة تاييداً للرسوليين واظهار حقهم التاريخي ضد خصومهم والخارجين عليهم ، وربما كان صاحب النص من شعراء السلطان المظفر الذي يعنيه الشاعر في البيت الثاني .

ولعل من مظاهر الشك عنده قوله آخر الخبر « والله أعلم » صحيح أن كثيراً من المؤرخين يختمون بعض اخبارهم بهذه الجملة ذات المغزى الديني ، ولكنها لا تخلو من دلالة خبرية كذلك . فالخزرجي يكررها بشكل خاص في خاتمة أخباره التي تحتمل الشك ، كقوله متحدثاً عن عمرو بن فريقياء : إنه كان يلبس كل يوم حلتين ثم يمزقهما آخر يومه يانف ان يعود فيهما ويكره ان يلبسهما غيره ، وعمّر عُمْراً طويلاً يقال : انه بلغ من العمر ثمانمئة

سنة والله أعلم[95] . أو حين يروى روايتين بينهما اختلاف[96] . وروايته عن أخ مزعوم للملك المجاهد ربّي مع الجن وحضر بعد أن انشق الجدار عنه لمساعدة المجاهد في حصاره وبعد حمايته للسلطان عاد الى موضعه الذي كان فيه . ولعل الخزرجي أدرك أثر الخيال في اصطناع هذا الخبر فعقب بـ « الله أعلم »[97] . وهو بمثل هذه الاخبار يقتفي أثر المؤرخين المتقدمين كالطبري الذي قال : « فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين ، مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه ، من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة ولا معنى في الحقيقة ، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا ، وانما أتي من قبل بعض ناقليه إلينا[98] . ونقرأ هذا الخبر الذي يتحدث فيه عن وفاة السلطان المظفر اذ يقول : « وكان ملكه ستاً واربعين سنة ، وهو الذي عناه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بقوله في ملحمة تخص أهل اليمن : « ثم يملك الملك المظفر فيسوسهم ثلاثين وسبعة عشر »[99] . ومؤرخنا لا يذكر مصدره الذي أخذ عنه قول الامام علي كرم الله وجهه ، ولا يتساءل : هل يمكن أن يصدر عن الامام مثل هذا القول المتنبيء ؟ وما هذه الملحمة التي أشار إليها ؟ وأخيراً فهو لا يعلق بشيء ولا يختم حتى بـ « الله أعلم » ، فالمظفر تولى السلطنة المدة المعروفة ، ولا يحتاج لمثل هذا القول ، ولكن الخزرجي ارتضى الرواية ، ولعله ممن يذهبون مذهب من يعتقدون أن لسيدنا علي مثل هذه الكرامات والقدرات التي لم يقل الامام نفسه بها . فلعل تقربه لآل رسول الله ﴿ ﷺ ﴾ وتصديقه لما نسب لعلي (ر) يقف وراء روايته لمثل هذه الاخبار دون تعليق .

ولكننا في روايات أخرى نقرأ للخزرجي أقوالاً أو تعليقات تنمّ عن موقف مصحح لبعض هذه الروايات أو مستدرك لما تتضمنه من أخبار ، من ذلك تعليقه على خبر نقله عن أبي الحسن حمزة الاصفهاني في ذكر فيه أن النابغة الذبياني امتدح عمرو بن المنذر الأصفر بشعره ، إذ قال بعد ذكر الخبر : « والذي يظهر لي أن النابغة لم يدرك عصر هذا المذكور ، فإن المصنِّف ــ الاصفهاني ــ رحمه الله ذكر النابغة في آخر الفصل ، وذكر أنه مدح الايهم بن جبلة ، وبين الايهم بن جبلة وعمرو ابن المنذر الاصفر على ما أثبته هو في التاريخ ما يزيد على ثلاثمئة سنة . ومعلوم أن النابغة كان قريباً من دولة الاسلام ، لأن حسان بن ثابت عاصره ووفدا معاً على النعمان بن المنذر اللخمي »[100] وهذا موقف مؤرخ يتحرى الدقة في الخبر ويصححه في ضوء المقارنة بين ما يتوافر لديه من معلومات تاريخية . ومثل هذا تعليقه على خبر أورده المظفر بن الجوزي في كتابه « مرآة الجنان » حول تعداد ما أخذه الملك المسعود الايوبي معه من حمول عند سفره من اليمن ، إذ قال الخزرجي : « إن السامع لا يكاد يصدق بها ، ولهذا تركت ذكرها » وكذلك قوله في خبر لابن الجوزي أيضاً ذكر فيه قتل الملك المسعود لثمانمئة شريف من أولاد الحسنيين في اليمن : « قال علي بن الحسن الخزرجي : « هذا شيء لا يقبله العقل ولا يصدقه النقل ، ولا يوجد في اليمن كله من أعيان الاشراف الحسنيين مئة رجل ، ولاذكر هذا ولا ما يشابهه أحد من علماء التاريخ باليمن . والله أعلم »[101] . ومن هذا اللون تعليقه على خبر منسوب للاسنوي في طبقاته عن نسبة أحد العلماء لقلعة غير معروفة ، إذ قال : « وهذا غلط من الاسنوي والله أعلم »[102] وحين أنشد الوزيرُ الشاعر ابن دعّاس السلطانَ المظفر قصيدة نونية مطلعها :

ليس في قــدرة ولا إمكـــان
نيـل ما نلت يـا مليك الـزمـان
هاك شعراً منظماً لم أغر فيه
لا على مصحف ولا ديـــوان

قــال المصنف : « أول بيت منها لابن الحجاج البغدادي »[103] وفي هذا توثيق جميل لنص شعري . وحين تعرّض ابن دعّاس لكتّاب الدرج الذين قدم بهم العماد الاعمش من مصر بقوله :

أهـدى العمـاد نحـونـا
من مصـر كتّـابـاً غـرز
تبقـــروا بقـــائـــراً
لكنهــا على بقـــز

علّق الخزرجي : « ولم يكن كما قال وانما كانوا أهل فضل وفواضل »[104] . ويروي خبراً عمن ذكر أنه : رأى في كهف في جبل مذبح في ناحية صنعاء رجلاً ميتاً عليه سبعة أكفان وتحته نحو من أربعين ثوباً ، وعليه عمامة طويلة طولها خمسة وثلاثون ذراعاً .... وبعد وصفه للرجل ، قال الراوي : طول أصابع يديه ، كل واحدة نحو من شبر ، وطول ساقه ذراع ونصف ، وطول أصابع رجليه ، كل واحدة نحو من كف .... وينهي هذا المتحدث وصفه بقوله : أجمع أهل تلك الناحية على أنه علي بن أبي طالب رضي الله عنه » وبعده يعقّب المصنِّف : « أما قولهم أنه علي بن أبي طالب فغير صحيح لان علياً رضي الله عنه قتل في الكوفة وقبره فيها بلا خوف ، ولكنهم أخفوا قبره ، والغالب أن هذا أحد العلماء المتقدمين أو احد ملوك حمير والله سبحانه أعلم »[105] فالخزرجي ــ إذن ــ لا يرفض مثل هذه الاخبار وما تتضمنه من

وصف أسطوري لا صلة له برجل سوي الخلقة علياً كان أم ملكاً حميراً أم عالماً . ولكن هل هذا يعني ، أنه كان سيقبل الخبر لو كان قبر الامام علي في مكان الحدث ؟ على أية حال كان للمصنف تعليق على مثل هذه الرواية التي يبدو فيها شكّه واضحاً من خلال ختامه لها .

الخزرجي أديباً :

للخزرجي ديوان شعر لم يُعثر عليه . والذي أورده لنفسه في « العقوداللؤلؤية » وكرره في كتابه « العسجد المسبوك »[١٠٦] من قصائد شعرية ، كان أكثره في المديح والرثاء والوصف . والذي بين أيدينا من شعره يظهره شاعراً ناظماً لا يرقى الى رتبة عليّة في هذا الفن . يقول الحافظ ابن حجر : « واشتغل بالأدب ففاق أقرانه ومدح الافضل والأشرف ثم الناصر ، وكانوا يقترحون عليه الاشعار في المهمات فياتي بها على أحسن وجه ،وكانت طريقةُ شعره الانسجام والسهولة دون تُعاني المعاني التي لهج بها المتاخرون »[١٠٧] والنص المتقدم يكشف عن قدرته في ارتجال الشعر لما يتمتع به من بديهة سريعة ، وعن نوع الشعر الذي يقوله استجابة لرغبة الملوك وطلبهم . وأنه في شعره ينحو منحى الشعراء الفقهاء في الاداء السهل والبعد عن التغريب في الالفاظ والتصعيب في المعاني .

وكانت المناسبات الرسمية والاجتماعية والدينية تستثير شاعريته فينطلق معبراً عن مشاعره تجاه السلاطين مستغلاً تلك المواقف لتاكيد ولائه . من ذلك قصيدته التائية التي قالها سنة ٧٩٣ هـ في حفل ختان ــ تطهير ــ أولاد السلطان الاشرف بحضور عدد من الشعراء ، وقد بدأها بمطلع وصفي يتناغم وجو المناسبة إذ قال :[١٠٨] .

هبّ النسيم معنبــز النفحاتِ
وشدا الحمامُ بــاطيبِ النغماتِ
وتضوّع اليمن الخصيبُ باسـره
بالطيب من عدنٍ الى عــرفاتِ
وتــألق البرقُ الكليل فاشرقت
أنـوارُه في حندس الظلمـــاتِ
فرحاً بتطهير الملوك الاكـرمـيـ
ــن الاعظمين الجلّة السادات

ثم يتحول الى مدح الأولاد / الامراء وأبيهم السلطان وأجدادهم ، وذلك أمر لازم في مثل هذه الاحوال ، لان القصيدة ما كانت لتنظم لولا التقرب للسلطان واستغلال المناسبة لمدحه مدحاً تقليدي المعاني ، حرص الشاعر فيه أن لا ينسى معنى من معاني الاشادة والثناء:بأساً ومكارم ورجاحة عقل وسماحة يد .... وبعد تعداد هذه الصفات التي يمكن أن تقال في كل سلطان ، يعود الى وصف أجواء الفرح ومشاهد البهجة التي حاكتها كل مظاهر الحياة وأنساقها النابضة : جواً متلالئاً وأرضاً خضراء سندسية وروضاً خيوط نسيجه السندس والشقائق ، وشجراً يتمايل باغصانه التي علتها الطيور تشدو وتتغنى باليوم السعيد :

فالدوحُ ترقص في غلائل سندس
والجــوّ ينثـرُ لـؤلـؤ القطـــراتِ
والـروضُ معتمٌ النباتِ بنـرجس
وشقـــائقٍ تـزري بكـل نبـات
والطيرُ ذا شـادٍ وهـــذا زامر
فوق الغصون بافصح الاصوات

ثم يعود الى مديح السلطان الاشرف خاصة :

الاشرف الملك الذي عمّ الورى
بــالفضل والاحســان والحسنات

وهكذا قطّع الشاعر أوصال قصيدته ، وكانت الوحدة الموضوعية تتطلب أن يجمع أبيات الوصف معاً ، وكذلك الامر بالنسبة لابيات المديح المتقطعة ، وكان الشاعر أراد أن تكون لكل مديح وممدوح مقدمة وصفية خاصة . ثم يختتم قصيدته ختاماً سهلًا دعا فيه للممدوح بالبقاء السعيد والعز المديد . وتظل القصيدة نثرية النسيج بعيدة عن الجديد في المبنى والمعنى ، وقد مال فيها الشاعر الى التعداد والتسجيع الداخلي كما في قوله :

ذو فطنةٍ ينبيك بعد غد بمـا
سيكون بعد غد بما هــو آتِ
وسمــاحةٍ وفصاحـة وصباحـة
وشجـــاعة ورجـاحـة وإبـات
ومـــواردٍ مشهـورةٍ ومشاهـدٍ
مـــذكـورةٍ ومكــارم وصِـلات
وإبـانةٍ ورصــانة وشجـاعـةٍ
وبـراعـة وفـراسـة وثبـات

ولا يخلو هذا التعداد من تكلف وإثارة ملل ، فمثل هذه المعاني مكرورة لاحد لامثالها .

وكان الخزرجي واحداً من المدرسين المرتبين لاقراء القرآن بالقراءات السبع في الجامع المبارك الاشرفي في قرية المملاح ، فاعجبه ما رأى من اشتغال العلماء في هذا الجامع ، كل طائفة بما ندبت له ، فقال قصيدة وصف في مقدمة مناسبة إقبال الزمان واشراقه في ظل السلطان الاشرف الذي قال له ولابائه الملوك ألواناً من المحامد والاعمال الجليلة ، مشيداً بمحتدهم الغساني وكريم أفعالهم قائلاً :(١٠٦)

ضحك الزمان بواضح الثغر
مستبشراً بالعزّ والنصر
في دولة زادت زبيد بها
شرفاً على بغداد بل مصر
بالاشرف الملك الذي ذكرت
أيامه في سالف العصر
مَنْ لا شبيه ولا نظير له
واسأل ملوك العصر في العصر

ولم يفته أن يرجّح مقام الملوك الغسانيين على حاكمين آخرين هنا وهناك :

ملك كريم النبعتين معاً
من سرّغسان ومن فِهر
لا شيرويه ولابويه ولا
زنكي ولا زيري وسل تدري

ويطيل في تعداد ممل لاسماء العلماء العاملين معه في هذا الجامع مثنياً على زملائه ثناء حميداً وفيهم مقرىء القرآن وراوية الحديث والخطيب الواعظ ومعلم الصبيان وشيخ الخبر :

وترى أبا العباس محتبياً
يروي حديث الطاهر الطهر
والناشري كأنه قمر
متبلّج ومعيده القحري
ومعلم الصبيان ليس له
في البدو مثلٌ لا ولا الحضر

وحرصه على هذا التعداد قاده في بيتيه :

وعلي المطيّبُ وابنه معه
ناهيك من طردٍ ومن بحر
وعلي بن أحمد لا نظيرَ له
شيخُ شيوخ الجبر والجذر

الى عدم الوفاء بحركة الياء وتشديدها في لفظتي « علي » وهذا التعداد يقرب القصيدة من الشعر التعليمي ، فيأتي العرض جافاً والاسلوب نثري البناء والمفردات :

وعليٌ من كعلي لا أحد
يشبهه في المعروف والنكر
وكذاك داود ويوسفه
ناهيك من بحر ومن برُ
وكذا أبو الفتح الرضى عمرُ
وعليُّه ورسول ذو القدر

فمفردات مثل : كذاك ، ناهيك ، كذا : تثقل موسيقى الابيات وتربك شعرية النسيج . وقد اضطر الى تسكين الهاء الاولى في الفعل « يشبهه » في البيت الثاني والفعل مرفوع لا جازم له .

وينهي قصيدته — وهي من سبعة وأربعين بيتاً — نهاية دعائية يعلن فيها حبة وعبوديته للممدوح :

أنا عبدك القنّ المحبُ ولا
أنسى الذي أوليت من برّ

وليس هناك ما يدعو الى مثل هذا التصاغر ، وسبق له في القصيدة الثانية التي مرت بنا أن دعا نفسه بخادم السلطان . وآخر بيت في هذه القصيدة ينم عن تعاطي الخزرجي لشعر الالغاز الذي شاع في عصره ، إذ قال متكلفاً ، وهو يدعو للاشرف بطول العمر :

عمّرْ مضى من خمسه سدساً
سبع وثمن السبع من عشر

وهذه القصيدة لا تخلو من بعض الوقفات المضيئة ولا سيما قوله :

يامن تتوّج بالمفاخر لا
بالدرّ والياقوت والشذر
وحمى ثغور المسلمين معاً
بالبيض والعسّالة السمر
وبعزمة جَفنيّةٍ صدمت
بوميضها برقوقَ في مصر
والناس في أمن وفي دعة
والذيب يرعى الشاء في القفر
والعلم عزّ وعزّ حامله
فتراه بعد الطيّ في نشر

فهو يمدح السلطان بالمحامد النفسية ــ المعنوية التي تطمئن إليها نفوس الممدوحين ، لا بالقيم الشكلية الزائلة التي تعد من المعاني التي كانت تقال في مديح ملوك العجم . كما أثنى عليه بحماية المسلمين ومكامن الخطر في الثغور . وجميل منه توظيف الحيوان لبيان حياة الطمانينة التي يعيشها الناس ، إذ أمن الضعيف بطش القوي كما أمنت الشاة أن ترعى مع الذئب ، فضلًا عن طلبه للطباق لتقوية المعنى كما في لفظتي الطي والنشر ، وهو لون بديعي أفاد منه في نصوص أخرى .

وكان الرثاء ميداناً واسعاً في شعره ، يدلل فيه على وفائه للأسرة الرسولية وعمق صلته بها ، وهو يجمع الى هذا الرثاء مديحاً في هذه الاسرة ، وخاصة السلطان القادم الجديد . من ذلك رثاؤه للسلطان الافضل ، ويدخل الخزرجي إلى غايته بمطلع يتوافق والغرض الذي نظمت من أجله القصيدة ــ وهي ثلاثة وخمسين بيتاً . إذ يقول :(١١٠)

بكت الخـلافةُ والمقام الاعظمُ
والملك والـدين الحنيف القيّمُ
والشمس والقمر المنير كـلاهما
والأرض تبكي والسماء والانجم
والبيتُ والحـرم الشريف بمكة
والحِجرُ والحجر اليماني الاسحم
ومـدارس العلم الشريف وأهلـه
والمسلمـون فصيحُهم والاعجم

وصاحبنا بارع في هذا التعداد لكل المحزونين بهذا المصاب ، وهم الدنيا كلّها سماء وأرضاً ، وهو في كل ذلك مبالغ في هذا التابين ، وقد دار كثيراً ولكنه لم يقع على معنى جميل أو تصوير لعاطفة صادقة الجزع . ويتحول لتابين الفقيد منوهاً بشجاعته وحمايته للديار وإذلاله للملوك الاخرين ، مشيداً بآله الميامين ، محولًا جانباً من هذا الرثاء الى ما يقرب من الشعر التعليمي التاريخي من حيث تعداد أسماء الملوك والموازنة بينهم وبين رموز تاريخية مشهورة . متخذاً من أساليب الاستفهام والنداء والدعاء معارض للحديث عن فارس الكتائب والليث الهصور ، متحولًا لاعلاء مقام السلطان الجديد : الحازم الجواد الهزبر ، داعياً له بالسلامة والسعادة . وحين يبحث الدارس عن ألوان الصنعة الفنية كالخيال المصوّر والتشبيه المبدع والاستعارة الدقيقة ... فانه لا يظفر من ذلك بشيء ، فالشاعر يطيل في غير طائل ، إذ لا يستطيع فكاكاً من هذه المعاني الموروثة / المطروقة في الرثاء . وحسبنا فيه قوله في هذه القصيدة : « جعلتها سداداً من عوز »(١١١) .

وتموت زوجة السلطان الأشرف سنة ٧٩٦ هـ ، ويكون لموتها صدىً عميق ومؤثر في نفس الشاعر ووجدانه ، ويقول فيها مرثية رائقة ، ربما كانت من خير ما قاله الخزرجي ، ففيها اللوعة والأسى وصدق اللهجة والتابين وجودة العبارة . ومنذ البدء نقرأ الكلمة البايغة والحكمة الرصينة والتصبّر الجميل والايمان بالقدر حلوه ومرّه :(١١٢)

تعـزَّ ولا تجزعْ لنـائبـة الـدهـرِ
وقابل عظيم الرزء بالحمد والصبرِ
ولا تكثرث إن بان خطب فقد قضى
بما قد قضى في الخلق ذو الخلق والامر
بكل امريء كاسٌ من الموت مترعُ
ولكننا نسري الى أجل يسري
فحمداً على حلو القضاء ومرّه
وصبراً فإن الصبر من شيمة الحرّ
على ذا مضى الناس اجتماعٌ وفرقة
وكلٌ بذا يدري وإن كان لا يدري

ويعد هذا المطلع الخطابي الحِكمي يتحول للتذكير بجبر الزمان وما يجره على الامم ، مصوّراً عنف معاناته وعميق تاثره :

فيا ليلةً مـا كان أوحش بتّهـا
وقد كنت ذا بأسٍ شديد وذا صبرِ
فحسبيَ من يوم تقضّى وليلة
وحسبيَ من صدٌ صُددت ومن هجرِ
لقد طال ليلي بعد ليلتك التي
تمنّيتُ فيها أنها ليلة الحشر
فان كنتِ قد غُيبت عني فلم يغب
خيالُك عن عيني وذكرُك في فكري
وما أنتِ إلا الشطر مني حقيقة
وما شطر شيء بالغنيّ عن الشطر
وما راقني من بعد وجهك رائق
ولا شاقني ما في العيون من السحر
سلام على ذاك الجبين ورحمة
على شخصك المدفون في ذلك القبر

ويكاد يقترب هنا من حدّ الرثاء التي تتراءى فيه لقطات الجمال الانثوي في تحفظ واضح . ويثني عليها بالتقى والورع في

دعاء رقيق ، مختتماً قصيدته ــ كما بدأ ــ مسلماً بأمر الله الذي لا غالب له :

ولكنَّ أمــر الله للنــاس غــالب

وكلُّهمُ تحت الارادة والقهــــر

والبناء الفني والمعنوي متماسك الاركان ــ في هذه القصيدة ــ متلاحم التراكيب ومتسلسل الافكار ، بعيد عن التكلف والغلو المفرط في مثل هذا المقام . وقد أفاد من الطباق لتوضيح معانيه والمقابلة بين المضادات منها كما في ، تعزّ ولا تجزع ، حلو القضاء ومزه ، اجتماع وفرقة ، يدري ولا يدري . وهناك المقابلات المسجوعة في بدايات الاشطر ، وهو ما يكسب الابيات إيقاعاً ونغماً كما في قوله في البيت المتقدم وأوله : وما راقني ..... وفي البيت بعده :

ولم يلهني قرب الحبيب الذي دنا

ولم يشفني طيف الخيــال الذي يســري

ويكثر التكرار في مطالع القصيدة ، ليعلي الشاعر نبرة الاسى والتفجع ، وليعظم من خلالها ما يسوقه من معانٍ ليستمين به على تفصيل هذه المعاني ، وهذا ما نجده في تكرار (كم) الخبرية في أول الابيات من ٦ ــ ٩ ، وكانه يريد بها تكثيف التأسي والسلوان بكثرة الماضين من ملوك وغير ملوك على امتداد القرون ، وتكرار ما النافية في الابيات ٢٢ ــ ٢٧ ــ ٢٩ وتكرار لو ــ الامتناع لامتناع ــ ليتحدث عن استحالة افتداء الاعزاء من الاموات ، وقد يتخذ من أسلوب الدعاء مدخلًا لتنويع معانيه وطرائف عرضه ، كما في قوله :

ولا زال عفو الله يسقي ضريحها

بمثعنجرٍ يغدو ومسحنفرٍ يسري

وسقيــاً لايام تقضّت عهــودهــا

ورعياً لعصر قد تقضّى من العصر

وكان جديراً بالشاعر أن لا يثقل هذا الرثاء المتدفق بالفاظ ثقيلة الصوت مثل : مثعنجر ومسحنفر وهو يدعو بالسقيا بمطر منهمر غزير .

أما قصيدته المسماة بـ « الدامغة » التي مرت الاشارة إليها ، فربما كانت طويلة البناء والنَفَس ، حادة الاسلوب ، ذات منحى جدلي مع من يخالفونه في أمر من أمور الحياة ، وإلا لما سميت بهذا الاسم . وربما كانت القصيدة الدالية ٢/٢٣٢ التي ذكرها بعد حديثه عن دخول السلطان الاشرف زبيد في عسكره المنتصر ، من نظمه ، ولكنه ذكرها بعد عبارة يُكثر من ترددها (ولسان الحال ينشد) فالكثير من مفردات هذه القصيدة ومعانيها ونسيجها قريبة من معجمه الشعري وأفكاره وصياغاته وبخاصة ما ورد في الابيات ١٦ ــ ١٨ ــ ٢١ ــ ٢٣ ــ ٢٥ وربما أراد بها تعظيم السلطان المنتصر .

واذا كان الخزرجي الاديب كثير الرواية للنصوص الشعرية وغير الشعرية ليوثق حديثه التاريخي ويزيده شفافية ، فإن ذلك يعني مدى إفادة مشاعرنا من محفوظه التراثي من حيث ألوانه وموضوعاته ومعانيه ، وانعكاس ذلك على نسيجه الشعري . وكان القرآن الكريم من أبرز مرجعياته في شعره ونثره وقد تجلت مثل هذه الافادة في قوله راثياً السلطان الافضل ، وقد مرت بنا القصيدة :

حكم على كلّ البرية لم يكن

مستــاخــر فيهم ولا مستقــدم

فهو ينظر في هذا المعنى الى قوله تعالى في سورة النحل ، الآية ٦١ « .... فإذا جاء أجلهم لا يستاخــرون ساعة ولا يستقدمون » . ومن هذا اللون قوله في القصيدة نفسها :

وأطــاعة الـدهر العصيّ وأهله

طــوعاً وكرهاً كـافر أو مسلم

وهو تصرّف ذكي واضح نهل فيه من الاية ٨٣ في سورة آل عمران : « .... وله يسلم من في السموات والارض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون » . ويمدح السلطان الاشرف في تائيته التي تقدمت الاشارة إليها فيقول :

يـــا ربُّ مهّدْ للممهّــد ملكــه

وانصــره واحرســه من الافــات

وافتح له فتحــاً مبيناً واكفــه

صــرف الردى وتغيّر الحــالات

وقد لا نحتاج هنا لبيان مدى اقتباسه للآية الاولى في سورة الفتح : « إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً » وتوظيفه لمعنى الآية الثالثة فيها « وينصرك الله نصراً عزيزاً » في شطره الثاني في البيت الاول .

وكان النابغة الذبياني واحداً من الشعراء الذين استمان بشعرهم في عرضه التاريخي ، فليس غريباً أن يلتقط بعض معانيه ويكثّف صورته حين يمدح السلطان الاشرف :

يغزو فيغزو الطيرُ فوق جيوشه

والــوحشُ معْه تسير في الجنبات

وكان النابغة قد مدح عمرو بن الحارث الغساني فقال :

إذا ما غزوا بالجيش حلّق فوقهم
عصائبُ طيرٍ تهتدي بعصائب

وفي هذه القصيدة قال كذلك :

وأخوا الفضائل والفواضل والنهى
والمكرمات الغرّ والجفنات

وواضح أن شاعرنا يفيد من معجم حسان بن ثابت الشعري حين قال مفتخراً :

لنا الجفنات الغرّ يلمعن في الضحى
وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

ولان الشاعر أكثر في المديح ، فقد تكررت معانيه في هذه القصيدة أو تلك . فقوله في الأشرف :

ملك له تعنو القبائل طاعة
وله يدين الكسروي العاتي

سبق أن صاغه في رثاء السلطان الافضل قائلاً :

ملك له عنت الملوك وأذعنت
قهـراً ودان الاغلب المتغطّمُ

واعجابه بهذا المعنى ، أو نضوب جديده المعنوي كان وراء تكراره ثالثة في مدح الاشرف كذلك إذ قال :

هـذا الذي تعنو الملوك لـه
فاسأل ملوك العصر في العصر

وإذ يرثي السلطان الافضل يقول داعياً له بالسقيا :

في كـل يوم بكـرة وعشيّة
مـا غـرّدت ورقٌ ولاحت أنجم

يكرر الشطر الاول كاملاً في دعائه لدوام عزّ السلطان الأشرف :

في كـل يوم بكـرة وعشيـة
قبـل الصلاة وبعـد كل صـلاة

ومن هذا التكرار الذي صار علامة ضعف في العطاء المعنوي قوله في رثاء السلطان الأفضل :

وأخو الفضائل والفواضل والذي
في كلّ كفّ منه بحرٌ خضرمُ

إذ عاد إليه في مديح الأشرف (وقد مر بنا هذا البيت) فقال :

وأخو الفضائل والفواضل والنهى
والمكـرمات الغـرّ والجفنـات

وحديث التكرار في معانيه يقودنا للاشارة الى ان الخزرجي كرّر قوافيه في القصيدة الواحدة ، وإن جهد في الابتعاد الى حدّما عن السقوط في دائرة الايطاء ، ففي قصيدته الميمية التي وقفنا عندها كانت قافية البيت العاشر « الوابل ... المثجمُ » وفي البيت ٣٤ « الغيث الهتون المثجمُ » وفي البيت ٣٧ « لا ينجم » وقافية البيت ١٤ « مسلمُ » وكذلك هي في البيت ٥١ . وكرر قافية البيتين ٢ و ٣٨ ، والبيتين ٧ و ٢٩ . والبيتين ١٣ و ٥٠ وغيرها . ومثل هذا التكرار نجده في قصيدتي الرائيتين اللتين وقفنا عندهما .

وتقود الرغبة في تفصيل معانيه والمقابلة بينها إلى تكرار (ذا) اسم الاشارة و (ذا) بمعنى صاحب فمن الأولى قوله في قصيدة الرثاء الميمية :

والصعب ذو القرنين والهدّاد والـ
ـصبّـاح ذا يبكي وذا يترحم

ومن الثانية قوله في قصيدة الرثاء الرائية :

فيا ليلة مـا كان أوحش بتها
وقد كنت ذا باس شديد وذا صبر

ومثل هذا : البيت ٤٩ في القصيدة الرائية ، والبيّان ١٣ ــ ٢٤ في القصيدة التائية . وينظر البيت الاول ٢ / ١٧٢ ! ونذكر في هذا السياق كثرة تكراره لما ولا النافية ولا النافية للجنس مستعيناً بواو العطف ، تنظر أبياته في قصيدة الرثاء الميمية ١٦ ــ ٣٥ ــ ٣٦ ــ ٤٩ ــ ٥٠ ومدحته الرائية ٤ ــ ٧ ، ومرثيته الميمية البيتان ٢٣ ــ ٢٤ .

ولانه كاتب مؤرخ ، فقد شاعت في شعره مفردات نثرية كان يستكمل بها معانيه أو أوزان أبياته مثل : لا شك ، معاً ، قاطبة ، كلا ، كلهم ، جميعهم ، يقول في مرثيته الرائية : ٢٣ ــ ٢٤ .

ولا شك عندي ثم لا شك إنما
تنقلت من قصير منيف الى قصر

ويقول في قصيدة المديح الرائية :

وحمى ثغـور المسلمين معـاً
بـالبيض والعسّـالة السمـر

وتنظـر في هـذه القصيـدة الابيـات : ٦ ــ ٢٢ ــ ٢٣ ــ ٢٥ ــ ٢٦ ــ ٣٢ وميميته في الرثـاء البيت ٢

وقد تتهافت عنده الصورة الشعرية لسذاجة اللـون الاستعاري ، كما في رثائيته الميمية :

فتغيَّـــرَ القمرُ المنيـر لفقده

والشمس كـاسفة تنوح وتلطم

فالفعلان الأخيران لا يرسمان الا منظراً مشوشاً لا يسر الناظرين .

وقد تقدم القول في اكثاره من الطباق وطلبه للجناس الناقص لتقوية المعنى وتزيين الشكل :

يـاأيها الجبـل الاشم المرتقى

يا أيها البحر الخضم الخضرم

وقد يغالي في المديح معرفاً بالممدوح وآبائه وأجداده فيما يسمى عند البديعين بـ « الاطراد » كقوله :

الأشرفُ بن الافضل بن علي بن دا

ود بن يـوسف قسور الغـابات

وللخزرجي مجموع رسائل مفقود ، إذ كان ناظماً ناثراً ، وهذا يعني أن الدارس لا يستطيع أن يكوّن صورة واضحة عنه ناثراً . ولكن الذي بين أيدينا من أقواله يمكننا من رصد نثره وإبراز ما يتميز به من قيم تعبيرية جيدة تحسبُ له ، أو ضعيفة مرتبكة تحسب عليه . وكان السجع أسلوباً أثيراً لديه ، وهو كثير في كلامه الوصفي للاعلام والأحداث ، وفي ما يِنْمقه من ديباجة . من ذلك قوله في أول رسالة إخوانية :[113] « أمتع الله بطلعتك المضيّة وشمائلك المرضية ، وحُزت خيراً ووفيت شرّاً ... » وهي طويلة من هذا النمط . وله يصف تقليد السلطان المظفر لابنه الملك الأشرف ولاية المهد فيقول : « اختصه والده بالملك المقيم ، ومكّنه أزمّة الأمر القويم وخرج التقليد الكريم ، بمشهد من الملوك العظماء والجحاجح الكرماء ، ناطقاً بفصل الخطاب وإنارة التحقيق والصواب ، بما يربى على الروض غبُّ السحاب ، ويزري بفريد الدرّ في عنق الكعاب ، قائلاً بعد الحمد والثناء ، والصلاة على رسول الله ﴿ ﷺ ﴾ والدعاء »[114] .

وقد نحا بالجملة نحو الإطالة ، والتزم السجعة الواحدة في ثلاث جمل أو أربع ليبرز الايقاع الصوتي في الاذان ، ويستكمل الصورة الوصفية لكل معنىً من معانيه . وقد تقصر عنده الجملة حين يركزُ وصفه للاشخاص دون التزام ثابت للسجع كما في قوله : « وكان الأمير شمس الدين عاقلاً كاملاً ، صالحاً تقيّاً ، له رأي ورئاسة ونظر وسياسة »[115] والمقطعان الاخيران يجمعان بين التوازن والسجع . وقد يجتمع في صياغاته سجع غير ملتزم ، وبناء متناغم المخارج ، كما في وصفه السلطان عمر : « وكان السلطان نور الدين ملكاً كريماً ، حاذقاً حليماً ، حسن السياسة ، سريع النهضة عند الحادثة ، وكان شريف النفس عالي الهمة ، فارساً شجاعاً مقداماً مِحراباً »[116] ونتبين سلاسة العبارة هذه ، ووضوح المعنى في نص آخر يصف فيه السلطان عمر وما تميّز به « من حسن السيرة وصلاح السريرة ومحبة الناس له ، وانقيادهم لأمره طوعاً وكرهاً ، وكان مع هذا حازماً عـازماً سـريع النهضة ... »[117] وواضح أن الخزرجي يكرر مفرداته وطريقة بناء جملته قصيرة متناغمة ، ولكنه يحرص على الاداء السهل وتخيّر المبـاني والمعاني على الـرغم من أن المؤرخين ـ وهـو أحدهم ـ تنصبّ عنايتهم على الناحية الموضوعية في الدرجة الاولى . وفي هذا النص ما يدلنا على أن القرآن الكريم كان من أبرز مناهله ومرجعياته مفيداً من مفرداته وصياغاته لتعميق معانيه وتوضيحها ، وذلك ما تشير اليه جملته « وانقيادهم لامره طوعاً وكرهاً » فهو فيها ليس بعيداً عن قوله تعالى في الآية ٨٣ من سورة آل عمران « ... وله أسلم من في السموات والارض طوعاً وكرهاً ... » . ونجد مثل هذه الافادة من النصوص القرآنية في قوله يصف رجلاً : « كان يسرق بالليل وينهب بالنهار ويأخذ كل سفينة غصباً »[118] فهو يقتبس من قوله تعالى في سورة الكهف ، الآية ٧٩ : « وكان وراءهم ملك يأخذ كلّ سفينة غصباً » وهكذا يتداخل القول القرآني في صياغات الخزرجي النثرية دونما انقطاع أو تعثر ، وفي هذا مؤشر على توافق حسه الديني وبنائه المعنوي ، انظر إلى قوله يصف قوماً نتنت روائحهم : « فهلك كثير منهم في مدة يسيرة وألقى الله بيَنهم العداوة والبغضاء »[119] وآخر النص توظيف معنوي لما ورد في الآية ٦٤ من سورة المائدة « ... وألقينا بينهم العداوة والبغضاء ... » وقريب من هذه الخصيصة الأسلوبية حرصه على التنسيق المعنوي والتداخل البنائي بين عبارته النثرية وشواهده الشعرية ، في صياغة متلاحمة قلما يشعر القارىء بانفصام بين هذين الضربين من الكلام ، من ذلك وصفه مسير السلطان المجاهد محاطاً بعسكره من تعز الى زبيد : « ودخل زبيد يوم الثلاثاء حادي عشر شوال .... »[120] .

في جحفل ستر العيون غباره

فكـأنمـا تبصـرن بـالاذان

ومثل هذا حديثه عن أحد القادة :[121] « وطلب لهم من السلطان ذمة فأنمّ عليهم ذمة شاملة :

وحلّفهم بـــردُ البيض عنهم

وهـامتهم لهم معـه معـار

وتتضح لنا إفادته من التراث القديم في حديثه عن تولي السلطان المؤيد للحكم :[122] « فاتفقت آراء .... أن يسوس الدولة

نعمانها ، وأن يتسلم الحكمة لقمانها ... » وهو إنما يشير الى النعمان ملك الحيرة والى لقمان الحكيم ، في صياغة تعمق المعنى وتكثّف الثناء والبناء من خلال الذكر الحميد لمثل هذه الرموز التاريخية حكماً وحكمة .

ولكن رتابة السرد وتشابه الاحداث وما يعتور المؤرّخ أحياناً من تعب ونصب ، أدت إلى عدم التريث في اختيار المفردات أحياناً ، أو تنسيق الكلام التنسيق المطلوب . ولذلك دخل بعض كتاباته شيء من ارتباك وضعف في بناء الجملة كما في قوله : « فلما صار في مكة نقل الشريف عجلان أن السلطان يريد يولي أخاه البلاد ، ويترك معه عسكراً من اليمن ، وأنه يريد يلزمك ويسير بك ..... »[١٢٣] ولو أعاد النظر في مثل هذه الصياغة لوجد أن الأولى أن يقول : يريد أن يولي ... ويريد أن يلزمك ... وحذف أن في مثل هذه الحالات يقرّب البناء من الاستعمال العامي ، فضلاً عن استعماله للفعل « لزم » بمعنى « قبض عليه » وهو استعمال قد لا يؤيده المعجم العربي . وقد يقترب من التعبير الشعبي كما في قوله : وكان الأمير ... متغيّر الخاطر من عمّه .... »[١٢٤] وقوله : « فامر السلطان على الوزير أن يامر كتّاب الدرج ... »[١٢٥] وحرف الجر « على » زائد ، لان الفعل أمر يتعدى بنفسه ، قال دريد بن الصمة :[١٢٦] .

أمــرتهم أمري بمنعــرج اللــوى

فلم يستبينوا النصح الاضحى الغد

وانظر لهذه الاستعمالات الوصفية : انحلّت عزائمهم[١٢٧] « فتشوّش السلطان »[١٢٨] « وتزوج السلطان على كريمته »[١٢٩] وعلى هنا زائدة .. « استقر السلطان في بلاده ولبست البلاد وعملت الفرحات سبعة أيام »[١٣٠] وربما كانت جملة « لبست البلاد » بحاجة الى فضله تكمل سياق المعنى . « واحتز من رؤوس القتلى في هذه الوقعة أكثر من مئة رأس ، وطلعت الرؤوس الى تعز »[١٣١] والجملة الاخيرة يتعثر معناها بانكسار لفظها ، ولعله يريد أرسلت أو بعثت وما يشبه هذا . ويوهم هذا الارتباك في صياغة الجمل بوقوع أخطاء ، كما في قوله : « ونهبوا قرية عقاقة وسبوا حريمها وباعوهم كما يباع الرقيق » وربما كان الاولى أن يقول « باعوهن »[١٣٢] ومن هذا قوله : « وكان جملة من قتل من أهل تعز نحو من اثني عشر رجلاً »[١٣٣] .

ونصب لفظه « نحو » هو الاصح خبراً لكان . وقريب من هذا : أغار الى بدل على ، ومُرجلين بدل راجلين ... وكثرت في لغته الكتابية المفردات الاعجمية التي شاع استعمالها في عصره سواء ما يتصل منها بالالقاب والشؤون الرسمية والادارية أم الشؤون الاجتماعية من ذلك : الطواشي ، الادر ، الطبر دارية ، المدارية ، الشربخانات ، الحاسكية ، الاصباهية ....[١٣٤] ومن أسماء العطور والاطعمة والصحون ، القرطم ، الشند . الزناجين ، السوبيا ، الفُقاع ، الكاذي والقاليد وغيرها ..[١٣٥] .

وكثيراً ما يعبّر الخزرجي عن تنوقه لقصائد أو مقطوعات الشعراء الذين يروي لهم أو يستشهد بشعرهم ، ويكشف عن استحسانه لها ، باقوال تتقارب بدلالاتها ومفرداتها ، وهو في هذا يصدر عن ذوق أديب مؤرّخ ، لم تتاصل فيه القدرة على بيان أوجه الفن في النص ، ولعله لم يكن يمتلك الادوات المعيارية التي تمكنه من ذلك ، فضلاً عن أن الميدان ميدان تاريخ وليس مجال أدب ونقد . ولذلك كان يصدر روايته للنصوص الشعرية أو يختمها بعبارات عامة الدلالة ومفردات تتكرر هنا وهناك ، وذلك يرجع كذلك الى كثرة الشعراء الذين روى لهم في ثنايا كتابه ، ولتقارب المستويات الشعرية بشكل عام وخاصة الشعراء الفقهاء منهم . ومن أقواله في هذا السياق : « قصيدة بديعة الاستهلال » قصيدة بديعة الاستهلال بارزة (نادرة) في قالب الكمال » وقد يعقب على القصيدة كلها قائلاً : « قصيدة بديعة » « قصيرة طنانة من مختارات شعره » قصيدة طنانة من عيون شعره » وربما قال : « له شعر مستحسن ، كان يقول (الشاعر) شعراً حسناً على طريقة الفقهاء »[١٣٦] وقد سبقه الى هذا اللون من التعقيب النقدي بمثل هذه الصياغات الموجزة الدالة كثير من العلماء المؤلفين ومنهم أبو منصور الثعالبي في اليتيمة ولباب الاداب وغرر البلاغة . ويطيل الخزرجي الوقوف عند الشعراء الكبار فيقول : « شعره كثير وديوانه مجلد ضخم والغالب عليه الجزالة » وقد يقوّم الشاعر قائلاً : « كان ابن حمير شاعراً فصيحاً جيد القريحة حسن البديهة » أو « كان شاعراً فصيحاً كريماً » « كان يغلب عليه فن الادب ويقول شعراً حسناً » « كان شاعراً فصيحاً بليغاً مدّاحاً هجّاء حسن السبك جيــد المعاني من أفصح الشعراء المجوّدين »[١٣٧] ولعل هذا النص من أو في نصوصه النقدية شمولاً ، قاله في الاديب البارع منصور بن عيسى بن سحبان (٧٢٥) . فقد تناول فيه الإجادة في الموضوعات الشعرية وبناء القصيدة وفصاحة المفردات واستحسان الافكار والمعاني .

وقد يعلق تعليقاً تحميدياً على بعض النصوص النثرية ، كان يقول في نص تقليد بانه : « فصل الخطاب ... يزري بفريد الدر في عنق الكعاب » ويمتدح أحد الاعلام بانه « خطيباً مصقعاً »[١٣٨] .

وصفوة القول : أن المصنّف حلّى جيد رواياته الشعرية والنثرية بتعليقات لا تخلو من تعميم ، ولكنها تكشف عن مؤرخ

متائب متنوق » أوقفه منهجه التاريخي عند الحدود التي توحي بانه حاول تاديب الرواية التاريخية ، وليس ذلك بغريب على من « اشتغل بالادب ولهج بالتاريخ »[٣٦] .

تصحيح الكتاب واخراجه

من يقرأ مقدمة المصحح الاول الشيخ محمد بسيوني عسل ــ رحمه الله ــ يجد ما ياتي :

ــ أن الطبعة الأولى للكتاب اعتمدت على نسخة فوتوغرافية للنسخة الأصلية الوحيدة التي كانت ملك معتمد خان عالمكبري ، ثم انتقلت منه الى قمر الدين خان أحد وزراء محمد شاه ثم أهداها ورن هيستجز الى دار كتب ديوان الهند بلندن . وأن المصحح لم يقابل النسخة الأصلية بالمصادر القديمة لانه ــ كما يقول ــ لم يحصل على مثل هذه المصادر .

ــ أنه طبع الممحو والخفي كما هو في النسخة الأصلية .

ــ أنه أقام أوزان عدد عظيم من الأبيات الشعرية المكسورة مع المحافظة على المعنى الذي قصد إليه القائل قدر الاستطاعة .

ــ أن المصحح وضع فهارس علمية قيمة للاعلام والاماكن والقبائل والفرق والحيوانات والايام وللكتب والقصائد التي وردت في الكتاب ، وهو عمل طيّب غني الفائدة .

أما مقدمة المصحح الثاني الاستاذ محمد علي الاكوع ــ رحمه الله ــ الذي صدرت طبعته الثانية للكتاب سنة ١٩٨٣ م فنجد فيها :

ـ الإشارة الى ما ذكره المصحح الاول عن الصعوبات التي واجهها في طبع الكتاب بما فيه من بياض وفراغ ، (ومن تصحيف وتحريف في الأصل) والعبارة ما بين القوسين لم يقلها المصحح الاول في مقدمته ، وانما ذكر أنه طبع الخفي كما هو ، وقد لا يكون في هذا الخفي تصحيف أو تحريف .

ــ الاعتذار للمصحح الاول لقلة معلوماته وفقدانه المراجع وأنه ليس بخبير عن رجالات بل الكتاب (اليمن) وأسماء بقاعه وبلدانه .

ــ أن ما قامت بنشره وطبعه وزارة الاعلام من كتب التراث اليمني كان على علاته ، وبالتصوير على عواهنه بدون مراجعة على أصوله وتوثيقها وتصحيح ذلك ، ولا بوضع مقدمة ولا ترجمة للمؤلف (المقدمة ٥ ــ ٧) .

ــ أن مركز الدراسات والبحوث اليمني التمس منه مراجعة وتصحيح الكتاب (العقود اللؤلؤية) ليعود طبعه من جديد وبثوب قشيب .

ــ أن المصحح ــ كما يقول ــ قام بتصحيح الكتاب بجزأيه من فاتحته الى خاتمته ، كلمة كلمة وسطراً سطراً وصفحة صفحة ، وجلى عنه المبهمات وغطى ما فيه من هفوات ، وملا ما فيه من فراغ ، وبعثه حياً سوياً ، وقدمه للقاريء كاسمه منظّماً منضّداً ، منقحاً مهذباً في سمطه الدري الوضّاء .

ونحن نحمد للمصحح الثاني الاول جهده الرائد في بعث هذا الكتاب مبكراً عام ١٩١١ م ، ونثني عاطر الثناء لما قدمه المصحح الثاني للتراث اليمني من خدمة جليلة في مجموع في مجموع ما أصدره من كتب هذا التراث ، ومنها كتاب « العقود » الذي سعى لاخراجه بحلّة جديدة ، فقابل مادته ببعض المصادر وأشار ببعض الاشارات النافعة في حواشيه .

ملاحظات واستدراكات على التصحيح : وهي كثيرة ومتنوعة أخلّت بالكتاب ، ولعلها تنفع من يتصدى لهذا الكتاب مرة ثالثة محققاً تحقيقاً علمياً كاملاً ، وليس تصحيحاً فحسب ، كما ثبّت على غلاف الطبعة الثانية ، وأبرزها :

ــ جاءت ترجمة المؤلف الخزرجي موجزة غاية الايجاز (بحدود صفحتين) وهذا الايجاز لا يقدم صورة واضحة عن حياة المؤلف كما يجب أن يعرفها القاريء . في حين نجد المصحح يفصّل في تراجمه للاخرين ومنهم بهاء الدين الجندي حين حقق الاكوع كتابه « السلوك » وابن الديبع حين حقق كتابه « قرة العيون » كذلك . علماً أن الطبعة الاولى خلت من التعريف بالمصنّف .

ــ لم يفصل القول في كتب الخزرجي كافة ، وخاصة ما ذكره عنها صاحب الضوء اللامع والزركلي في « أعلامه » ومقدمة وزارة الإعلام والثقافة لكتاب « العسجد المسبوك » الذي يحتفظ المصحح بصور له في خزانته الخاصة . (المقدمة ١/ ١٠) .

ــ لم يعرّف باسماء الاعلام والاماكن التعريف المطلوب الوافي ، فما ذكره في حواشي الجزأين لا يزيد عن عشرة تعريفات ، وفي الكتاب الكثير الكثير مما هو بحاجة لمثل هذا التعريف . وهو بذلك لم يتلاف النقص الذي أخذه على الاصدارات الاخرى لوزارة الاعلام اليمنية .

ــ إن مقابلة « العقود » بالمصادر اليمنية الاخرى ليست وافية ، حقاً أنه رجع الى « العسجد المسبوك » في حدود سبعين مرة ، ولكن الذي تركه دون مقابلة أكثر بكثير مما هو بحاجة لمثل هذه المقابلة ، وخاصة المواضع التي تساعد على إخراج الكتاب منضداً منقحاً وضاء كما أشار الى ذلك في مقدمته . ولديّ جدول يضم ما لايقل عن أربعين نصاً شعرياً ــ فقط ــ بين قصائد

ومقطوعات مروية في المسجد كانت بحاجة الى مقابلة لما بينها من اختلافات ولما تضفيه من تصحيح لبعض الروايات في العقود مما يحتاج الى تعديل وتوضيح ولما بينهما من زيادة ونقصان ، وهذا يعني إن اشارته في الحواشي عن المقابلة بالمسجد ناقصة جداً (١٤٠).

ـ ان بعض هذه المقابلات لم تتسم بالدقة ، من ذلك أنه يصحح ما يبدو أنه غير واضح أو ملائم للمعنى عازياً ذلك في حواشيه إليه . وإذا كان حقاً قد قابل بالمسجد فان تلك المقابلة تغنيه عن الاجتهاد . من ذلك تصحيحه في حاشية ١/٤٤ ، فاللفظة المصححة موجودة في المسجد ١٨٦ . وكذلك ما أورده في الحاشيتين ١ ـ ٣ من ١/٤٥ فإن الرواية الصحيحة في المسجد ١٨٨ . وأما تصحيحه في الحاشية ٣ في الصفحة نفسها فخطأ ، وصوابه في المسجد « حشوناها » بدل « غشتنا » . وفي ١/٢٥١ السطر الثالث من الاخير لفظة « بارزة » وهي في المسجد ٢٨١ « نادرة » وهذه أليق معنى . وجاء تصحيحه في حاشية ١/٩٥ نقلًا عن المسجد ٢١٨ غير دقيق ، فالصحيح « فساروا بهم من يومهم ذلك فلما .... » ويقابل في ١/١٠٧ بالمسجد ٢٢٥ مقابلة ناقصة وغير دقيقة . فالبيت في العقود :

صعدت بنا أعمال صعدة صنّحاً

تبارى كأمثال الشموس تهتّما

وهو في المسجد :

صعدن بنا أعمال صعدة سخّناً

تبارى كأمثال السراحين سهّما

فضلًا عن قوله في الحاشية : في المسجد كمثل ، وهي كأمثال كما تقدم البيت .

وفي ١/١٢٤ يروي البيت هكذا :

مقـام يحقّ لـذي الكبـريـا

ء أن يـذلـه بـالخضـوع

وفي الحاشية : « هكذا في الاصل وهو مختل الوزن . ولم يكن موجوداً في المسجد » وحين نعود الى المسجد ٢٢٨ نجد البيت وروايته هكذا ، دون اختلال (وهو من بحر المتقارب) .

وقـام يحقّ لـذي الكبـريـاء

بـه أن يـذلـه بـالخضـوع

فهل رجع المصحح الى المسجد حقاً ؟ والذي لم يكن موجوداً في المسجد هو البيت الثاني من هذه الابيات وهي ثلاثة .

وفي ١/٥٣ يؤرّخ تسلم السلطان نور الدين عمر حصن التعكر بسنة ٦٣٧ هـ . والصحيح ٦٢٧ هـ . وتسلم حصن حبّ سنة ٦٣٨ هـ . والصحيح ٦٢٨ هـ ، وذلك ما يقتضيه سياق الاحداث الحولي ، ولو عاد الى المسجد ١٩٣ لوجد التاريخين الصحيحين . وحين يقابل في ١/٢٣٨ مع المسجد ٢٧٥ (مع ملاحظة أنه لا يذكر صفحات المسجد حين يرجع اليه في كل مرة) تكون المقابلة ناقصة . من ذلك قول الخليفة في السطر السابع من الاخير : « لقد خليت بيننا وبين الانتفاع به يا شيطان » فهو لا يشير الى لفظة « شيطان » الساقطة ، ولا يذكر أن لفظة « خليت » هي في المسجد « جلْت » وهي اللفظة الموافقة للمعنى في هذا الموضع . وفي الحاشية ، في الصفحة نفسها « من شعراء » وليس « من شعر » وفي ٢/٦٦ حاشية يقول : في المسجد « سار إلى » ولكنها في المسجد ٢٧٩ « صار » وفي ١/٢٥٨ ثلاثة ابيات شعرية غير منسوبة ولو رجع الى المسجد ٣٣٤ لوجدها منسوبة للمتنبي ، وهي كذلك في ديوانه . وأكاد أقول : ان المقابلة بالمسجد تقوم على الانتقاء وإسقاط الغرض العلمي في التصحيح أو التحقيق ، والظهور بمظهر المصحح أو المحقق الدقيق ، وإلا فاننا لو دققنا في نص من النصوص التي قابلها ـ على سبيل المثال ـ وهو قصيدة تتألف من سبعة وأربعين بيتاً ١/١٠٩ لوجدناه يقف عند البيت ١٨ وهو :

وقوميَ يوم الروع حسنٌ وفي الندى

بحور وحلماً كالجبال ركود

ثم يقول في الحاشية : « في العقد حين وهو أصوب » . وهذا فهم خاطىء للمعنى . ورواية العقود والمسجد واحدة وهي الاصوب ، فالشعراء حين يفخرون بصولة القبيلة أو القوم يعبّرون عن القوم الغاضبين بلفظة « الجنّ » والشاعر الفرزدق قال (١٤١) .

أحلامنا تزن الجبال رزانة

وتخالنا جنّاً إذا ما نجهل

ويقابل بالمسجد ٢٢٩ في إشارته الى لفظة « بعونك » في البيت ٤٤ في القصيدة نفسها ، قائلًا : في المسجد بعزّك . ولكن المقابلة الكاملة للقصيدة كانت تقتضي منه الاشارة الى اختلافات أخرى كثيرة في الأبيات .

١ ـ ٢ ـ ٤ ـ ١١ ـ ١٣ ـ ١٦ ـ

١٧ ـ ١٨ (المذكور)

ـ ١٩ ـ ٢٠ ـ ٢١ ـ ٢٢ ـ ٢٥ ـ

٢٧ ـ ٢٩ ـ ٣٢ ـ ٣٣ ـ ٤٠ ـ ٤١ ـ ٤٤ (وهو البيت الوحيد الذي قابله) فهذا أنموذج يظهر سطحية المقابلة وعدم جديتها . وكان من المفروض أن تكون المقابلة مع المسجد في هذه الفصول شاملة ، لان ما فيه يكاد أن يكون بالنسبة لأي مصحح نسخة ثانية للعقود ــ وإن كان ما في العقود أكثر تفصيلًا في غالب الاحيان ــ في حين أننا نجد مجموع مقابلاته في حدود ثلاثين مرة ، وهي بمجموعها موجزة ناقصة .

وعدم الدقة هذه ، نتبين لها أمثلة في كتاب « قرة العيون » الذي حققه المرحوم الاكوع ، مما له صلة بكتاب « العقود » فهو يعلق على قصيدة دالية طويلة في القرة ١١٥/٢ تعليقات كثيرة ، لا نجدها على القصيدة ذاتها في العقود ٢٣٢/٢ ومنها : إشارته إلى الايطاء في البيت الخامس إذ يقول في الحاشية ٣ في الفقرة : « ثم وجدت في العقود اللؤلؤية قبل هذا البيت أبياتاً ، وحينئذٍ فلا إيطاء » وهذا القول ليس رفيقاً ، فما بين هذا البيت والبيت المتقدم عليه ذي القافية المتشابهة وهي « البلاد » خمسة أبيات فقط ، وهذا العدد من الابيات لا يكفي للقول « بلا إيطاء » فضلًا عن أن قوله يوحي بان العدد أكثر من خمسة أبيات ! وفي مثال آخر يشير المصحح في القرة ٣٣/٢ حاشية ٣ الى أنه صحح لفظة في نص من نصوص العقود ، وحين نرجع إلى النص في العقود ١١٥/١ نجد اللفظة مصححة كما ذكر ولكن دون الإشارة الى ذلك في الحاشية ! وكان جديراً به أن يذكر هذا في كتاب العقود وهو أمر لازم ، وهذا يقودنا الى تساؤل : هل كان المصحح يجيز لنفسه التصحيح في مواضع أخرى دون الاشارة كذلك ؟ وآخر ما نقف عنده في هذا المجال النص الذي ذكره المؤلف عن دخول رسول ملك الهند على السلطان عمر الرسولي ٨١/١ : « فلما خرج قال لترجمانه .... ثم قال قولًا بالعجمي فوجده : يأخذها ذو شامة من بعده ــ ويلتقيها مسعد من بعده ــ لا تنقضي من نسله وولده . وبعد مقابلة المصحح لهذا النص بالمسجد ٢٠٧ قال في الحاشية : عبارة المسجد : ثم قال قولًا بالعجمية لوحده ترجمانه شعراً : يأخذها ذو شامة في خده ــ ويلتقيها مسعدٌ من بعده ــ لا تنقضي عن نسله وولده . والمقابلة جيدة ، ولكن المصحح كتب الاشطر الشعرية الثلاثة وكأنها نثر ، في حين أنها كتبت في المسجد بالرسم الشعري المطلوب ولا حاجة للتقيد بطريقة كتابتها النثرية كما هي في الطبعة الاولى .

ثم إن لفظة « فوجده » هي في المسجد كما هي في العقود ولا تقرأ « لوحده » كما ذهب إلى ذلك المصحح ، ولعل « فوجده » أقرب للمعنى من « لوحده » وقد تكون اللفظة مصحّفة عن « موجزه » والله أعلم .

ــ إنه يتابع المصحح الاول بالتغيير في الاصل دون أن يذكر في الحاشية مصدر هذا التغيير ، وقد يكون هذا التبديل بعيداً عن الرسم الاصلي كما في ١٩/١ ، فالبيت في الاصل هكذا :

ويظهـــر رايـة المنصـــور فيهم
على خـــاء مخففـــــة ولام

وقد كرره المصّنف بهذه الصيغة في ٥٦/١ ولكننا نجد المصحح يستبدل لفظة « مخففة » بـ « إذا نطقوا » وقد ورد البيت مرة ثالثة في ٢٠/١ بصيغة « إذا نطقوا » فلعل المؤلف هو الذي تعمد ذكر البيت بروايتين مختلفتين .

وتتكرر متابعته للمصحح الاول في التغيير دون مبرر مقبول كما في ١٨/١ ، إذ ورد البيت الشعري هكذا ،

لاغـزو أعبـداً جهلـــوا مكـاني
(سلالة) يـــا فت وقبيل حـام

إذ يشير المصحح في الحاشية الى أنه وضع لفظة « سلالة » بدل « من بني » لتلافي اختلاف الوزن ولكن الاقرب الى الاصل أن تكون ــ كما أرى ــ (من أبني) بصيغة التثنية أو « من أبنا » بحذف الهمزة الاخيرة . فيستقيم المعنى والوزن ونتلافى مثل هذا التغيير البعيد . (تنظر مثل هذه التغييرات في ٣٠/١ ـ ٣١ ـ ٣٥ ـ ٣٦ ـ ...)

ــ لا ينسب المصحح الابيات ــ وخاصة المشهورة ــ الى أصحابها ومنها هذا البيت ١٢٢/١ :

فـإن كنت مـأكـولًا أنت آكلي
وإلّا فـــادركني ولمــــا أمـــزّق

وهو للممزّق العبدي وبه لُقّب . (لباب الاداب ٢٦/٢ مع شيء من التغيير) . وكذلك هذا البيت ٦٣/١

إذا لم يكن إلا سنّـة مـركبـاً
فــلا رأي للمضطر إلا ركـوبها

وهو للكميت بن زيد الاسدي ، مع شيء من الاختلاف في لباب الاداب ٥١/٢ . وهذان البيتان في ١٧١/١

هي مـنـــازل ســـادة أجـــواد
ومحلّ جـود شـــامـل وأيـــاد
قصر الخورنق والســدير مقصّر
عنه وذو الشرفات من سنداد

فهما للأسود بن يعفر . لباب الاداب ٢/ ١٧ مع شيء من التغيير . فضلًا عن خمسين بيتاً ــ بعضها مشهور غير منسوبة في العقود وجدتها في ديوان المتنبي كالاتي ١/ ٦٨ ــ ٨٤ ــ ٨٩ ــ ١٠٢ ــ ١١٦ ــ ١٣٢ ــ
١٥٠ ــ ٢١٢ ــ ٢٢٤ ــ ٢٢٤ ــ ٢٢٤ ٢٢٤
يقابلها في العقود على التوالي ٢/ ٦٩ ــ ٨١ ــ ١٥٢ ــ ١٤١ ــ ١/ ٣٥٨ ــ
٢/ ١٤٤ ــ ١٢٩ ــ ٦٦ ــ ١٥٥ ــ ١٣ ، وفي جـ٢ من الديوان
٦٠ ــ ٧٢ ــ ٧٦ ــ ٧٧ ــ ١٠٩ ــ
١٢٥ ــ ١٣٥ ــ ١٣٩ ــ ١٥٤ ــ ١٥٤ ــ
١٥٦ ــ ١٦١ ــ ١٧٢ ــ ١٧٧ ــ ١٩٥ ــ
٢١٢ ــ ٢٦١ ــ ٢٧٥ ــ ٣٢٢ يقابلها في العقود على التوالي ٢/ ٧٤ ــ ١٥٤ ــ ١/ ٢٥٥ ــ ٢٥٥ ــ ٢٥٥ ــ
٢/ ١١٤ ــ ٦٧ ــ ١٥٢ ــ ١٤٥ ــ ١١٢ ــ
٦٨ ــ ٢١٢ ــ ١٥٣ ــ ١٤٩ ــ ٦٥ ــ
١٤٢ ــ ٢٣٠ ــ ١٨٦ ــ
١١١ ــ ١٥١ ــ ١٤٨ ــ ١/ ١٨٢ .

ــ تفتقر النصوص الشعرية الى التشكيل وخاصة المفردات التي يتوجب إيضاح المعنى ضبطها . نعم هناك تشكيل ولكنه قليل وليس في المؤضع الضرورية . وهناك العديد من الاخطاء النحوية منها لفظة (حسام) في الشطر الثاني من البيت ٨ في ١/ ٤٤ فقد حرّكت بالرفع والمعنى يقتضي نصبها مفعولًا به ، وهي في العسجد منصوبة . ولفظة (وشم) في صدر البيت ١٨ في ٢/ ٢٣٢ فقد شكلت الشين بالكسر والميم بالسكون ، وكأنها فعل أمر ، وبهذا التشكيل لا يستقيم وزن البيت والصحيح « وُشُمّ » بضم الشين وكسر الميم المشددة جمع أشم وكذلك يقتضي المعنى .

ومن ذلك ضم الفعل « تضبحُ » بعد لا الناهية في آخر بيت ١/ ١٢٩ والصحيح « لا تضجَ ») لان الفعل مضعّف الحرف الثاني بدليل قوله :

..... فقلت لا
تضـجّ وبادر نحـو كل منـافق

وفي حاشية ١/ ٣٠٧ « ولم اتحقق كلا اللفظتين » والصحيح « كلتا » وهناك بعض هنات عروضية ، من ذلك عدم تدوير الأبيات ١٠ ــ ١١ ــ ٢٢ ــ ٤٢ في ٢ / ١٣٧ والبيت ٢٧ في ٢/ ١٧٢ ، وزيادة في البيت الثالث المدور ١ / ٢٨٧ وعدم تنوين لفظة (خنائس) في البيت السابع ليستقيم الوزن ١ / ٣٠٦ .

ــ الملاحظ أن الاخ المصحح لم يول كتاب العقود الاهتمام المطلوب لاخراجه بالشكل العلمي المنتظر ، وأنه لم يبذل فيه ما بذله في إخراج كتاب السلوك للجندي والقرة لابن الديبع . فهو في الكتاب الاخير ــ على سبيل المثال ــ يعرِّف بالاعلام والإماكن ، ومن ذلك تعريفه بالحويان وذخر وعيذاب والفخرية ، وكذلك معاني بعض المفردات مثل لفظة العوارين إذ قال : إنهم الفتّاك واللصوص ٢/ ٧٣ كما عرّف بالشاعر عبد الله بن جعفر ٢/ ٥٧ والاعشى في ٢/ ٩٤ وتيمورلنك في ٢/ ١٠٨ ، ومثل هذا لم يفعله في « العقود » حين تمرّ اسماء الاعلام والمواضع . وكذلك الأمر بالنسبة لمفردات كثيرة مثل : العوارين ، درانك ، الحرافيش ، الجامكية .... التي شرحها وشرح أمثالها في السلوك ١/ ٥١٥ قائلًا : « المرتب الشهري والكلمة من الدخيل ، وشرح الجندارية في السلوك ١/ ٤٩٣ قائلًا : ألقاب عسكرية » وغير هذا كثير .

ــ من يقارن بعض تصحيحات الطبعة الثانية بالطبعة الاولى يجد على سبيل المثال : في ٢/ ٢٣ السطر الأخير من الطبعة الثانية لفظة « الجدابي » وما في الطبعة الاولى ٢/ ١٤ « الجدائي » وهو الصحيح بدليل ما ورد بعده في قول المصنِّف : نسبة الى صقع من الحبشة يقال له جِداية بكسر الجيم ودال مهملة وألف بعدها ياء مثناة من تحت مفتوحة وآخرها هاء . وفي ٢/ ٦٦ يتابع المصحح الثاني المصحح الأول ٢/ ٧١ في كتابة نص نثري وكأنه بيت شعر ثم يوضح ذلك في الحاشية ، ولا داعي لمثل هذه المتابعة العقيمة . وكذلك الحال حين يكتب بيت المتنبي في ٢/ ١٥٥ دون تدوير متابعاً بسيوني في ٢/ ١٨٢ . وفي ٢/ ١٧١ البيت الثاني زيادة « على » قبل القافية دون تصحيح متابعاً بسيوني في ٢/ ٢٠٢ . وفي ٢/ ١٩١ السطر الاخير « التزموا بما التزمت وكونوا ... أو كالبنيان ، وكالبقرة الواحدة في الاديان » وقد تابع في لفظة « البقرة » العسجد ٤٦٨ دون إشارة ، واللفظة في الطبعة الأولى « كالنعرة » وربما كانت هي الاصح في سياق المعنى العام للنص . وفي ٢/ ٢٥٥ لفظة « غلا » في البيت ١٦ وبهذا الرسم يكسر الشطر : فلو جاز أن تُفدي لما غلا الفدى .... وفي الطبعة الثانية ٢/ ٢٥٥ « غلىَ » وبهذا الرسم يستقيم وزن الشطر .

ويلاحظ أن بعض حواشي الطبعة الثانية لا يميزها المصحح عن حواشي الطبعة الأولى من ذلك : في ٢/ ١٢ يقول

المصحح الاول في الحاشية : كذا في الاصل من غير نقط . وفي ٢/٢٢ تاتي حاشية المصحح الثاني هكذا : كذا في الاصل من غير نقط وكذا في المسجد . ومن لم يطلع على الطبعة الاولى يبدو له أن هذه الحاشية كلها للمصحح الثاني . ونقرأ في حاشية ٢/٢٤ قول المصحح الثاني : كذا في الاصل ولعله جد المذكور أولًا » ونرجع الى النص في الطبعة الاولى ٢/١٥ فلا نجد حاشية ، وهذا يعني أن المصحح الثاني يطلق لفظة « الاصل » فتدل مرة على طبعة بسيوني وتدل ثانية على الاصل المخطوط في حين لا يتوفر هذا الاصل لدى المصحح الثاني . مع العلم أن هناك لفظة في هذا النص لم يوردها المصحح الثاني ، ومثل هذا نجده في الصفحات ٢/٣٨ ــ ٣٩ ــ ٦١ في الطبعة الثانية ويقابلها في الطبعةالاولى ٢/٣٤ ــ ٣٥ ــ ٦٥ . وفي ٢/١٧٧ يقول المصحح الاول في الحاشية (ما هنا ممحو في الاصل) وهذا الممحو نجده موضحاً في الطبعة الثانية ٢/١٥١ دون أن يشير المصحح الثاني في الحاشية الى مصدر هذه الزيادة !

ــ لقد كانت هذه الطبعة بحاجة ماسة الى مراجعة دقيقة ليصار بعدها الى وضع فهرس بالخطا والصواب ، لتكون صورة الاخراج أبعد كمالًا ، وليضاف فهرس واحد في الاقل لفهارس الطبعة الاولى .

وبعد : فهذا الذي تقدم من ملاحظات ، لا يقلل من قيمة الجهد المبذول في إخراج هذا الكتاب ووضعه بين أيدي الدارسين ومحبّي التاريخ ، الذي سيعجبون بجهد أبقّ وأكبر بذله المصنّف الخزرجي وهو يصوغ عقوده الفريدة ليخرج القارىء وقد نهل ألواناً معرفية عنيت بشؤون السياسة والادب والاجتماع . وسيظل واحداً من أهم مصادر الدراسات التاريخية والتراثية في حقبة زاهية من تاريخ اليمن في عصره الوسيط .

المصادر والمراجع والحواشي

(١) في شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ط . دار الفكر ٧/٩٧ « علي بن الحسين » ولقب بشمس الدين بدل موفق على غلاف العسجد المسبوك والصفحة بعده المطبوعتين ، وهذا وهم .

(٢) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لشمس الدين السخاوي ط . مكتبة الحياة ببيروت ٥/٢١٠ والمصدر السابق كذلك .

(٣) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية لابي الحسن الخزرجي . طـ . دار الاداب بيروت ١٩٨٣ م ٢/٢٥٠ .

(٤) الضوء اللامع والشذرات .

(٥) العقود ١/١١ .

(٦) المصدر السابق ١/١٠ .

(٧) قرة العيون باخبار اليمن الميمون لعبد الرحمن بن الديبع ط . السعادة ٢/١٨ وما بعدها .

(٨) تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ، منشورات دار ومكتبة الحياة ــ بيروت ٣/٢١٤ .

(٩) الاعلام الطبعة الثالثة ٥/٨٣ .

(١٠) تاريخ الأدب العربي . عصر الدول والامارات . طـ . دار المعارف بمصر ٥/٨٦ .

(١١) العقود ٢/١١ . النجر : الاصل .

(١٢) كذلك ٢/١٤٩ .

(١٣) في العسجد المسبوك في من ولي اليمن من الملوك لابي الحسن الخزرجي . مخطوط . صوّرته وزارة الاعلام والثقافة في الجمهورية اليمنية وصُدّر بمقدمة سنة ١٩٨١ م ٣٩٩ (سفينة) وفي ثغر عدن لابن أبي مخرمة طـ . دار الجيل ببيروت ودار عمان بعمان ٥٣ سفينة .

(١٤) العقود ٢/٩٢ .

(١٥) كذلك ٢/٢٥٠ .

(١٦) كذلك ٢/١٧١ .

(١٧) الشذرات ٧/٩٧ والضوء اللامع .

(١٨) الاعلام ٥/٨٣ .

(١٩) مقدمة الناشر ج .

(٢٠) كذلك .

(٢١) مقدمة « لباب الاداب » للثعالبي ت . د . قحطان رشيد صالح . طبع ونشر دار الشؤون الثقافية بغداد ١٩٨٧ م .

(٢٢) مقدمة كتاب غرر البلاغة للثعالبي ت . د . قحطان رشيد صالح طبع ونشر دار الشؤون الثقافية بغداد ١٩٩٨ م ١٧ .

(٢٣) العقود اللؤلؤية ٢/٢٦٠ .

(٢٤) كذلك ١/١٤ .

(٢٥) المصدر نفسه ١/١٠ .

(٢٦) الضوء اللامع ٥/٢١٠ .

(٢٧) تاريخ آداب اللغة العربية ٣/٢١٤ .
(٢٨) الاعلام ٥/٨٣ وتاريخ آداب اللغة العربية ٣/٢١٤ .
(٢٩) العقود ١/١٠ .
(٣٠) كذلك ٢/٢٦٢ .
(٣١) الاعلام والعقود ١ / ١٠ .
(٣٢) العقود ١ / ١٠ .
(٣٣) كذلك ١ / ١٠ — ١١ .
(٣٤) العقود ١/٢٠ — ٢١ .
(٣٥) العقود ١/١٤ — ١٥ .
(٣٦) العقود ١/٥٦ .
(٣٧) المسجد ١٩٠ .
(٣٨) العقود ١/٣٨ .
(٣٩) المصدر نفسه ٢/١٦ وينظر ١/٤٦ .
(٤٠) تنظر على سبيل المثال العقود ١/٥٤ — ٧١ — ١١٧ — ١٢٧ — ٢٥٥ وغيرها . (٤١) كذلك ١/١٣٤ — ١٣٥ .
(٤٢) السلوك في طبقات العلماء والملوك للجندي ط . أولى نشر وزارة الاعلام والثقافة اليمنية ١٩٨٣ م ١/٤٩٩ — ٥٠٠ وينظر ١/١٤٨ من العقود و ١/٥٥١ من السلوك . وفي غير هذين الموضعين .
(٤٣) العقود ١/٤٦ — ٢٩٠ .
(٤٤) كذلك ١/٣٤ وفي مواضع أخرى .
(٤٥) عصر الدول والامارات ٥/٨٦ .
(٤٦) العقود ٢/٣٧ .
(٤٧) المصدر نفسه ١/٣٤٥ ، ٢/١١٧— ١٥٥ .
(٤٨) كذلك ٢/٦٥ .
(٤٩) كذلك ٣/٢١٢ .
(٥٠) نفسه ١ — ٢٥٠ — ٣٤٢ ، ٥٣٢ .
(٥١) كذلك ١/١٢١ — ٢٣٩ — ٢٤٠ ، ٢/٣٩ — ١٢١ — ١٦٧ — ١٩٦ — ٢٥٠ .
(٥٢) كذلك تنظر على سبيل المثال الصفحات ١/٢٨٣ — ٢٩٤ — ٢٩٥ — ٢٩٦ — ٣٠٥ — ٣١٧ .
(٥٣) نفسه ١/١١٥ .
(٥٤) كذلك ١/٢٨٢
(٥٥) كذلك ١/٢٥٩ .
(٥٦) كذلك ٢/١٨٢ .
(٥٧) كذلك ١/٢٥٨ .
(٥٨) كذلك ٢/١٨٨ .
(٥٩) كذلك ٢/٦١ .
(٦٠) كذلك ٢/٧٠ .
(٦١) كذلك ١/٢٥١ و ٢/١١١ .
(٦٢) كذلك ١/٢٦٨ و ٢/٩٠ .
(٦٣) كذلك ٢/٧٠ .
(٦٤) كذلك ٢/١٨٥ .
(٦٥) كذلك ١/١١٩ .
(٦٦) كذلك ٢/٢٥٨ .
(٦٧) كذلك ١/١١٤ .
(٦٨) تنظر الصفحات ١ / ٥١-٢٤١ — ٢٦٨ ، ٢/١١١ .
(٦٩) ١/١٦٤ .
(٧٠) كذلك ١/٥٩ .
(٧١) ١/٢٠٣ .
(٧٢) ٢/٢٤٩ — ٢٥٠ .
(٧٣) ١/٢٢٣ ، ٣٠٤ ، ٢/٥٧ ، ١٠١ .
(٧٤) ٢/١٦٧ .
(٧٥) ١/٧٨ .
(٧٦) ١/١٠٤ .
(٧٧) ١/١٦٨ .
(٧٨) ينظر ١/١٠٥ — ١٢٧ — ٣٣٥ و ٢/١١٧ .
(٧٩) ينظر١/٦٠ — ٦١ — ٧٥ — ١١٨ — ١١٩ — ١٢٠ — ٣٣٦ .
(٨٠) تنظر الصفحات ١/٢٦ — ٢٧ — ٢٩ — ٣٢ — ١٠٣ — ١١٧ — ١٨٦ — ٢٢١ و ٢/٧٤ — ١٩١ — ٢٠٤ .
(٨١) ينظر فهرس الكتب ٢/٢٩٣ .
(٨٢) ٢/١٦٠ .
(٨٣) ينظر كتابه « عصر الدول والامارات » ٥/١١٢ — ١١٣ — ١١٤ — ١١٥ — ١٢٧ — ١٢٨ .
(٨٤) ١/١٢٣ — ٢٣٣ و ٢/٥٧ .
(٨٥) ١/١٤١ — ٢٨٥ .
(٨٦) ١/٣ .
(٨٧) ٢/٨٤ .
(٨٨) ١/٢٤٦ و ٢/١٠١ .
(٨٩) ١/١٣٤ — ٢٠٨ — ٢٣٣ و ٢/١٠١ — ١٠٧ .
(٩٠) ١/٢٠٦ .

(٩١) تنظر على سبيل ١/٨٣ــ ٣١١ ــ ٣١٣ ــ ٣٥٨ و ٢/٦٤ ــ ١٠٦ .

(٩٢) ينظر على سبيل المثال ١/٤١ ، ٥٤ ، ٧٢ ، ١١٢ ، ١١٦ ....

(٩٣) تاريخ الرسل والملوك للطبري الطبعة الاوربية ١/ ٧ .

(٩٤) ١/٢٠ .

(•) الارقام العربية . مطبعة المجمع العلمي العراقي . بغداد ١٩٨٢ م ص ٩ .

(٩٥) ١/٢١ .

(٩٦) ١/٢٤ .

(٩٧) ١/٢٨ .

(٩٨) تاريخ الرسل والملوك ١/ ٧ .

(٩٩) ١/٢٣٢ .

(١٠٠) ١/٣٤ .

(١٠١) ١/٤٧ ــ ٤٨ .

(١٠٢) ١/٥٦ .

(١٠٣) (١٠٤) ١/٢٣٨ .

(١٠٥) ٢/٢٤٠ ــ ٢٤١ .

(١٠٦) ينظر المسجد، ٤٣٢، ٤٧٢ ، ٤٧٨ .

(١٠٧) نقلًا عن العقود ١/ ١٠ .

(١٠٨) العقود اللؤلؤية ٢/ ١٩٧ .

(١٠٩) ٢/١٧١ .

(١١٠) (١١١) ٢/١٣٦ .

(١١٢) ٢/٢١٠ .

(١١٣) الضوء اللامع ٥/ ٢١٠ .

(١١٤) العقود ١/ ٢٣١ .

(١١٥) ١/٤٠ .

(١١٦) ١/٨١ .

(١١٧) ١/٥١ .

(١١٨) ٢/٢٥٠ .

(١١٩) ١/٢٥٨ .

(١٢٠) ٢/٦٥ .

(١٢١) ٢/١٥٣ وينظر ٢/٦٧ ــ ١١٤ ، ١٢٩ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٥٢ ، ١٥٣ .

(١٢٢) ١/٢٤٩ .

(١٢٣) ٢/٧٧ .

(١٢٤) ١/٦٣ .

(١٢٥) ٢/٦٣ .

(١٢٦) لباب الاداب ٢/ ٤١ .

(١٢٧) ٢/٢٥ .

(١٢٨) ٢/٣٩ .

(١٢٩) ٢/٥٢ .

(١٣٠) ٢/٧٠ .

(١٣١) ٢/١٠٠ .

(١٣٢) ٢/٣٧ .

(١٣٣) ٢/٢١ .

(١٣٤) تنظر ٢/١٦ ــ ١٢٢ ــ ١٤٨ ــ ١٤٩ وغيرها كثير .

(١٣٥) تنظر ٢/١٩٤ ــ ١٩٥ ــ ١٩٦ .

(١٣٦) ينظر ١/٧٨ ، ٢٥١ ، ٢٦٦ ، ٢٧٧ ، ٢٨٣ ، ٢/٨٣ .

(١٣٧) ينظر ١/٣٨ ، ٩٠ ، ٢٤٣ ، ٢٧١ ، ٨٤ و ٢/٤١ .

(١٣٨) ١/١٤١ ، ٢٣١ .

(١٣٩) شذرات الذهب ٧/ ٩٧ .

(١٤٠) تنظر الصفحات في العقود
١/٤٣ ــ ٤٤ ــ ٤٥ ــ ١٨٦ ــ
١٨٧ ــ ٢٢٩ ــ ٢٣٠ ــ
٢٣٦ ــ ٢٣٧ ــ ٢٣٨ ــ
٢٥١ ــ ٢٥٢ ــ ٢٥٤ ــ ٢٦٤ ــ
٢٦٦ ــ ٢٧٢ ــ ٢٧٧ ــ
٢٨٣ ــ ٢٨٩ ــ ٢٩١ ــ ٣٠٥ ــ
٣١١ ــ ٣١٥ ــ ٣٣٠ ــ ٣٥٨ ــ
٢/٣٦ ــ ٦٦ ــ ٧٤ ــ ١٠٦ ــ ١١٤ ــ
١٣٦ ــ ١٩١ ــ ١٩٧ ــ
٢١٠ ــ ٢٦٠ ــ ٢٦١
وتقابلها الصفحات في المسجد على التوالي نفسه ١٨٦ ــ
١٨٧ ــ ١٨٧ ــ ٢٥٧ ــ ٢٥٨ ــ ٢٦٩
٢٦٩ ــ ٢٧٤ ــ ٢٧٤ ــ ٢٧٥ ــ ٢٨١ ــ ٢٨١ ــ ٢٨٢ ــ
٢٨٣ ــ ٢٨٨ ــ ٢٩٠ ــ ٢٩١ ــ ٢٩٣ ــ ٢٩٣ ــ ٢٩٤ ــ ٢٩٧
٣٠٠ ــ ٣٠٢ ــ ٣٠٥ ــ ٣٠٩ ــ ٣١٣ ــ ٣١٥ ــ
٣٢٤ ــ ٣٣٤ ــ ٣٥٥ ــ ٣٧٩ ــ ٣٨٤ ــ ٤٠٧ ــ
٤١٢ ــ ٤٣٣ ــ ٤٣٤ ــ ٤٦٨ ــ ٤٧٢ ــ ٤٧٣
ــ ٤٧٨ ــ ٤٧٩
٥٠٦ ــ ٥٠٧ .

(١٤١) ديوان الفرزدق / شرح علي فاعور . ط . دار الكتب العلمية ببيروت ١٩٨٧ ــ ٢/٤٨٩ .

المادة الصوتية
في كتاب الايضاح في القراءات
للاندرابي
تحقيق الباب السابع والعشرين

حقي عبدالرزاق لطيف الصالحي
اختصاصي تربوي الرصافة الاولى

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسولنا الكريم محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وعلى كل من قام بخدمة كتاب الله العزيز تقرباً إلى ربه ، وحباً في رسوله إلى يوم الدين .

وبعد .. فكتاب (الإيضاح في القراءات) من المؤلفات النفيسة في القراءات وعلوم القرآن ، وهومن الموسوعات التي تحتاج الى من يجلّيها ، ويوضح مضامينها وأبعادها وقيمتها ، وأثرها في الدراسات القرآنية .

وقد ضمّ الكتاب مادة صوتية مهمة توزعت على الأبواب الاتية :

- الباب السابع والعشرين : في ذكر اللحن الخفي ومقالات أرباب الصناعة في ذلك[٦٨ ظ] .
- الباب الثامن والعشرين : في ذكر مخارج الحروف : [٧٢و٠] .
- الباب التاسع والعشرين : في ذكر أجناس الحروف وأصنافها وصفاتها . [٧٣ و] .

وتعميما للفائدة ، وخدمة لكتاب الله العزيز عقدت العزم على تحقيق هذه الأبواب ، ووضعها في متناول المهتمين بالدراسات الصوتية ، مبتدئا بالباب السابع والعشرين ، لانها ثمرة من ثمار الدرس الصوتي العربي الاول .

××× مؤلف كتاب « الايضاح في القراءات » .

هو أبو عبدالله أحمد بن أبي عمر المعروف بالخراساني .

هكذا جاء أسمه في « طبقات القراء »[1] ، أما نسبته الى « أندراب » فقد جاء على صفحة العنوان في المخطوطة .

وقد ضبط « ياقوت » المدينة التي نُسب اليها هذا المقرىء الجليل بقوله : (الدال مهملة مفتوحة ، وراء وألف وباء موحدة »[2] .

ثم بيّن موقعها وأهميتها ، ومن نُسب إليها من العلماء فقال : « بلدة بين غزنين وبلخ ، وبها تذاب الفضة المستخرجة من معدن (بنجهير)[3] ، ومنها تدخل القوافل الى (كابل) ، ويقال لها (أندرابة) ايضا . وهي مدينة حسنة نُسب اليها جماعة من أهل العلم ، منهم : أبو ذر أحمد بن عبدالله الترمذي ، ولي القضاء باندراب فنُسب اليها .

وعلى الرغم من أهمية الأندرابي وقيمة كتابه في علم القراءات لم يترجم له سوى (إبن الجزري) !!

قال إبن الجزري في ترجمته ، هو : « أحمد بن أبي عمر أبو عبدالله الخراساني صاحب كتاب الايضاح في القراءات العشر وأختيار أبي عبيد وأبي حاتم ، أتى بفوائد كثيرة . روى القراءات عن أبي الحسن علي بن محمد بن عبيدالله ، صاحب ابن مهران ، وعن أبي عبدالله محمد بن الامام ابي الحسن علي بن محمد الخبّازي عن أبيه وغيره .

روى القراءات عن ابي بكر احمد بن الحسين الكرماني ، صاحب الگارزيني ، وعن الحافظ أبي عبدالله محمد ابن عبدالحاكم ، وحدّث عن جماعة .

مات بعد الخمسمئة ، ولا أعلم من قرأ عليه[4] . أ . هـ .

الايضاح في القراءات :

هذا عنوان الكتاب ، الذي لم يعرَفْ للإندرابي غيره ، كما جاء على الصفحة الاولى من المخطوط[*] .

تحتفظ مكتبة جامعة استانبول بالنسخة الام (رقم ١٣٥) ، ومن نسخة مصورة في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة (رقم ٩ قراءات وتجويد)[5] ، كما تحتفظ مكتبة المجمع العلمي العراقي بنسخة مصورة (رقم ١٣٥٧ علوم قرآن) ، عليها اعتمدنا في تحقيق المادة الصوتية .

أشار الى هذا المخطوط ، وعرّف به الدكتور أحمد نصيف الجنابي في دراسته الموسومة (الإيضاح في القراءات للإندرابي) تناول فيها : مؤلف كتاب الايضاح ، ووصف كتاب (الايضاح) ومصادره وأهميته وأثره ! فاغنانا بذلك عن إعادتها ، والخوض فيها[7] .

كما حقق الدكتور الفاضل الباب الثاني والثلاثين من هذا المخطوط (قراءات القرّاء المعروفين بروايات الرواة المشهورين) ، ونشره مستقلا في كتاب يحمل عنوان الباب ، أعاد في مقدمته ما كان قد نشره عن الكتاب وصاحبه[8] .

فكرة اللحن الخفي وأثرها في الدراسات الصوتية :

اللحن عند علماء التجويد لحنان : جليّ وخفيّ ، فالجلي : لحنُ الإعراب الذي تتغير فيه الحركات ، وتنقلب به المعاني[9] .

حظي هذا النوع بعناية علماء العربية ، فألّفت عشرات الكتب في موضوع (لحن العامة) ، كما حظيت كتبه القديمة بالدراسة والتحقيق[10] .

والخفيّ : ترك إعطاء الحرف حقّه من تجويد لفظه بلا زيادة فيها ولا نقصان ، مثل تكرير الراءات ، وتطنين النونات ، وتغليظ اللامات ، وإسمانها ، وتشريبها الغنّة الى غير ذلك من إخفاء المظهر ، وإظهار المخْفى ، وتشديد الملين ، وتليين المشدد .. وغيرها كثير[11] .

وهذا الضرب من اللحن لا يعرفه الا القارىء المتقن ، والضابط المجوِّد الذي أخذ عن أفواه الائمة ، ولُقِّن من ألفاظ العلماء الذين ترتضى تلاوتهم ، ويُوثق بعربيتهم ، فاعطى كل حرف حقّه ، ونزّله منزلته وحدّه .

إستأثر هذا المعنى للحن باهتمام علماء التجويد ، وبه أنماز ميدانهم من ميدان علماء اللغة ، وطبقوهُ في دراستهم للمنطق العربي ، وتلاوة القرآن خاصة عملًا بقوله تعالى : « ورتل القرآن ترتيلًا » .

قال الداني : « اعلموا أن كل حرف من حروف القرآن يجب أن يُمكّن لفظه ، ويوفّ حقّه من المنزلة التي هي مخصوص بها ، على ما حددناه وما نحدده ، ولا يُبخس شيئا من ذلك ، فيتحول عن صورته ، ويزول عن صيغته ، وذلك عند علمائنا في الكراهة والقبح كلحن الاعراب »[12] .

وثمرة ذلك حصول التدبر لمعاني كتاب « الله تعالى ، والتفكر

في غوامضه ، والتبحر في مقاصده ، لان « الالفاظ إذا جليت على الاسماع في أحسن معارضها ، وأجلي جهات النطق بها ، بحَسْبِ ما بُعث به رسول الله (ﷺ) بقوله : زيّنوا القرآن باصواتكم ، كان تلقّي القلوب لها واقبال النفوس عليها بمقتضى زيادتها في الحلاوة والحسن ، فيحصل حينئذ الامتثال لاوامره ، والانتهاء عن مناهيه »[١٣] .

وان المتتبع لجهود علماء التجويد يلحظ أن فكرة (اللحن الخفي) كانت مستندهم في بناء منهج كتبهم ، وطريقة معالجتهم للظواهر الصوتية ، وصولاً بالقارىء الى أعلى درجات الضبط والاتقان[١٤] .

جاء في (شرح الواضحة في تجويد الفاتحة) : « إن تجويد القراءة يتوقف على أربعة أمور :

١ . معرفة مخارج الحروف .

٢ . معرفة صفاتها .

٣ . معرفة ما يتحدد بسبب التركيب من الاحكام .

٤ . رياضة اللسان بذلك وكثرة التكرار .

وأصل ذلك كله ، وأساسه ، تلقّيه من أولي الاتقان »[١٥] .

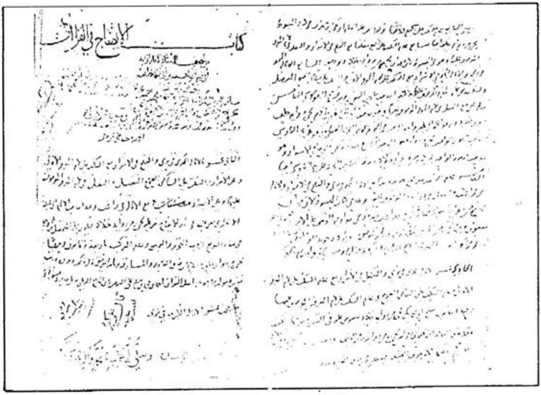
استطاع علماء التجويد بفضل هذا المنهج التنبيه على مواطن اللحن الخفي التي تلحق الصوت على المستويين البسيط والمركب ، وتتبع الشوائب التي تلحقه عند مجاورته لاصوات أخر ، تفتقر اليها كثير من الدراسات الصوتية الحديثة .

وقد جمع الاندرابي ما تناثر من هذه التنبيهات في باب واحد ، ليسهل على القارىء المتعلم الاطلاع عليها والعودة اليها ، وبذلك قدّم خدمة جليلة لاهل الأداء ، وعشّاق هذا الفن الجميل (فن التجويد) .

ثم ذكر مخارج الحروف وأصنافها ، « لان حاجة قارىء القرآن الى معرفة ذلك في كل حرف ماسةٌ ليخرجَه من مخرجه ، ويؤدي حقّه بتمامه على اللغة التي أنزل الله تعالى القرآن بها »[١٦] .

عملي في التحقيق :

نظراً لظروف قطرنا العزيز ، ولصعوبة الوصول الى النسخة الام ، اعتمدت على النسخة المصورة التي تحتفظ بها مكتبة


كتاب الايضاح في القرآن

المجمع العلمي العراقي في تحقيق الأبواب الثلاثة (السابع والعشرين والثامن والعشرين والتاسع والعشرين) ، شجعني على ذلك وضوح العبارة ، وسلامة التركيب ، اذ كتبت بخط نفيس جميل ، وخلت من كل عيب . إلتزمت في التحقيق تخريج الكلمات والعبارات والايات القرآنية الواردة في النص ، حيث وقعت ، وقد أخذ ذلك مني جهداً كبيراً ، كان (المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم) لمحمد فؤاد عبدالباقي خير معين لي ، فرحم الله مؤلفه ورضي عنه .

كذلك حاولت تخريج النصوص التي نقلها المؤلف من مصادرها كلما أمكنني ذلك ، وقد أشير الى مظان الفكرة التي يتحدث عنها مع ما يقتضيه الدرس الصوتي الحديث من إضاءة ، كذلك خرّجت الابيات الشعرية والاقوال ، من أمهات تلك المصادر ، وترجمت الاعلام الواردة في هذه الابواب .

والحمد لله رب العالمين



هوامش المقدمة :

١ . ينظر : غاية النهاية في طبقات القراء : ٩٣/١ .

٢ . ينظر : معجم البلدان : ٢٦٠/١ ، وينظر : اللباب لعزالدين بن الاثير ٨٨/١ .

٣ . بنجهير: مدينة بنواحي بلخ فيها جبل الفضة (معجم البلدان ٤٩١/١) .

٤ . غاية النهاية : ٩٣/١ .

٥ . أنبه القارىء الكريم على الزيادة الموجودة في عنوان المخطوط في نص ابن الجزري الذي أوقع الكثير من الباحثين في الوهم .

٦ . ينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : قائمة المصادر .

٧ . مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد التاسع والعشرون ، الجزء الأول ، ١٩٨٥ .

٨ . قراءات القراء المعروفين بروايات الرواة المشهورين ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٥ .

٩ . الايضاح في القراءات ٦٨ ظ ٢ ، ينظر: التنبيه على اللحن الجلي (مجلة) : ٢٦٠ .

١٠ . للدكتور عبدالعزيز عطر كتاب (لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة) وللدكتور رمضان عبدالتواب كتاب (لحن العامة والتطور اللغوي) .

١١ . ينظر: التنبيه على اللحن : ٢٦٠ . الموضح في التجويد : ٦٠ .

١٢ . التحديد في الاتقان والتجويد : ١١٨ .

١٣ . الموضح في التجويد : ٦٩ .

١٤ . لمزيد من التفصيل ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ٥١ - ٥٩ .

١٥ . شرح الواضحة : ٣٠ .

١٦ . الايضاح في القراءات : ٧٥ , ٠ .

النص المحقق
الباب السابع والعشرون

في ذكر اللّحن الخفيّ ومقالات أرباب الصناعة في ذلك

وأعلم أنّ اللحن لا يعرفه إلّا النحاريرُ الماهرون من القراء والحذاقُ المحققون من العلماء بالقرآن[١] .

بلغنا عن أبي بكر أحمد بن موسى بن العباس ابن مجاهد[٢] ـ رحمه الله ـ أنه قال : اللحنُ في القرآن لحنان : جليّ وخفيّ ، فالجليّ لحنُ الأعراب ، والخفيّ ترك إعطاء الحروفِ حقها من تجويد لفظها بلا زيادة فيها ولا نقصان[٣] .

وعن أبي الفضل عبدالرحمن بن أحمد الرازي[٤] ـ رحمه الله ـ أنه قال : ينبغي لقارىء القرآن أن يعرفَ ما يحدث بعض الحروف في بعض من النقصان لاستطالة حرف على حرف في التجاور ، ويستشعر بعضها من بعض في تداخل المخارج بالالفاظ البشعة ، والطباع الجافية ، وذلك : أن يحترز من المدات الطويلة الرعشة المطيطة التي نُهي عنها[٥] ، والهمزات الملكزة[٦] ، وتشريب الالفات النبْرةَ في الوقف ، وتنبير الذوائب حتى توازي الجُوامِدِ[٧] ، سيما الممدود من ذلك والممكن ، وبعدها الواو المضموم ما قبلها إذا أتت بعدها ياء أو واو ، والياء المكسور ما قبلها إذا أتت بعدها ياء أو واو ، فمنع هذه الاضرب الاربعة من الادغام ، وفصل حروفها ، الا في الوقف .

وتَرْكِ إشباع الضمةِ التي قبل الواو منها ، وكذلك في سائر الواوات مما أنضم ما قبله ، وترك إشباع الكسرة التي قبل الياء ، وكذلك سائر الياءات مما أنكسر ما قبله .

وتنحية الالف نحو الواو حتى تصير كالواو في التفخيم ، والأمالة نحو الياء حتى تصير كالياء . وتقطيع الحروف من الكلم المنظومة ، والتوقف على السواكن ، وطول السكتة على ما قبل الهمزات ، والاتكاء على المشدّدات وتمضيغها ، وتشديد الحروف الخفية[٨] .. وتطنين الغنات حتى تمتد كحروف اللين[٩] ، وتشريب السواكن الحركاتِ إلّا [٦٨ ظ] ما أحتاج من الرَوْم والاشمام وذلك إذا حركتا للوقف[١٠] .

وتشديد الحروف الشديدة في نفسها إذا لم تكن مضاعفة ، وتخفيف المشدّدات ، وتشديد المخففّات ، ومدّ المقصور ، وقَصْر الممدود ، وإسكان المتحرك ، وتحريك الساكن ، وإذهاب إطباق المطبقة ، وإشباع المختلس ، وأختلاس المشبع[١١] ، والتسوية بين الحرف الثلاثي الاجوف وبين الثنائي على أنه قد جاء عن بعضهم التسوية بينهما لتكون الحروفُ على حدٍّ واحد[١٢] .

وتغليظ اللامات إلا في إسم الله تعالى إذا تقدمته ضمّةٌ أو فتحة ، فإن ذلك فيها جائز، وفي أحرفٍ أخر نحو الصّلُوة والصلُوات فيمن يقرأ كذلك[١٣] .

وتغليظ الراءات أو إذهاب تكريرها وانحرافها ، ولثغة اللثغ من العرب ، وعجمة العجم من سائر الناس فيها .

وإخفاء الميم في الواو والفاء والباء على أنه قد جاء عن بعضهم إخفاؤُها في الفاء[١٤] .

وإدغام الدال أو اخفاؤها في الراء والنون واللام ، وإخفاء الياء إذا اجتمعت ياءان ، وكانت الأولى مكسورة أو الثانية ساكنة

والاولى مفتوحة .

وإشباع الكسرة قبل الياء المفتوحة حتى تلحقها ياءٌ أخرى زيادةً ، وإشباع الضمةِ إذا كانت بعدها واوٌ مفتوحةً ، وترك إشباعِ الضمتين أو الكسرتين إذا أجتمعتا ، وتركِ التكلف للفتحة اذا وقعتْ على واو أو ياءٍ أو قبلهما ، وترك بيان الياء المكسورة ، والواو المضمومة سيما اذا كانت بعد الياء ياء أخرى ، أو بعد الواو واوٌ أخرى . وأخفاء الحَلْقية في تلاقِيها ، وتركِ التكلّف للمهموسة (في مجاورة المجهوره ، والتواني في تسكين السواكن وإضعاف الضاد لمجاورته الطاء ، والتوقف على حروف (مشفر)[١٥] لتفشٍ اكثر مما يُستحق ، وخاصة اذا كانت مشددّة ، وإذهاب صفير الاسليّة أو الزيادة على صفيرها[١٦] ، وإخراج الحرف بلفظ مقاربه ، مما جاء في اللغات المتعسفة كالجيم[١٧] التي كالشين وبالعكس ، والجيم التي كالكاف ، والتاء التي كالدال وبالعكس ، والضاد الضعيفة كالزاي ، والقاف كالغين وبالعكس ، وإخفاء الضاد الساكنة عند التاء ، وإخفاء الراء الساكنة عند النون وغير ذلك مما يحدث في القراءة من العيب من حيث لا يشعر[١٨] .

وقال الخزاعي[١٩] (رضي الله عنه) : ينبغي للقارىء أن يجعل مفتوح الحروف ومنصوبها ليّنة التعالي ، خفيفة التوالي ، ومضمومها ومرفوعها إشارية ، ومكسورها ومخفوضها إختلاسية الا ما كان [٦٩ و] من ذلك محتاجا الى الإشباع فإنه حينئذٍ يُشبع من غير تمدّ[٢٠] ، فإذا همز يأتي بالهمزة سهلةً في الذوق من غير لكز لها ، ولا خروج بها عن حدّها ساكنة كانت أو متحركة[٢١] .

قال : سمعتُ الشذائي[٢٢] يقول : سمعتُ آبنَ مجُاهد يقول : كما ينبغي للقارىء ان يتفقد في قراءته إرقاق الراء إذا كانت خفيفة متحركةً أو ساكنةً كقوله :

﴿ قل أمرُ ربي ﴾[٢٣] ، ﴿ وما أمر الساعة ﴾[٢٤] و﴿ يَغفرْ لكُمْ ﴾[٢٥] ، ونحوه[٢٦] ، وكذلك حكم اللام في إظهار وبيان كقوله : ﴿ ولا يلتفت ﴾[٢٧] ، ﴿ أمْ جَنّةُ الخُلْدِ ﴾[٢٨] ، ﴿ بَلْدةً مَيْتاً ﴾[٢٩] ، ونحوها . وكذلك لام (فعلنا) كقوله : ﴿ جَعلْنا ﴾[٣٠] و﴿ فضّلنا ﴾[٣١] ونحوهما ، لا تدغم عند النون بإجماع اذا اجتمعتا في كلمة واحدة ، وكذلك لام ﴿ أدخلني ﴾[٣٢] و﴿ أكفِلْنيها ﴾[٣٣] و﴿ قلنا ﴾ و﴿ زَيّلْنا ﴾[٣٤] وهو كثير[٣٥] .

تفقد بيان ذلك تصبْ إن شاء الله ، فإذا أتت اللام من قبل اسم الله عز وجل وكانت مفتوحة ، خلّصها من تفخيم الاسم تخليصا سهلًا كقوله : ﴿ مَنْ أضلُّ الله ﴾[٣٦] ﴿ وأحلّ الله ﴾[٣٧] ونحوها .

ومتى تحرّكت الواو والياء فاشبع الحركة ، كقوله : ﴿ بـاللّغْـو ﴾[٣٨] و﴿ قُـل العَفْـوَ ﴾[٣٩] و﴿ التفـاوت ﴾[٤٠] و﴿ التناوش ﴾[٤١] على قراءة من لم يهمز ، و﴿ يَوْمَ وُلِدَ ﴾[٤٢] ، ﴿ وجُـوه ﴾[٤٣] و﴿ يَشوي الـوُجُوه ﴾[٤٤] و﴿ مَعَـايِش ﴾[٤٥] و﴿ طَرَفَي النّهارِ ﴾[٤٦] ، ﴿ صاحِبَي السّجْنِ ﴾[٤٧] ، ﴿ ثلُثَي الليل ﴾[٤٨] ، ونحو ذلك[٤٩] .

ومتى أتت الراء مشدّدة فلا تكرّرها بل شدّدها في غير عسر كقوله : ﴿ وَخَرَّ راكعاً ﴾[٥٠] ، ﴿ ضُرّهُ ﴾[٥١] ، ونحوه[٥٢] .

فإن سكنت الواو والياء فاشبع سكونها ثم ألفظ بما بعدها معطياً له حقّه كقوله : ﴿ إلى مَيْسَرة ﴾[٥٣] ، ﴿ المَيْسِرُ ﴾[٥٤] ، ﴿ مَيْسُوراً ﴾[٥٥] ، ﴿ مَوْئِلًا ﴾[٥٦] ونحو ذلك[٥٧] .

وإذا اجتمعت السين الساكنة مع حرف من حروف الإطباق في كلمة فتوصّل الى سكون السين في رفق وتؤدة لئلا تصير صاداً بالاختلاط كقوله : ﴿ يَسْطُون ﴾[٥٨] ، ﴿ مَسْطُورا ﴾[٥٩] ، ﴿ بالْقِسْطاسِ ﴾[٦٠] ، ﴿ فإن أستطعت ﴾[٦١] ونحو ذلك[٦٢] .

وتفقد الميم الساكنة عند لقائها الفاء والواو والباء كقوله : ﴿ رزقا لكم فلا تجعلوا ﴾[٦٣] و﴿ في طُغيانِهم يَعمهُون ﴾[٦٤] ونحو ذلك ، فاظهِرْها إظهاراً معتدلًا غير فاحش .

وكذلك هي مبنّية عند سائر الحروف الّا ميماً مثلها والاولى ساكنة . ولا تدغم عند لقائها باء نحوَ (وهم بربهم)[٦٥] ، وهذا ما لا خلاف فيه على جميع القراءات[٦٦] إلّا ما رواه الحلواني[٦٧] عن خلف[٦٨] وابن ابي سُريج[٦٩] عن الكسائي[٧٠] من إدغام الميم في الفاء ، قالوا : وذلك لحنٌ غيرُ جائز[٧١] .

واذا آجتمعت التاء مع حروف الإطباق في كلمة ، فبيّن التاء تخلّصا من لفظ الطاء ، وإلا صارت طاءً كقوله (فآختَلَطَ به)[٧٢] ، (مَنِ أستطعْتَ)[٧٣] ونحوه ، فإن سبقت الطاء التاء ، فأبقِ صوتا من الاطباق ، وإلا صارت الطاء تاءً كقوله ﴿ بَسَطْـتَ ﴾[٧٤] ، و﴿ أحَطْـتُ ﴾[٧٥] و﴿ فَـرّطْـتُ ﴾[٧٦] ونحوهنّ[٧٧] . [٦٩ ظ] .

وأمّا قوله ﴿ تَضطلون ﴾[٧٨] و﴿ أصطفيتُك ﴾[٧٩] و﴿ الذّين آصطفى ﴾[٨٠] ، ونحوه ، فصفّ الصاد فيه واعطها حقاً من الإطباق وإلا صارت سينا[٨١] .

وسكون الزاي فات بها متخلصا مما بعده[٨٢] وكذلك الدال كقوله ﴿ ما كَنَزْتم ﴾[٨٣] ، ﴿ تزْدري ﴾[٨٤] ، ﴿ ثُمّ أزدادوا ﴾[٨٥] ، ﴿ يَدْخلون ﴾[٨٦] ونحوها .

وإذا أتت الدال الساكنة بعدها نون ، فاجهد في بيان الدال ولا تتساهل في ذلك ، فتصير مدغمة في النون كقوله ﴿ قد نرى ﴾ ونحوه[٨٧] .

والواو المضمومة فاشبع ضمها كقوله ﴿ اشتروا الضلالة ﴾[٨٨] ونحوه ، وكلّ كسرة في كلمة بعدها ياء متحركة ، أو ضمة بعدها واوٌ متحركة نحو : ﴿ ليزدادوا ﴾[٨٩] و ﴿ ليعلم الذين ﴾[٩٠] و ﴿ يُواتُون ﴾[٩١] و ﴿ يُواري ﴾[٩٢] ونحوهُنّ ، فاختلس الضمة والكسرة .

ومتى أجتمعت واوان متحركتان ، فاقصد البيان لهما ، وتعمدْهُ كقوله ﴿ وَوُفيت ﴾[٩٣] ﴿ وَوُضع ﴾[٩٤] ، ﴿ وَوَرِثَهُ أبواه ﴾[٩٥] ونحوه .

فإن إنضمّ ما قبل الواو الثانية فاشبع الواو المضمومة ليخلص لك سكون الثانية كقوله ﴿ ما وُورِيَ ﴾[٩٦] ونحوه[٩٧] .

والواو والياء المشددتان إذا كان بعدهما مثلهما ، فعليك اشباعهما من أجل الإدغام الذي فيهما كقوله ﴿ بالغدوّ والآصال ﴾[٩٨] و ﴿ العشيّ يُرِيدُون ﴾[٩٩] ونحوهما .

وأرفق بالياء المشددة نحو ﴿ إيّاك ﴾ لئلا تشبه الجيم . وأنعم بيان العين والهاء في قراءتك ، ولا تفرط في ذلك فيقبُح كقوله : ﴿ يعمهُون ﴾[١٠٠] ، ﴿ ولا تتبعْ أهواءهم ﴾[١٠١] ونحوه .

وأشبع في قراءتك مدّ الواو المضموم ما قبلها من غير إفراط كقوله : ﴿ واتقوا ﴾[١٠٢] و ﴿ أمشوا ﴾[١٠٣] ، ﴿ وتفقرُوا ﴾[١٠٤] ونحوهما . وكذلك ﴿ أمنوا ﴾ ، ﴿ والذين صبَرُوا ﴾[١٠٥] ﴿ ورَابِطوا ﴾[١٠٦] ، وتُشبع ضمها ، واحذر أن تمدّ الواو المفتوحة بعدها فتصير مثل ﴿ عصَوْا وكانوا ﴾[١٠٧] ونحوه ، فإذا انفتح ما قبل الواو سقط المدّ ومدّ الياء المكسور ما قبلها أيضا كقوله ﴿ في يتامى ﴾ ونحوهما[١٠٨] .

وأشبع في قراءتك بيان الواو في ﴿ يُوقنون ﴾[١٠٩] ﴿ يؤلكون ﴾[١١٠] ، ﴿ يؤرثُ ﴾[١١١] ﴿ يُوتَق ﴾[١١٢] ونحوه ، وكذلك الياء المنقلبة من الواو كقوله ﴿ الميـزان ﴾[١١٣] و ﴿ الميعاد ﴾[١١٤] و ﴿ الميثاق ﴾[١١٥] ونحوه ، وهكذا الياء والواو الساكنين إذا كان قبل كل واحدة منهما حركتها عند وقفك على الكلمة ، فمدّهما أدنى مدة كقوله : ﴿ يعيسو ﴾[١١٦] ، ﴿ مُريب ﴾[١١٧] ، ﴿ يعملون ﴾[١١٨] ، ﴿ يشركون ﴾[١١٩] ، ونحو ذلك ، فإذا أنفتح ما قبل الواو سقط المدّ في كل الاحوال ، لاخِلاف في ذلك[١٢٠] .

وقال الخزاعي : ونوع من المشدد ، أشبع تفشي الشين فيه كقوله : ﴿ فبشّرناه ﴾[١٢١] ، وتكلف إظهار الراء لئلا يندغم ومثله ﴿ فاغفرنا له ﴾[١٢٢] ، لأنك إن لم تتكلف إظهار الراء عند النون صارت نونا مدغمة فيما بعدها[١٢٣] . [٧٠ و] .

ومن المشدّد أيضا ميم الجمع تلقى ميماً على مذهب من لم يضم كقوله : ﴿ ومنهم من يقول ﴾ وفي نحوه ، متى لم يشبع تشديد ذلك صار في السمع كميم واحدة[١٢٤] .

ومن المشدّد أيضا ﴿ إيّانا ﴾ و ﴿ أيدّناه ﴾ ونحوها ، فاحذر أن تكون في لفظك جيما ، ولا تقف على الياء من ﴿ اياك ﴾ ونحوه ، وإذا شددت فاقتصر في قراءتك[١٢٥] .

ومن الحروف التي ينبغي تعاهد إظهارها وبيانها واعطائها حقها قوله : ﴿ لِنُحيي بهِ ﴾[١٢٦] ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُ ﴾[١٢٧] ، ﴿ من خزي يومئذ ﴾[١٢٨] ، ﴿ البغي يعظكم ﴾[١٢٩] ، ﴿ مِنَ اللّهوِ وَمِنَ ﴾[١٣٠] ، ﴿ العفوَ وأمر ﴾[١٣١] ﴿ يا صاحِبَي السِّجْنِ ﴾[١٣٢] ، ﴿ نَاشِئَ الليل ﴾[١٣٣] ، ﴿ بَيْنَ يدَي الله ﴾[١٣٤] ونحو ذلك[١٣٥] .

فإذا التقى حرفان من حروف الحلق غير مثلين فيعمد لبيان أحدهما من صاحبه كقوله : ﴿ فمن زحزح عن النار ﴾[١٣٦] ، (واسمع غيرَ مُسمَع ﴾[١٣٧] ، ﴿ لن نبرحَ عليه ﴾[١٣٨] ، ﴿ الريحَ عاصفة ﴾[١٣٩] ﴿ أفرغْ علَيْه ﴾[١٤٠] ، ﴿ فاصبح هشيما ﴾[١٤١] ونحو ذلك[١٤٢] .

وانعم بيان الجيم في قوله ﴿ خرجت ﴾ ونحوه[١٤٣] ، وقوله ﴿ لا تُزغْ قُلوبَنا ﴾[١٤٤] متى لم يتكلف بيان الغين الساكنة كانت تصير قافا[١٤٥] . وبيّن الضاد عند الجيم كقوله ﴿ وأخفضْ جناحَك ﴾ ونحوه[١٤٦] ، وقوله ﴿ بأعْيُنِنا ﴾[١٤٧] ونحوه ، تعمّد بيان الياء فيه من وسط اللسانِ . وقوله ﴿ واقصد في مَشْيِكَ ﴾[١٤٨] بيّن كسرة الياء بعد تخليص تفشي الشين[١٤٩] ، كما تتبين كسرتها في ﴿ معايش ﴾[١٥٠] ، وبيّن الواوين في ﴿ داود ﴾[١٥١] و ﴿ يلوون ﴾[١٥٢] و ﴿ إن يلووا ﴾[١٥٣] على مذهب من قرأه بواوين . وبيّن الياءين في قوله ﴿ حظّ الانثيين ﴾[١٥٤] و ﴿ إحدى الحُسْنَيين ﴾[١٥٥] ونحوها وقوله ﴿ فسبحه ﴾[١٥٦] و ﴿ فأصفح عَنهُم ﴾[١٥٧] بيّن الحاء في ذلك ، وصفّ في قراءتك الصاد والدال والقاف من قوله ﴿ وَمَن أصدق ﴾ ونحوه على قراءة من لم يُشم[١٥٨] ، وابسط لسانك بحروف الإطباق ، وبيّن الزاي في قوله ﴿ مزجيه ﴾[١٥٩] و ﴿ الرجز ﴾[١٦٠] و ﴿ يزجي ﴾[١٦١] ونحوه ، وبَيّنْ الياءين في قوله ﴿ أفَعَيِينا ﴾[١٦٢] ، وحقق كسرة الياء ، وتخفف الياء في قوله ﴿ وَتِمتِها ﴾ . وبيّن اللام في ﴿ غِلْظة ﴾ ونحوها ، وأخف النون في ﴿ أنتُم ﴾ .

ولا تُجاوز بالممدود منزلته ، ولا تُقصّر بالمقصور عنْ درجتهِ ، وإيّاك والتمطيط والتمضيغ والتشديق ، والإتكاء على مخارج الحروف[١٦٣] .

واحذر أن تُخرج طرفَ لسانِكَ بالذّال والظاء والثاء ، وأعلمْ أنّ الضّادَ متى أجتمعتْ في كلمة (مع) التاء ، ولم يُتكلف بيانُها

أدغمتَ في التاء أو قاربت ذلك ، وذهب الإطباق كقوله ﴿ عرضتم ﴾ ونحوه ، وكذلك حال الظاء مع التاء في (أوعظت)(١٦٤) . وأشبع كسرة الياء في قوله (ترين) ونحوه .

قال الخزاعي : سمعت الشذائي يقول : سمعت ابن مجاهد يقول في قوله [٧٠ ظ] ﴿ كهيعص ﴾(١٦٥) : ينبغي أن يلفظ بالكاف والعين والصاد بلفظ واحد . هذا على قراءة من أظهر الدال من صاد عند الذال ، فأما من أدغمها فالصاد أطول قليلا لعلة الإدغام(١٦٦) .

وقال بعض المحققين من أهل الصناعة(١٦٧) : ينبغي لقارىء القرآن أن يتوقى الافراط في الهمزات ، وترعيد المدات ، وتسمين اللامات ، وتغليظ الراءات ، وتطنين النونات ، وتفخيم الضمات والفتحات والكسرات .

وأن يجتنب تشديد الباء اذا كانت قبلها نون ساكنة لانها شديدة في نفسها بل يقلبها ميما عندها كقوله ﴿ من بعد ﴾(١٦٨) ، ﴿ ومن بلغ ﴾(١٦٩) و ﴿ إمساك بمعروف ﴾(١٧٠) ونحو ذلك(١٧١) .

ومثلها الميم عند الباء في قراءة أبي عمرو(١٧٢) في ﴿ الادغام الكبير ﴾(١٧٣) فلايدغمها بل يحذف حركة الميم ويخفيها(١٧٤) .

قال سيبويه(١٧٥) : الميم لا يدغم في الباء وذلك قولك ﴿ أكرم به ﴾ لانهم قد يقلبون النون ميما في ﴿ العنبر ﴾ ونحوه ، فلما وقع مع الباء الحرف الذي يفرّون إليه من النون ، تركوه ولم يغيّروه(١٧٦) .

وقال الكسائي : الميمُ تُدغم عند الباء نحو قوله : ﴿ لا أقسمُ بيوم القيامة ﴾(١٧٧) ، وإلى قوله هذا ذهب ابن مهران(١٧٨) .

والطاء في ﴿ الصراط ﴾(١٧٩) و ﴿ اضطُرِ ﴾(١٨٠) وشبههما ، تأتي بها خفيفة ، مطبقة ، لشدّتها في نفسها(١٨١) ، ويبالغ في إبراز الصاد صافية قبلها لئلا تدغما لتجانسهما من جهة الإطباق ، وكذلك إذا تقدمتها (سين) ساكنة ، نحو ﴿ بَسْطةً ﴾(١٨٢) و ﴿ القِسْط ﴾(١٨٣) و ﴿ يسطرون ﴾(١٨٤) لئلا تختلطا(١٨٥) .

ويُجتنبُ المبالغةُ في مدّ ﴿ الضالّين ﴾ و ﴿ العادّين ﴾ ونحوها ، بل يَمدُّها مدّاً وسطاً تعدل حركةً دونَ المَدّةِ التي تجيءُ نَبرةً بعدَها كـ ﴿ القائمين ﴾ و ﴿ الطائعين ﴾ و ﴿ دعاء ﴾ و ﴿ نداء ﴾ وأشباهما ، لان المدّةَ للهمزة أتمّ منها لغيرها(١٨٦) .

وتختلسُ الكسرةُ التي جاءت بعدها ياءٌ مفتوحةٌ كقوله : ﴿ لاشِيَة ﴾(١٨٧) و ﴿ الغاشِية ﴾(١٨٨) و ﴿ فَدِيَة ﴾(١٨٩) ونحو ذلك لانّ ﴿ الشِيَة ﴾ و ﴿ الدِيَة ﴾ مثل ﴿ صِلَة ﴾ و ﴿ عِدَة ﴾ لئلا يزيد ياءٌ ساكنةٌ قبلها(١٩٠) .

وتُختلس ضمة الهاء من ﴿ هُو ﴾ ، ﴿ فَهُو ﴾ ، ﴿ لَهُو ﴾ على قراءة من ضمّها لئلا يزيد واواً ساكنة قبلها ، وكذا إن كانت مشددة نحو : ﴿ قوّة ﴾ و ﴿ عدوّ ﴾ إذ هما بمنزلة ﴿ قدّ ﴾ و ﴿ صدّ ﴾(١٩١) .

وإن اجتمعت واوان أو ياءان متحركتان نحو : ﴿ العفوَ وأمر ﴾(١٩٢) و ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُ ﴾(١٩٣) ترفّق في إخراجها سليمتين لئلا تندغما ، فإنْ سُكنت الياءُ وانكسر ما قبلَها أو سكنت الواو وانضمّ ما قبلها ، أشبعهما من غير غنّة نحو : ﴿ يؤمنون ﴾ و ﴿ المؤمنون ﴾ و(المؤمنين) ، فإن انفتح ماقبلها تختلسهما نحو : (كيف) و (أين) و (عليهم) . و ﴿ علَيْهِم ﴾ و ﴿ خَلَوْا ﴾ و ﴿ تَنفوا ﴾ ، وإلّا تحركتا(١٩٤) .

ويُتَمَهّدُ إدغامُ النّون والتنوين عند الميم لانه يصيرُ ميماً مثلها حكما ، وعلى هذا الحكم يُتصوّرُ اجتماعُ ثماني ميمات متواليات في القرآن لفظا فإن أدغمها إدغاماً محضا وإلا كان مُخلّا بها(١٩٥) . [٧١ و] .

ويتفقد إخراج الدال إذا جاءت بعدها خاء نحو : ﴿ يدخلون ﴾ أو سكنت هي بعد جيم نحو : ﴿ فتهجد ﴾(١٩٦) لئلا تنقلب عندها تاء(١٩٧) .

ويُجتهد في إبراز الغين والخاء اذا سكّنا عند الشين نحو : ﴿ يخشىٰ ﴾ و ﴿ يغشى ﴾ لئلا تختلطا ، وكذلك الجيم قبل التاء والسين نحو ﴿ اجْتَبيه ﴾(١٩٨) و ﴿ الرِّجْس ﴾(١٩٩) ، ومثله اذا كانت قبلها أو بعدها زاي نحو : ﴿ يزجي ﴾ و ﴿ رجزا ﴾ ، فجُد في اخراجهما من مخرجهما لئلا ينقلبا حرفين خارجَين عن لسان العرب(٢٠٠) .

وكذلك اللام عند الجيم لئلا تندغم اللام فيها إذ اللامُ إنّما تُدغَم في النّصف من حُروف التهجّي ، وليست الجيمُ في حَيزها (٢٠١) .

ويُحفظ إبرازُ الذّال والجهرُ بها لئلا يُخرجَها شبيهةً بالثاء .

وتَخلُص اللاماتُ إذا سكنتْ عند النونات ، وتخفيفُ النونات بعدها لئلا تَتشرب اللّام غنّةَ النّون لقرب مَخرجهما ، فيَلصق طرفَ لسانِه بما يليه من الحنكِ ومَخرجِ اللّام ، ويُنطق بالنون من غير اضطراب لئلا يؤدي الى حركة اللام قبلها(٢٠٢) .

ويرقق الراء في مثل قوله : ﴿ اغفر لنا ﴾(٢٠٣) ، واللام في اسم الله تعالى إذا انكسر ما قبلها لئلا يحتاج اللسان الى عملين مختلفين فيها ، ويفخّمها اذا انضمّ أو انفتح ما قبلها غير أنه يتوقى التفخيم في لام أخرى قبلها خفيفة كانت أو شديدة إذ

التفخيم اختص بهذا الاسم تعظيما[٢٠٤] .

وتخفف التاء من باب افتعل واستفعل[٢٠٥] ، والقاف اذا جاءت بعد نون ساكنة[٢٠٦] لئلا تشدّا في انفسهما[٢٠٧] .

والهمزة اذا كانت قبلها ياء أو واو مفتوح ما قبلها فيخرجها من الصدر إخراجا سهلا[٢٠٨] وقد ذكر ابو مزاحم الخاقاني[٢٠٩] في قصيدته :

وإن تــكُ قبــلَ الــواوِ واليــاء فتحــةٌ
وبعــدَهمُا همـزٌ هَمَزْتَ على قَــدْر[٢١٠]

ويحفظ إسكان الميم الساكنة إذا أراد إظهارها عند الفاء والواو ، فتطبق شفتيه بالميم ، ويلحق باطن الشفة السفلى بالثنايا العليا عند انفتاحهما من غير ابطاء يؤدي الى حركتها . وقد ذكره ايضا وهو :

ولا تُــدغمنّ الميمَ إنْ جئتَ بعــدَهــا
بحــرفٍ سواهــا واقبلِ العلمَ بــالشُكر[٢١١]

وله أيضا في هذا المعنى :

أدغمْ إذا مــا قرأتَ الــلّام في الــزاء
وبَيِّنْ الميمَ عنــدَ الفــاء والــواوِ[٢١٢]

وقد روى إدغام ذلك أحمد بن أبي سريج النهشلي عن الكسائي ، وهو رديء عند أهل الاداء ، وكأنه أراد اخفاءها عند الفاء ، وهو أن لا يطبق شفتيه للميم بل يجعلها غنةً في خياشيمه[٢١٣] .

ويُشبع الواو والياء الشديدتين عند أختيهما ، نحو : ﴿ والعشيّ يريدون وجهه ﴾[٢١٤] و﴿ بالغدوّ والاصال ﴾[٢١٥] .

وينعم بيان الحلقية لئلا يدغم احداهما في الاخرى نحو : ﴿ فأصفح عنهم ﴾[٢١٦] ، ﴿ وأسمع غير ﴾[٢١٧] ، و﴿ لا تتبع أهواءهم ﴾[٢١٨] ، [٧١ ظ] وبيان الياء من ﴿ صاحِبيْ ﴾ و﴿ طرفَيّ ﴾ و﴿ تُلُثي ﴾ و﴿ بينَ يدَي ﴾ لئلا يشدّدها أو يهمزُها[٢١٩] . وبيان الدال الساكنة عند النون ، نحو : ﴿ ولقدْ نعلم ﴾ لئلا يدغمها فيها[٢٢٠] ، وقد رواه الدنداني[٢٢١] عن الازرق[٢٢٢] عن نُصير[٢٢٣] وهو بعيد جدا .

وتشدّد الميم الساكنة عند أختها الا من يَضُمّ[٢٢٤] . وكذلك الحرفان المثلان بغير غنة اذا كان الاول بالسكون من غير النوائب ، فإن الواو والياء لا تدغمان في مثلها الا اذا آنفتح ما قبلهما[٢٢٥] ، فاما اذا انكسر ما قبل الياء أو آنضمّ ما قبلَ الواو خرجتا عن حيز المثلين[٢٢٦] .

ويُلفظ بحروف التهجّي كما تَلفِظُ ألف ، بـ ، تـ ، ثـ ، فتَحها أو أمالها ، وتُشبعُ الثلاثية لما فيها من حروف النوائب الا أن يكون ما قبلها من غير جنسها نحو : العين من ﴿ عَسَقَ ﴾ وعين صاد[٢٢٧] .

ويختلف اللّحنُ في الأُلفات عند الوقف عَليْها كقوله : ﴿ لشتّى ﴾ ، ﴿ اليُسرى ﴾ ، ﴿ العُسْرى ﴾ و﴿ قديراً ﴾ ، ﴿ عَليماً ﴾ ونحو ذلك ، فمن الناس من يقف عليها وعلى أمثالها بنبرة الألف ، ومنهم من يقف عليها بالغُنّة ، ومِنهمْ من يقفُ عليها بالهاء ، وكلّها لحن[٢٢٨] .

وقال ابن محمد جعفر بن محمد الهمذاني[٢٢٩] :تقويم القرآن كما قالَ الله عز وجل : ﴿ ورتل القرآن ترتيلا ﴾[٢٣٠] ، وهوما يقرؤه القرّاء العلماء ، ويعرفه الادباء الفصحاء وما سوى ذلك فهو عَيْبٌ .

قال : وحدُّ القراءة ستةُ أشياء : معرفةُ الساكن منَ المتحرك ، والممدودِ من المقصورِ ، والمهموزِ من غيرِ المهموزِ ، والإدغام والإظهار ، والوقفِ والابتداء ، وإخراج الحروف من أماكنِها ، فإذا عَرفَها ، ووضعَها مواضعَها ، فقد رتّلَ القرآنَ[٢٣١] . [٧٢ و] .

أ . هـ

هوامش الباب السابع والعشرين

(١) ينظر : التجديد : ٨٥ ، المُوضح : ٦١ .

(٢) عالم بغدادي كبير القدر ولا سيمّا في القراءات ، وهو مؤلف (كتاب السبعة في القراءات) توفي سنة ٣٢٤ هـ . (ينظر : غاية النهاية : ١ / ١٣٩ ، معجم المؤلفين : ٢ /١٨٨) .

(٣) ينظر : السبعة في القراءات : ٤٩ ، رسالة التنبيه على اللحن الجلي (مجلة) : ٢٦٠ . التحديد : ١١٨ ، الموضح : ٥٧ ، ٦١ ، جمال القراء : ٢ /٥٢٩ .

(٤) إمام مقرىء ، ثقةٌ ورع ، مؤلف كتاب (جامع الوقوف) ، قرأ عليه جلّة من الشيوخ توفي سنة ٤٥٤ هـ . ينظر : غاية النهاية : ١/٣٦١ ، النشر : ١ / ٢١٢) .

(٥) ينظر : رسالة التنبيه على اللحن الجلي : ٢٨٢ ، التحديد : ٩٥ ، الموضح : ٢١٢ .

(٦) لكز الهمزة : البلوغ بالمتحركة فوق حقها ، وكسوة الساكنة ضيقا ربّما أخرجها عن السكون الى التحريك . (ينظر : ابن البناء : بيان العيوب (مجلة) : ٣١ ، التحديد : ٧٣) .

(٧) جاء في الإيضاح : ٧٤ ظ الحروف الذائبة ثلاثة : الياء المكسورة ما قبله والواو المضموم ما قبله ، والألف ولا يجيء الا مفتوحاً ما قبله ، وهذه الحروف حروف المدّ واللين ، سُمّيت بذلك لانها تذوب وتلين وتمتد ، وما عداها جامد لانه لا يلين ولا يذوب ولا يمتد » . ولمزيد من التفصيل عن هذين المصطلحين ينظر (الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ، المبحث الثالث : ١٥٥) .

(٨) الحروف الخفيّة : الهاء والألف والياء والواو ، وذلك لاتساع مخرجهنّ . ينظر : (الكتاب : ٤ / ١٢٣ ، ١٦١ ، ١٦٥ ، والرعاية : ١٢٧ ، الموضح : ٩٧) .

(٩) التطنين في اللغة : صوت الطست عند ضربه ، وأصطلاحا : المبالغة في تمديد الغنّة . ينظر : التنبيه على اللحن الجلي : ٢٧٧ ، الموضح : ١٢٠ ، ١٦١ ، جهد المقل : ٢٨٨ .

(١٠) ينظر : التحديد : ١٧١ (باب ذكر أحوال الحركات في الوقف وبيان الروم والاشمام) .

(١١) يستخدم المؤلف في أثناء كلامه ثلاثة مصطلحات هي : الإشباع والاختلاس والاشمام فالإشباع هو أن يؤتى بالحركة تامة كاملة ، والاختلاس هو إضعاف الصوت بالحركة فيبقى لها أثر في السمع ، وقد يُسمّى بالروم ، أما الإشمام فهو ضمّ الشفتين بالحرف الموقوف عليه اذا كان مرفوعا ، دون أن يظهر للحركة إثر في السمع فالإشمام لرؤية العين بينما الروم للاذن ، وقد يستخدم الروم والاشمام كل واحد في معنى الاخر عند بعض العلماء ، ومكانه كتب القراءة واللغة . ينظر : المصدر السابق الصفحة نفسها ، التيسير في القراءات السبع : ٥٩ رسالة التنبيه على اللحن الجلي : ٢٦٤ هامش المحقق الفاضل .

(١٢) لمزيد من التفصيل ينظر : التنبيه على اللحن الجلي : ٢٨٤ ، الموضح : ١٣٧ .

(١٣) ينظر : التنبيه على اللحن الجلي : ٢٧٨ ، الرعاية : ٢٥٨ ، الموضح : ١١٩ .

(١٤) ينظر : التحديد : ١٦٨ ، الموضح : ١٦٤ ، ١٧٢ ، يقف القارىء فيها على آراء العلماء وتباينها في علاقة الميم بالاصوات المذكورة .

(١٥) ويطلق عليها (حروف التفشي) وهي حروف فيها غنة وتفشّى وتأفف وتكرار ومعنى التفشي : انتشار خروج الريح عند النطق .
وقد وصف علماء التجويد المتقدمون (الشين والضاد والفاء) بالتفشي ، أما إطلاق هذه الصفة على صوتي الميم والراء فهو من عمل المتاخرين ، وفيه توسّع لا يحتمله التصنيف الدقيق للاصوات .
ينظر : الرعاية : ١١٠ ، التحديد : ١٠٩ ، الدراسات الصوتية : ٣١٩ .

(١٦) حروف الصفير ثلاثة : الصاد والسين والزاي ، سميّت بذلك لانك تسمع فيها شبيهاً بالصفير عند إخراجها من مواضعها . ينظر : العين ١ / ٥٧ ، المقتضب ١ / ١٩٣ التحديد : ١٠٩ ، الموضح : ٩٧ .

(١٧) وهي لهجات غير مسموعة في لغة مَنْ تُرتضى عربيته ، ولا تَحسُنُ في قراءة قرآنٍ ولا إنشادِ شِعْرٍ . ينظر : الكتاب : ٤ / ٤٣٢ ، شرح كتاب سيبويه : ٦ / ٤٤٨ ، ٤٥٠ .

(١٨) لعلّ المؤلف نقل لنا قول الرازي من كتابه المفقود في (التجويد) ، الذي أشار اليه ابن الجزري في النشر ١ / ٢١٢ .

(١٩) هو محمد بن جعفر بن عبدالكريم ، أبو الفضل الخزاعي الجرجاني ، من أئمة القراء الموثوق بهم ، مؤلف كتاب (المنتهى في الخمسة عشر) وكتاب (تهذيب الاداء في السبع) توفي سنة (٤٠٨ هـ) ينظر : غاية النهاية ٢ : ١٠٩ .

(٢٠) ورد هذا القول في رسالة ابن البناء (بيان العيوب : ٣٤) من غير إسناد .

(٢١) العبارة للداني في التحديد : ١٢٠ ، وينظر : الرعاية : ١٤٥ ، الموضح : ١٢٣ ، التمهيد ١١٦ .

(٢٢) هو أبو بكر أحمد بن نصر بن منصور الشذائي ، أحد القراء المشهورين ، قرأ على ابن مجاهد وأبي مزاحم موسى الخاقاني ، قرأ عليه أبو الفضل الخزاعي وغيره ، توفى سنة ٣٧٣ هـ . ينظر (معرفة القراء الكبار : ١ / ٣١٩ ، غاية النهاية : ١ / ١٤٤) .

(٢٣) الأعراف : ٢٩ .

(٢٤) النحل : ٧٧ .

(٢٥) آل عمران : ٣١ .

(٢٦) جاء في التحديد : ١٥٤ « اعلموا أن الراء اذا تحركت بالفتح أو الضم أو سكنت ، ولم تقع قبلها كسرة لازمة من نفس الكلمة التي هي فيها ، فهي مفخمة ، باجماع من القراء » وينظر الرعاية : ١٩٦ ، الموضح : ١٠٥ ، جهد المقل : ١٤٧ .

(٢٧) هود : ٨١ .

(٢٨) الفرقان : ١٥ .

(٢٩) الفرقان : ٤٩ .

(٣٠) البقرة : ١٢٥ .

(٣١) الاسراء : ٢١ .

(٣٢) الاسراء : ٨٠ .

(٣٣) ص : ٢٣ .

(٣٤) يونس : ٢٨ ﴿ فَزَيَّلْنَا بينهم ﴾ .

(٣٥) ينظر : الرعاية : ١٨٩ ، التحديد : ١١٩ ، الموضح : ١٥٩ .

(٣٦) النساء : ٨٨ .

(٣٧) البقرة : ٢٧٥ .

(٣٨) المائدة ٨٩ .

(٣٩) البقرة ٢١٩ .

(٤٠) في سورة الملك (من تفاوت) .

(٤١) سبأ : ٥٢ .

(٤٢) مريم ١٥ .

(٤٣) آل عمران ١٠٦ .

(٤٤) الكهف ٢٩ .

(٤٥) الحجر ٢٠ .

(٤٦) هود ١١٤ .

(٤٧) يوسف ٣٩ .

(٤٨) المزمل ٢٠ .

(٤٩) ينظر : التنبيه على اللحن : ٢٦٦ ، التحديد : ١٣٥ ، الموضح : ١٩٩ .

(٥٠) سورة ص ٢٤ .

(٥١) يونس ١٢ .

(٥٢) ينظر : الرعاية : ٢٥٥ باب المشددات ، التحديد : ١٣٧ ، الموضح : ١٤٣ . النشر : ١ / ٢١٨ وفيه تفصيل جميل .

(٥٣) البقرة ٢٨٠ .

(٥٤) المائدة ٩٠ .

(٥٥) الاسراء ٢٨ .

(٥٦) الكهف ٥٨ .

(٥٧) اقتبس المؤلف العبارة من (الموضح : ٢٠١) بالحرف الواحد .

(٥٨) الحج : ٧٢ .

(٥٩) الاسراء ٥٨ .

(٦٠) الاسراء ٣٥ .

(٦١) الانعام : ٣٥ .

(٦٢) ينظر : التحديد ١٤٩ ، والعبارة له :

(٦٣) البقرة : ٢٢ وفي الاصل (فلا عليهم) .

(٦٤) الانعام : ١١٠ وفي الأصل ﴿ لا طغيانهم ﴾ .

(٦٥) الانعام : ١٥٠ .

(٦٦) هذا ما ذهب اليه مكي في (الرعاية : ٢٣٣) ، والداني في (التحديد : ١٦٩) ويرى القرطبي . خلاف ذلك ، جاء في (الموضح : ١٧٢) : اذا سكنت الميم وبعدها باء وجب إخفاء الميم معها كقوله تعالى : ﴿ هم به يؤمنون ﴾ ، ﴿ أمنتم به ﴾ .

(٦٧) هو أبو الحسن أحمد بن يزيد ، إمام كبير ، عارف ، قرأ بمكة على احمد ابن محمد القوّاس وبالمدينة على قالون ، وبالكوفة على خلف بن هشام (ت ٢٥٠ هـ) ينظر : غاية النهاية ١ / ١٥٠ .

(٦٨) هو أبو محمد خلف بن هشام الاسدي ، مقرىء مشهور ، من القراء العشرة ، قرأ عليه أحمد بْن يزيد الحلواني وغيره (ت ٢٢٩ هـ) ينظر : غاية النهاية ١ / ٢٧٢ .

(٦٩) هو أحمد بن أبي سريج ، ابو بكر النهشلي الرازي ، ثقة ، ضابط ، كبير ، وهو شيخ البخاري وأحد أصحاب الشافعي ، قرأ عليه جلّة من العلماء (ت ٢٣٠ هـ) ينظر : (غاية النهاية ١ / ٦٣) .

(٧٠) هو علي بن حمزة ، القارىء واللغوي المشهور (ت ١٨٩ هـ) ، ينظر غاية النهاية ١ / ٤٢٣ ، ٥٣٥ .

(٧١) لمزيد من التفصيل ، ينظر : التحديد : ١٦٧ ، منهاج التوفيق (مجلة) : ٣٣٨ .

(٧٢) يونس : ٢٤ .

(٧٣) الاسراء : ٦٤ .

(٧٤) المائدة : ٢٥ .

(٧٥) النمل : ٢٢ .

(٧٦) الزمر : ٥٦ .

(٧٧) ينظر : الرعاية : ٢٠٥ ، التحديد : ١٤١ ، ١٤٢ ، الموضح : ١٨٥ ، ١٨٩ .

(٧٨) النمل : ٧ .

(٧٩) الأعراف : ١٤٤ .

(٨٠) النمل : ٥٩ .

(٨١) ينظر : الرعاية : ٢١٥ ، التحديد : ١٤٧ ، الموضح : ١٧٩ .

(٨٢) في التحديد : ١٥١ « إذا أتى الزاي ساكناً تُخصّ مما بعدها » .

(٨٣) التوبة : ٣٥ .

(٨٤) هود : ٣١ .

(٨٥) آل عمران : ٩٠ .

(٨٦) النساء : ١٢٤ .

(٨٧) في التحديد : ١٤١ « فتصير غنّة مدغمة » وينظر الموضح : ١٦٣ .

(٨٨) البقرة : ١٦ ، ١٧٥ .

(٨٩) آل عمران : ١٧٨ .

(٩٠) آل عمران : ١٦٧ .

(٩١) المجادلة : ٢٢ .

(٩٢) المائدة : ٣١ .

(٩٣) آل عمران : ٢٥ .

(٩٤) الكهف : ٤٩ .

(٩٥) النساء : ١١ .

(٩٦) الأعراف : ٢٠ .

(٩٧) ينظر : التنبيه على اللحن : ٢٦٦ باب الواو ، عوّل الاندرابيّ عليه كثيرا .

(٩٨) النور : ٣٦ .

(٩٩) الكهف : ٢٤ .

(١٠٠) البقرة : ١٣ .

(١٠١) المائدة : ٤١ .

(١٠٢) النساء : ١٤٩ (أو) .

(١٠٣) سورة ص : ٦ ﴿ أن أمشوا ﴾ . وفي الملك : ١٥ ﴿ فأمشوا ﴾ .

(١٠٤) التغابن : ١٤ .

(١٠٥) الرعد : ٢٢ .

(١٠٦) آل عمران : ٢٠٠ .

(١٠٧) البقرة : ٦١ .

(١٠٨) ينظر : التنبيه على اللحن : ٢٦٩ وما بعدها ، الرعاية : باب الواو ، الموضح : ١٥٤ .

(١٠٩) البقرة : ٤ .

(١١٠) المائدة : ٧٥ .

(١١١) النساء : ١٢ .

(١١٢) الفجر : ٢٧ .

(١١٣) الأنعام : ١٥٢ .

(١١٤) آل عمران : ٩ .

(١١٥) الرعد : ٢٠ .

(١١٦) في الطور : ٤٠ « تُسير » .

(١١٧) هود : ٦٢ .

(١١٨) يونس : ١٢ .

(١١٩) الأعراف : ١٩٠ .

(١٢٠) ينظر : التحديد : ١٣٢ ، الموضح : ١٢١ .

(١٢١) « لان التفشي مزيّة يجب حفظها عليها » الموضح : ١٤٨ .

(١٢٢) سورة ص : ٢٥ .

(١٢٣) ينظر : الرعاية : ١٧٥ ، التحديد : ١٥٤ .

(١٢٤) جاء في الرعاية : ٢٣٢ « وينبغي أن يكون تشديد الميمين آخذاً حالاً متوسطة من غير إشباع ولا ترفيه » . وينظر : الموضح : ١٤٨ .

(١٢٥) جاء في النشر ١ / ٢٢٤ « وبعض القراء يبالغ في تشديدها فيحصرمها » .

(١٢٦) الفرقان : ٤٩ .

(١٢٧) النحل : ٩٧ وفي الاصل (لنحيينه) .

(١٢٨) هود : ٦٦ .

(١٢٩) النحل : ٩٠ .

(١٣٠) الجمعة : ١١ .

(١٣١) الاعراف : ١٩٩ .

(١٣٢) يوسف : ٣٩ .

(١٣٣) المزمل : ٢٠ .

(١٣٤) الحجرات : ١ .

(١٣٥) ينظر : التحديد : ١٣٦ ، الموضح : ١٩٤ ، ١٩٥ .

(١٣٦) آل عمران : ١٨٥ .

(١٣٧) النساء : ٤٦ .

(١٣٨) طه : ٩١ .

(١٣٩) الانبياء : ٨١ .

(١٤٠) الكهف : ٩٦ .

(١٤١) الكهف : ٤٥ .

(١٤٢) جاء في التحديد : ١٢٨ « وحروف الحلق لا يدغم فيها شيء الا ما تماثل في اللفظ لا غير لقلتها » .

(١٤٣) ينظر : التنبيه على اللحن : ٢٧٤ ، الموضح : ١٨٣ .

(١٤٤) آل عمران : ٨ .

(١٤٥) لقرب مخرجها منها ، ينظر الرعاية : ١٦٩ ، التحديد : ١٢٩ .

(١٤٦) ينظر : التحديد : ١٦٣ .

(١٤٧) هود : ٣٧ .

(١٤٨) لقمان : ١٩ .

(١٤٩) جاء في الموضح : ١٦٩ « فما لم يتمهل لبيانها لا يؤمن من أن تندغم فيها وذلك قبيح » .

(١٥٠) الحجر : ٢٠ .

(١٥١) المائدة : ٧٨ .

(١٥٢) آل عمران : ٧٨ .

(١٥٣) في القرآن (تلْوُا) النساء : ١٣٥ .

(١٥٤) النساء : ١١ .

(١٥٥) التوبة : ٥٢ ، وينظر : التحديد : ١٣٦ ، الموضح : ٢٠٠ .

(١٥٦) سورة ق : ٤٠ .

(١٥٧) الزخرف : ٨٩ وينظر الرعاية : ١٥٨ .

(١٥٨) وهو مذهب الجماعة خلا حمزة والكسائي فإنهما يلفظان بالصاد مشمومة . زاياً . ينظر : التيسير : ٩٧ ، الرعاية : ٢١٥ .

(١٥٩) في القرآن الكريم (مُزجاة) يوسف : ٨٨ .

(١٦٠) الأعراف : ١٣٤ .

(١٦١) الأسراء : ٦٦ .

(١٦٢) سورة ق : ١٥ .

(١٦٣) ينظر : التحديد : ٧٣ ، ٨٩ ، بيان العيوب : ٣٣ ، النشر ١ / ٢١٢ ، جهد المقل : ٥٩ .

(١٦٤) الشعراء : ١٣٩ ، جاء في التحديد : ١٤٣ « وليس في القرآن غيره ، وقد جاء فيه عن أبي عمرو والكسائي ما لايصح في الاداء ولا يؤخذ به في التلاوة » وينظر : الاقناع ١ / ١٨٧ جمال القراء : ٢ / ٥٣٠ ، منهاج التوفيق (مجلة) : ٢٣٧ .

(١٦٥) قوله تعالى ﴿ كٓهيعٓصٓ ، ذِكْرُ ﴾ أول سورة مريم .

(١٦٦) ينظر : السبعة في القراءات : ٤٠٦ ، التنبيه على اللحن : ٢٨٤ ، التيسير في القراءات : ١٤٨ .

(١٦٧) لعلّه السعيدي لان النص له ، ينظر التنبيه على اللحن : ٢٦٠ .

(١٦٨) التوبة : ١١٧ .

(١٦٩) الانعام : ١٩ .

(١٧٠) في القرآن (فإمساك) البقرة : ٢٢٩ .

(١٧١) ينظر : الرعاية : ٢٦٥ ، التحديد : ١١٧ ، الموضح : ١٧٤ .

(١٧٢) هو الامام العالم العلّامة ابو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان الداني (ت ٤٤٤ هـ) - صاحب التصانيف المشهورة في علوم اللغة والقراءات والتجويد : ينظر : غاية النهاية ١ / ٥٠٥ ، التحديد : ٧ - ١٤ مقدمة المحقق الفاضل) .

(١٧٣) ٢٤ ، ٠ نقلا عن الدرس الصوتي والنحوي عند الداني : ١٢٥ ، ١٢٦ .

(١٧٤) جاء في التحديد : ١٦٨ « فعلماؤنا مختلفون في العبارة

عنها معها » ، ويجد القارىء تفصيلا للآراء مع ذكر أصحابها . وينظر التنبيه على اللحن : ٢٦٢ ، الموضح : ١٧٢ .

(١٧٥) هو عمرو بن عثمان بن قنبر ، إمام في اللغة ، اشتهر بكتابة (الكتاب) في النحو (ت : ١٨٠ هـ) على خلاف .

(١٧٦) ينظر الكتاب : ٤ / ٤٤٧ .

(١٧٧) القيامة : ١ .

(١٧٨) هو الحسين بن علي بن حماد بن مهران ، ثبت ، محقق ، قرأ على الحلواني وابن ابي شريح قال عنه الذهبي : كان محققاً لقراءة ابن عامر (ت ٣٠٠ هـ) ينظر غاية النهاية ١ / ٢٤٤ .

(١٧٩) الفاتحة : ٦ .

(١٨٠) القمر : ٢٧ ـ ٢٨ .

(١٨١) ينظر : التنبيه على اللحن : ٢٧٦ ، جهد المقل : ٢٧٤ .

(١٨٢) البقرة :٢٤٧ .

(١٨٣)

(١٨٤) الانبياء : ٤٧ .

(١٨٥) ينظر : التنبيه على اللحن : ٢٦٤ ، الرعاية : ٢١٥ ، جهد المقل : ٢٧٦ .

(١٨٦) الفكرة للسعيدي في التنبيه : ٢٦٥ ، ويرى القرطبي في الموضح : ١٣٦ « التسوية بين البابين في المد » .

(١٨٧) البقرة : ٧١ .

(١٨٨) الغاشية : ١ .

(١٨٩) النساء : ٩٢ .

(١٩٠) ينظر : التنبيه على اللحن : ٢٦٦ ، الموضح : ١٩٦ .

(١٩١) المصدر السابق : ٢٦٩ .

(١٩٢) الأعراف : ١٩٩ .

(١٩٢) النحل : ٩٧ .

(١٩٤) قال المرعشي (جهد المقل : ٢٨٦) « وطريق الحذر عن ذلك ، سرعة التلفظ بالواو ، والياء ، وعدم المكث عليهما قدر ألف » .

(١٩٥) نحو قوله تعالى ﴿ وعلى أمم ممن معك ﴾ هود : ٤٨ ، جاء في الرعاية : ٢٠٢ « يجب على القارىء أن يتحفظ بلفظه ، ويبين المشدّدات بالتوسط في تشديدهن كلهنّ مع إظهار الغنّة ، وتبيين التشديد البالغ فيما ليس فيه غنه » ، ينظر الموضح : ١٥٢ .

(١٩٦) الاسراء : ٧٦ .

(١٩٧) ينظر : التنبيه على اللحن : ٢٧٣ .

(١٩٨) ليس في القرآن الكريم .

(١٩٩) الاحزاب : ٣٢ .

(٢٠٠) ينظر : الرعاية : ١٧٦ ، التحديد : ١٣٢ ، الموضح : ١٨٤ .

(٢٠١) جاء في الموضح : ١٥٩ « على أن في العامّة من إدغام اللام في الجيم عادة له فنبّه عليه ليجتنب » .

(٢٠٢) الفكرة للسعيدي ، ينظر التنبيه على اللحن : ٢٧٦ ، الرعاية : ١٨٢ .

(٢٠٣) الحشر : ١٠ .

(٢٠٤) في التنبيه ٢٨٥ : مفخمة ، وحديث المؤلف عن اللام مقتبس منه .

(٢٠٥) نحو : استوى ، استكبر .

(٢٠٦) نحو : منْ قبل .

(٢٠٧) في التنبيه : ٢٧٩ : ويسرع اللفظ بالقاف لتسلم من التشديد لانها شديدة في نفسها ، وهي من حروف القلقلة وينظر : الموضح : ١١٨ .

(٢٠٨) نحو قوله تعالى : ﴿ ولم تك شيئا ﴾ و﴿ ظَنَّ السَّوْءِ ﴾ .

(٢٠٩) هو موسىٰ بن عبيدالله بن يحيى الخاقاني البغدادي ، الامام المقرىء المجوّد ، صاحب الرائية التي قالها في حسن أداء القرآن ، والمشهورة بالقصيدة الخاقانية ينظر : غاية النهاية ٢ / ٣٢٠ ، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ٢٥ .

(٢١٠) البيت المذكور هو السادس والثلاثون من القصيدة الخاقانية . ينظر : التنبيه على اللحن : ٢٨٠ ، القصيدة الخاقانية (مجلة) : ١٢٥ .

(٢١١) البيت الاربعون من القصيدة الخاقانية .

(٢١٢) لا يوجد هذا البيت في القصيدة الخاقانية ، ولعلّ للخاقاني أبياتاً اخرى في التجويد ، هذا أحُدها .

(٢١٣) ما ذكره الاندرابي عن الميم مقتبس من التنبيه : ٢٨٣ ، وينظر التحديد : ١٦٧ .

(٢١٤) الكهف : ٢٨ .

(٢١٥) النور : ٣٦ . وينظر : الرعاية : ٢٣٨ .

(٢١٦)الزخرف : ٨٩ .

(١١٧) النساء : ٤٨ .

(٢١٨) المائدة : ٥١ ، جاء في الموضح : ١٨٨ « حروف الحلق اذا تجاورت وجب تخليص بعضها من شائبة بعض ، وإفراد كل حرف منها بمزيته وصفته الخاصة » .

(٢١٩) ينظر : التحديد : ١٣٤ ، الموضح : ٢٠٠ .

(٢٢٠) في الرعاية : ٢٠١ « لئلا تخفى عند النون لسكونهما واشتراكهما في الجهر وتقارب المخارج » . وينظر : التحديد : ١٤١ ، الموضح : ١٦٣ .

(٢٢١) هو محمد بن إدريس ، أبو عبدالله الاشعري المعروف بالدنداني ، مقري مشهور (ت بعد ٢٤٠ هـ) روى القراءة عن نصير ، (غاية النهاية ٢/ ٩٧) .

(٢٢٢) هو يوسف بن عمرو ، أبو يعقوب المدني المعروف بالأزرق ،

ثقة، محقق، ضابط، أخذ القراءة عرضا وسماعاً عن ورش (ت ٢٤٠ هـ) ينظر: غاية النهاية ٢ / ٤٠٢.

(٢٢٣) هو نصير بن يوسف، المقرىء النحوي، أستاذ، كامل الثقة، أخذ القراءة عرضا عن الكسائي (ت في حدود ٢٤٠ هـ) ينظر: غاية النهاية ٢ / ٣٤٠.

(٢٢٤) في الرعاية: ٢٢٣: « وإذا لقي الميم وهي ساكنة ميم أخرى، وجب الادغام واظهار تشديد متوسط، وإظهار غنّة في الميم الأولى الساكنة كقوله (ومنهم من يؤمن).

(٢٢٥) نحو قوله تعالى: (غضوْا وكانوا)، البقرة: ٦١.

(٢٢٦) نحو قوله تعالى: ﴿ آمنوْا وَهاجَروا ﴾، وينظر: التنبيه: ٢٧٠، والفكرة لصاحب الرعاية: ٢٣٩.

(٢٢٧) لمزيد من التفصيل عن الحروف المقطعة، ينظر: التنبيه: ٢٨٣، الموضح: ١٣٦.

(٢٢٨) ينظر: الموضح: ٢٠٦، جهد المقل: ٢٧٧.

(٢٢٩) لم أقف على ترجمة له.

(٢٣٠) المزمّل: ٤.

(٢٣١) قريب من هذا القول مُسندً لابي عمرو الداني، ينظر: التحديد: ٨٤.

المصادر والمراجع

١ . القرآن الكريم.

٢ . الإيضاح في القراءات (مخطوط) : لأبي عبدالله أحمد بن أبي عمر المعروف بالإندرابي (ت بعد ٥٠٠ هـ) تحتفظ مكتبة المجمع العلمي العراقي بنسخة مصورة (رقم ١٢٥٧ علوم القرآن).

٣ . الإقناع في القراءات السبع : لابن الباذش (أبي جعفر أحمد ابن علي ت ٥٤٠ هـ). تحقيق عبدالمجيد قطامش، ط ١، دار الفكر، ١٤٠٣ هـ.

٤ . التحديد في الإتقان والتجويد : لإبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤ هـ) تحقيق : د. غانم قدوري حمد، ط ١، ١٩٨٨.

٥ . التمهيد في علم التجويد : لشمس الدين محمد بن محمد المشهور بأبن الجزري (٨٣٣ هـ) تحقيق : د. غانم قدوري حمد، مؤسسة الرسالة.

٦ . التيسير في القراءات السبع : لإبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، صححه : أبو توبرتزل، مطبعة الدولة، استانبول، ١٩٣٠.

٧ . جمال القراء وإكمال الإقراء : علم الدين السخاوي (علي ابن محمد ت ٦٤٣ هـ) تحقيق : د. علي حسين البواب، ١٩٨٧.

٨ . جهد المقل : محمد بن أبي بكر المرعشي (ت ١١٥٠ هـ) دراسة وتحقيق : سالم قدوري حمد (رونيو)، رسالة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية الاداب، ١٩٩٢.

٩ . الدرس الصوتي والنحوي عند الداني : أحلام خليل محمد، رسالة دكتوراه، بغداد، الاداب ١٩٩٧.

١٠ . الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : د. غانم قدوري حمد، مطبعة الخلود، ١٩٨٦.

١١ . السبعة في القراءات : لابن مجاهد، أحمد بن موسى (ت ٣٢٤ هـ) تحقيق : د. شوقي ضيف، دار المعارف ١٩٧٢.

١٢ . شرح الواضحة في تجويد الفاتحة : ابن أم قاسم المرادي (٧٤٩ هـ) تح : عبدالهادي الفضلي / دار القلم.

١٣ . العين : الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ)، تح : د. مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، بغداد، ١٩٨٠.

١٤ . غاية النهاية في طبقات القرّاء : لابن الجزري، عُني بنشره، برجستراسر، مكتبة الخانجي، ١٩٣٢.

١٥ . قراءات القراء المعروفين بروايات الرواة المشهورين : للإندرابي، تحقيق : د. احمد نصيف الجنابي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥.

١٦ . الكتاب : سيبويه (عمرو بن عثمان ت ١٨٠ هـ) تح، عبدالسلام هارون، القاهرة.

١٧ . معجم البلدان : ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ١٩٥٥.

١٨ . المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبدالباقي.

١٩ . معرفة القراء الكبار : شمس الدين الذهبي، تحقيق : محمد سيد جاد الحق، ط ١.

١٧ . النشر في القراءات العشر : لابن الجزري، تصحيح : علي الضباع، دار الكتب العلمية.

المجلات :

● مجلة المجمع العلمي العراقي :

ـ رسالة التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي : لابي الحسن علي بن جعفر السيدي (٤١٠ هـ) تحقيق : د. غانم قدوري حمد، المجلد ٣٦، ج ٢، ١٩٨٥.

● مجلة معهد المخطوطات العربية بالكويت.

ـ الإيضاح في القراءات : دراسة وتعريف الدكتور أحمد نصيف الجنابي المجلد التاسع والعشرون، الجزء الاول، ١٩٨٥.

● مجلة المورد، العراق :

ـ منهاج التوفيق الى معرفة التجويد، تحقيق : صالح مهدي عباس مجلد / ١٧ / ع ٤ / س ١٩٨٨.

ـ القصيدة الخاقانية في القراءة والاداء، للخاقاني، تحقيق : د. علي البواب مجلد ١٤، العدد الاول، ١٩٨٥.

ببليوغرافيا الخط العربي

د . طه محسن
جامعة بغداد ـ كلية الاداب

اعتادت مجلة(المورد) منذ صدورها على أن تنشر فهارس عامة ومتخصصة ، يسجل فيها كاتبوها ثبتاً بعنوانات الكتب والرسائل المخطوطة والمطبوعة ، والمقالات التي تدرس موضوعاً إنسانيا او علميا صرفاً . وهو توجه مفيد ، ييسر على الباحثين والقارئين التعرف على ما صدر وكتب في ذلك الفن .

وفي العدد الرابع من المجلد الخامس عشر ، الصادر عام ١٩٨٦ ، وهو الخاص بـ (الخط العربي) نشر الباحث كوركيس عواد مقاله القيّم (الخط العربي في آثار الدارسين قديماً وحديثاً) المتضمن ثبتاً مستفيضاً منسقاً بما كتب عن الموضوع ، وقدّم له بتمهيد وضح فيه طريقة الفهرسة ، والرموز التي وضعها للالفاظ التي يتردد ذكرها كثيراً في البحث .

واشتمل الفهرس المرتب على وفق السياقة الهجائية لعنوانات المصنفات على (٥٥٧) عنوان ، منها (٣٥٦)كتبت باللغة العربية ، و (٢٠١) كتبت باللغتين الفارسية والتركية ، وباللغات الافرنجية ، وهو متميز بالدقة وبيان المصادر المعتمدة ، ومجانبة تكرار العنوانات .

وتعاود (المورد) إصدار عدد آخر خاص بالكتابة والخط ، وهو الأول من المجلد التاسع والعشرين الصادر في عام ٢٠٠١ ، ويطالعنا فيه وفي العدد الثاني الصادر بعده فهرس بقلم الباحث

حسن عريبي الخالدي عنوانه (ببليوغرافيا الخط العربي وما يتصل به) اشتمل على مقدمة مختصرة جاء فيها (شرعت في إعداد هذه القائمة حسبما أتسع لي من الوقت وجمع موادها على وفق الترتيب الابتثي ، معقداً ـ كذا ـ الاعمال السابقة ، ومستدركاً على ما فات أصحابها مما هو من شرطهم ، وما طبع بعد نشر أعمالهم ما لا يلزمهم . وتصدر هذه الاعمال ثبت شيخ المفهرسين بلا منازع استاذي المرحوم كوركيس عواد المنشور في مجلة المورد الغراء في عددها الرابع من المجلد الخامس عشر الصادر عام (١٤٠٧ - ١٩٨٦) فله رحمه الله فضل السبق والتقدم والريادة ونحن عيال عليه في هذا) .

ثم شرع يذكر عنوانات المصنفات مدرجةً على حسب الترتيب الذي ذكره ، وموزعةً على العددين : الاول المتضمن المصنفات ذات الارقام من (١ - ٢٣٨) .. والثاني المتضمن المصنفات ذات الارقام من (١ - ٣٦٢) فمجموع ما أثبته (٦٠٠) حقل ، كل واحد يضم في الغالب عنوان بحثٍ ، وأسم كاتبه ، وسنة ولادته أو وفاته ، ومكان نشره ، وزمانه ، ومصدره أحياناً ، توزعت على (٢٥) صفحة .

هذه توطئة أردت أن تفضي بي إلى تسجيل تقويم لعمل الاستاذ حسن عريبي ، إذ وجدت فيه اموراً لها حاجة إلى بيان ، واستدراك ، وتعقيب ، ولذلك سألخصها في الاتي :

أولا – صرح الباحث الفاضل أن عمله عيال على الباحث كوركيس عواد . وهذه شهادة منه على سبقه ، وردُّ للفضل الى صاحبه . وهي حسنة في البحث .

ولكنه لما كان ما قدمه (عواد) دراسةً مكتملة طويلة أستقرى فيها جُلّ ما تركه العلماء من مصنفات فلا حاجة إلى إعادته ثانية عل صفحات المجلة نفسها أو غيرها منسوباً الى كاتب آخر . وكان الامر يوجب أن يشير إلى الدراسة بوضوح ، ثم يستدرك عليها بما ندّ عن كاتبها ، أو بما أستجد بعده ، فتتبين لنا حقيقة الزيادة الجديدة وصورتها ، وستكون نافعة من دون شك .

ثانيا – أهمل الباحث ذكر المصنفات المدونة باللغات الشرقية والافرنجية التي ثبتت في البحث السابق ، ولم ينبه عليها أو يشر إليها ، أو يبين سبب تركها ، وكان عليه أن ينبه على وجودها ، ليكتمل تصور القارىء لحجم المكتوب عن هذا الموضوع قبله .

ثالثا – لعل الباحث أراد أن يعوض عما أسقطه أو ترك الاشارة إليه فكرر عنوانات بعينها في أكثر من موضع ، كالذي فعله مثلا في الرقمين ١ و ٣ من الجزء الاول بقوله :

(١ ـ آلة الكاتب أو الكتاب ـ للفراء أبي زكريا يحيى ابن زياد (١٤٤ ـ ٢٠٧ هـ / ٧٦١ ـ ٨٢٢ م) ظ : أبو زكريا الفراء ..

٣ – آلة الكتابة ـ للفراء أبي زكريا يحيى بن زياد (١٤٤ - ٢٠٧ هـ / ٧٦١ - ٨٢٢م) ظ آلة الكاتب) .

وسيأتي بيانٌ أكثر لمثل هذا التكرار .

كما أنه أثبت عنوانات لا علاقة لها بالموضوع ، كالذي جاء في الجزء الثاني تحت الأرقام الاتية :

(٢٢٦ ـ كشاف الدوريات العربية ١٨٧٦ - ١٩٨٤ ..

٢٢٧ ـ كشاف عام للمخطوطات الاسلامية في المكتبة الاهلية (الوطنية) في باريس ـ

٢٤١ ـ المجرد للغة الحديث ـ لابن اللباد الموصلي ..

٢٤٢ ـ مجلة دراسات الشرق الأوسط ..

٢٤٩ ـ المخطوطات الاسلامية (بالانجليزية) ..

هذه العنوانات وطائفة أمثالها مما سيأتي بيانه لا تمت الى ببليوغرافيا الخط العربي بصلة .

رابعاً – زاد الباحث حسن عريبي المصنفات المؤلفة في حرفي الضاد والظاء على اختلاف عنواناتها ، وتنوع مادتها ، سواء أكانت كتباً أم رسائل أم منظومات أم بحوثاً ومقالات ، وسواء أدرست الجانب المعجمي الدلالي من ألفاظ الحرفين أم الجانب الصوتي أم غيرهما .

وهي إضافة لا مسوّغ لها ، فدراسة الالفاظ التي تتضمن حروفاً بعينها لا تعلق لها بموضوعه ، ولذلك لم يدخلها الباحث كوركيس عواد في بحثه ، إيماناً منه بعدم صلتها به ، ولان دراسة العلماء للحرفين سارت في اتجاهات أهمها ثلاثة :

الاول – معجمي يبين دلالة الالفاظ التي تتضمنهما وبيان معانيها .

والثاني – صوتي ، يبحث في مخرج الحرفين ، وصفاتهما ، والموازنة بينهما من حيث النطق .

والثالث – ببليوغرافي يسجل ما أُلف ونُشر من مصنفاتهما . وليس واحد من هذه يصل الى (الخط العربي) بواشجة رحم . ولو قبلنا جدلًا وضعهما هنا لوجب ان نسجل أمثالهما من الحروف التي درسها العلماء مستقلة ، مثل السين والصاد ، والسين والشين ، والدال والذال ، والباء والتاء ، ومثل رسم الالفاظ التي آخرها حروف العلة ، وهي الألف والواو والياء .

ان عدد الحقول التي تضمنت مصنفات الضاد والظاء عنده

هي (١٢٠) حقل، أعطى لكلٍّ واحد منها رقماً مستقلاً.

وستكون هذه المواضع مدار حديثي في المسائل الاتية :

المسالة الاولى – نقل الباحث الفاضل مادة هذه الحقول ملخصة من مقال الدكتور محمد جبار المعيبد (كتب الضاد والظاء عند الدارسين العرب) المنشور في مجلة معهد المخطوطات العربية عام ١٩٨٦ في الجزء الثاني – المجلد الثلاثين.

وهو بحث قوامه (٥٩) صفحة تضمن مقدمة موجزة في نُطق الضاد واتجاهات التأليف في الحرفين، ثم ثبتا منسقاً تضمن (٨٠) حقلاً.

وكانت طريقة كاتبه أن يذكر في كل حقل عنوان البحث : ومؤلفه وسنة وفاته، ومخطوطاته، وتاريخ نشره، ومكانه، وما يرد من أختلاف في العنوان، جامعاً الأشباه إلى نظائرها، فلم تتفرق لديه المعلومات.

هذا فضلاً عن إشارته الى المصادر التي يستند إليها، وأهمها مقدمة الدكتور رمضان عبدالتواب لكتاب (زينة الفضلاء) لابي البركات الانباري، وعدد من مقالات الدكتور طه محسن، ومقدمته لكتاب (الاعتضاد) لابن مالك النحوي.

وإذا كان الاستاذ عريبي قد صرح في مقدمة مقاله بانه عيال على الاستاذ كوركيس عواد فانه لم يذكر مقال الدكتور المعيبد بهذه الصيغة مع انه نقل فقراته جميعها بتلخيص مخلّ. والمبدأ الصحيح يقتضي التصريح بعنوانه : ومكان نشره، وزمانه، ومادته في المقدمة، ثم يستدرك ما ندّ عنه أو طبع بعده، لا ان يكرر جهده.

على أنه كان يذيل الفقرات موضوعة البحث بلفظ : (ظ : كتب الضاد والظاء + رقم الصفحة) وأحيانا : (ظ : مشكلة الضاد العربية + رقم الصفحة).

ولا أظن القارىء عارفاً من هذه الرموز شيئاً، لان العنوانين لم يجر لهما ذكر قبلُ : ولانهما أدرجا في الجزء الثاني من المجلة تحت الرقمين ٢١٩ و ٢٦٥.

المسالة الثانية – لم يصنف الباحث شيئاً يذكر إلى مصنفات الحرفين سوى بضعة عنوانات، وما بدا فارقاً في عدده الـ(١٢٠) وعدد المعيبد الـ (٨٠) جاء نتيجة ذكره العنوان الواحد أكثر من مرة في مواضع متفرقة.

فانّه كرر العنوان أحياناً مرتين، أو ثلاثاً، أو أربعاً، بسبب التصرف في زيادة حرف فيه أو نقصه، أو تغيّر لفظ بمرادفه.. وهكذا.

وساضرب أمثلة للمكرر في الاتي، لكي يتبين أتجاه البحث، ثم أحيل الى الباقي بايجاز :

أ – المكرر أربع مرات ما جاء في جـ ٢ من ص ١٣٥ و ١٣٦ و ١٣٩، تحت الأرقام في الاتي :

(١٤٩ – الفرق بين الضاد والظاء – للحميري أحمد ابن محمد – كذا – « ٦١٠ هـ » تح. الشيخ محمد حسن آل ياسين، بغداد، مطبعة المعارف – ١٩٦١، ١٨٤ ص.

ضمن : رسالتان في الفرق بين الضاد والظاء.

١٥٤ – الفرق بين الضاد والظاء – محمد بن نشوان ابن سعيد الحميري « ٦١٠ هـ » ظ مشكلة الضاد العربية، ٢٣١ و ١٧. نشر بتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، بغداد ١٩٦١ م.

١٥٥ – الفرق بين الضاد والظاء – لابي سعيد نشوان ابن سعيد الحميري « ٥٧٣ هـ – كذا » تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين.

٢٤٨ – مختصر في الفرق بين الضاد والظاء – لمحمد ابن نشوان الحميري « ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م » تح الشيخ محمد حسن آل ياسين، بغداد ١٩٦١ ضمن كتاب « رسالتان في الفرق بين الضاد والظاء ظ كتب الضاد والظاء ٨٧، ٥٨٧، ٢٢).

وهذه الفقرات الأربع تخصّ كتاباً واحداً هو (مختصر في الفرق بين الضاد والظاء) طبع عام ١٩٦١ ذكره الاستاذ عريبي بصور مختلفة من غير تحقيق، ولا تدقيق، وتوهم في ذكر المعلومات في الرقمين ١٤٩ و ١٥٥. وربّما سيتوهم القارىء أنه أربعة كتب لا كتاب واحد.

ب – المكرر ثلاث مرات ما جاء في جـ ١ ص ١٥١ و جـ ٢ ص ١٤٠ و ١٤١ تحت الارقام الاتية :

(١١٠ – تراث الضاد والظاء – للاستاذ د. رمضان عبدالتواب ظ مشكلة الضاد العربية وتراث الضاد والظاء.

٢٦٥ – مشكلة الضاد العربية وتراث الضاد والظاء – رمضان عبدالتواب مجلة المجمع العلمي العراقي (بغداد) مج ٢١ (١٣٩١ – ١٩٧١) ٢١٤ – ٢٤٠.

٢٨٣ – مقدمة زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء – لابي البركات بن الانباري. تح الاستاذ رمضان عبدالتواب).

والمشار إليه بحث نشره الدكتور رمضان في مجلة المجمع العلمي العراقي بعنوان (مشكلة الضاد العربية وتراث الضاد والظاء) ثم جعله مقدمة لكتاب (زينة الفضلاء) الذي حققه، وتجزئة العنوان وتفريقه بالصيغة المتقدمة يوهم أن

المذكورات ثلاثة بحوث لا بحث واحد .

جـ ـ مثال المكرر مرتين قوله في جـ ١ ص ١٤٧ وجـ ٢ ص ١٣٥ : (٣٢ ـ الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء ـ لابي حيان الأندلسي أثير الدين محمد بن يوسف بن علي (٦٥٤ هـ ـ ٧٤٥ هـ / ١٢٥٦ ـ ١٣٤٤ م) تح . الشيخ محمد حسن آل ياسين ، بغداد ، مطبعة المعارف ١٩٦١ م ظ كتب الضاد والظاء ٥٨٩ ـ ٥٩٠ / ٧ ومشكلة الضاد العربية ٢٣٤ و ٢٣ ـ ١٤٧ ـ الفرق بين الضاد والظاء ـ لابن ـ كذا ـ حيان الاندلسي أثير الدين محمد بن يوسف بن علي الغرناطي (٦٥٤ ـ ٧٤٥ هـ / ١٢٥٦ ـ ١٣٤٤ م) تح الشيخ محمد حسن آل ياسين .. بغداد ، مطبعة المعارف ١٩٦١ ، ١٨٤ ص ، ضمن: رسالتان في الفرق بين الضاد والظاء) .

والمشار إليهما كتاب واحد هو (الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء) .

وهناك مكررات عديدة سأذكر ما ورد في الجزء الثاني منها ، وهي ضمن الأرقام الاتية :

ـ الرقم (١٢٧ ـ الظاءات في القرآن الكريم ، لابي عمرو الداني ...) تكرر في الرقم (٣٥٥ ـ كتاب ورود حرف الظاء خاصة في كتاب الله ..) .

ـ (الرقم (١١٨ ـ كتاب الضاد والظاء والدال ـ كذا ـ والصاد ـ لأبي الفهد النحوي البصري ..) تكرر في الرقم (١٢٦ ـ الظاء والضاد والذال والسين والصاد ..) .

ـ الرقم (١١٥ ـ كتاب الضاد والظاء ، لابي بكر أحمد ابن إبراهيم بن أبي عاصم اللؤلؤي ..) تكرر في الرقم (١٩٦ ـ كُتاب في الضاد والظاء ..) .

ـ الرقم (١٠٢ ـ شرح قصيدة في الظاءات ، للشنتيني ، قبل ٦٤٦ هـ) تكرر في الرقم (١٨١ ـ قصيدة في الظاءات لأبي الحسن .. الشنتيني (؟)) .

ـ الرقم (١٠٠ ـ شرح ثلاثة أبيات في ما يقع في كتاب الله تعالى من الظاء وما سواه من الضاد .. لسليمان بن أبي القاسم السرقوسي التميمي ؟ ...) تكرر في الرقم (١٢٨ ـ ظاءات القرآن ـ للسرقوسي ..)

ـ الرقم (١٨٠ ـ قصيدة في الالفاظ التي تكتب بالضاد ، لأبي نصر ـ كذا ـ عيسى بن مواهب ـ ٧٠٧ هـ حياً) تكرر في الرقم (٣٢٧ ـ نصان نادران في الظاء .. ٢ ـ قصيدة أبي منصور عيسى بن مواهب ..) .

ـ الرقم (١٥٢ ـ الفرق بين الضاد والظاء ، لابي الحسن الصقلي ..) تكرر في الرقم (٢٠٠ ـ كتاب في معرفة الضاد والظاء ، لابي الحسن .. الصقلي) .

ـ الرقم (١٥٦ ـ الفرق بين الظاء والضاد ـ لابي القاسم .. الزنجاني) تكرر في الرقم (٢٧٨ ـ معرفة ما يكتب بالضاد والظاء ـ لابي القاسم .. الزنجاني) .

ـ الرقم (٥٨ ـ ذكر الفرق بين الاحرف الخمسة ، وهي الظاء والضاد والدال والصاد والسين ، لابن السيد البطليوسي ..) تكرر تحت الرقم (١٤٦ ـ الفرق بين الحروف الخمسة ..) .

ـ الرقم (١٣٧ ـ عمدة القراء وعدة الاقراء في الفرق بين ظاءات القرآن المجيد ، قصيدة ـ لابن الفصيح ، الكوفي) تكرر في الرقم (١٨٦ ـ قصيدة في الفرق بين ظاءات القرآن ..) .

هذه نماذج مما تكرر ذكره في البحث ، وثبت له رقم اضافي ، ولابُد لي من الاشارة إلى أنّ العالم محمد بن مالك النحوي المتوفى سنة ٦٧٢ ترِد أسمه في مؤلفات الضاد والظاء (١٢) مرة ، وذلك في الجزء الاول ضمن الارقام (٣٥ و ٣٨ و ٣٩ و ٥٧ و ٥٩ و ٦٠ و ١٠٦) وفي الجزء الثاني ضمن الارقام (١٢٠ و ١٨٢ و ١٩٩ و ٢٨٢ و ٣٢٧) . والذي تركه ابن مالك في الموضوع ستة مصنفات . وهذا يعني أنّ كل مصنف ذكر مرتين مع اختلاف يسير في كل صيغة . وأضرب لذلك مثلا واحداً ، هو ما ورد في الحقلين الاتيين من الجزء الاول :

(٥٩ ـ الاعتماد في الفرق بين الظاء والضاد ـ لابن مالك جمال الدين أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن مالك (٦٠٠ ـ ٦٧٢ هـ / ١٢٠٤ ـ ١٢٧٤ م) تح د . حاتم صالح الضامن ، مجلة المجمع العلمي العراقي (بغداد) ج ٣ مج ٣١ « ١٩٨٠ » (٢٣ ـ ٣٧٩) .

٦٠ ـ الاعتماد في نظائر الظاء والضاد ـ لابن مالك جمال الدين أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن مالك (٦٠٠ ـ ٦٧٢ هـ / ١٢٠٤ ـ ١٢٧٤) تح د . حاتم صالح الضامن) .

والعنوان الصحيح للكتاب هو الثاني ، وليس للباحث دليل على وروده بالعنوان الاول الذي أعاد بسببه عبارة طويلة اشتملت على اسم العالم الكامل ، ومولده ، ووفاته بالسنتين الميلادية والهجرية . وهذا سبيله في كثير مما كرر .

إنّ الخلل المنهجي ، والتزيّد أسلم إلى التداخل في المعلومات والارتباك الذي أشرتُ الى جانب منه . وكان الأفضل ان يقدم الفهرس على غير هذه الصيغة إلى قارىء مجلة رصينة مثل (المورد) الغراء .

المدخل الى كتاب سيبويه وشروحه

تأليف الدكتور محمد عبد المطلب البكاء



عرض واختصار
انور عبد الحميد الناصري

ما فتيء الاستاذ الدكتور محمد البّكاء مغرماً بـ (ابنة العرب) ، كلفاً بفنونها النحوية والصرفية والصوتية ، حريصاً على رفع قواعدها ، منقباً ومدققاً ، ودارساً متاملاً ، دائباً على خوض غمار معتبرات أبحاثه وكتبه وتصانيفه ، بنظر بصير ، وذهن متذوق ، وتثقيف فصيح بليغ .

ومن آثار ما جمع وألّف ، الكتاب الذي نشرته دار الشؤون الثقافية العامة في اخريات العام الفائت ، وهو الذي عنونت كلمتي فيه ، واعتزمت على وصفه والتعريف بما يحتويه في غير إسراف ولا تطويل .

وأنت تعلم يا صاح ان ايجاز الكتاب أو تلخيصه دون فائدة تصفحه وقراءته ولذة التفرغ لمطالعته .

صدّر المؤلف الفاضل مؤلفه بمقدمة أوجز فيها الكلام على كتاب (سيبويه) ثم أوضح أنّ منهجه سيجيء في ثلاثة اقسام :

الاول : سيبويه (حياته وكتابه) .

الثاني : مَنْ ألف على كتاب سيبويه وشرح متنه ، أو شواهده ، ومَنْ علق عليه ، مرتباً أسماءهم حسب تواريخ وفاتهم .

الثالث : مواد شروح كتاب سيبويه .

ففي القسم الاول ذكر اسمه ولقبه وشرح الاختلاف في سبب تلقيبه به . وخلص الى الاتفاق مع قول د . أحمد أحمد بدوي : « وهذه تعليلات لا قيمة لها ولا داعي اليها ، لان الاسماء لا تعلل ، كما يقولون » .

ثم نقل أسماء من شارك في هذا اللقب ، وأضاف اسم اثنين آخرين يلقبان بسيبويه ، عثر عليهما في أثناء قراءاته .

وانتقل الى موضوع ولادته ونشاته ، وسرد ما قيل في مكان ولادته وسنتها وسبب اتجاهه لدراسة العربية والنحو ، ثم ذكر أسم اساتذته ومن روى عنهم ثم سرد أسماء زملائه وأبرز تلاميذه وانتهى الى ذكر سنة وفاته ومكانها ومكان قبره .

وكل ذلك مختلف عليه .

ثم جاء الى (كتاب سيبويه) وقال أنّ الرجل لم يضع له اسماً ولا مقدمة ، ورجح أنّ الكتاب لم يقرأ على صاحبه ولا قرأه صاحبه على الناس .

وناقش بعض الاقوال في تاريخ تاليف الكتاب ومدى (جهد مؤلفه فيه) وما قاله بعض المؤرخين والباحثين النحاة القدامى والمحدثين وقال ان كتاب سيبويه : (أثار اهتمام علماء عصره وما تلاه من عصور) وانه إذا (نال اهتمام النحويين ـ بصريين وكوفيين) فقد كان للاندلسيين (اهتمامات لا تقل عن اهتمامات المشارقة واعجابهم به) .

وسرد أسماء الذين ألفوا عليه من الاندلسيين ، وأشار الى اسماء الباحثين المعاصرين الذين احصوا من ألف على كتاب سيبويه وخص بالذكر الاستاذة الدكتورة خديجة الحديثي والاستاذ عبد السلام هارون .

وننتقل الى عنوان القسم الثاني من الكتاب وهو (من ألف على كتاب سيبويه) .

ويبدأ بتعدادهم من أولهم : الاخفش الاوسط ثم الجرمي ،

والمازني ، والزيادي ، والسجستاني ، حتى انتهى الى ابراهيم بن اسماعيل بن اسحاق وفي خلال ذلك التعداد يذكر اسماءهم وسني وفياتهم مع ذكر اسماء تصانيفهم وما حقق منها أو ما انكر وجودها ، ثم ألحق جدولاً مختصراً باسماء هؤلاء الذين ألفوا على كتاب سيبويه بحسب القرون :

ثم ننتقل الى القسم الثالث الذي يعد العمود الفقري للكتاب وهو (مواد شروح كتاب سيبويه) .

فبدأ بشرح (أبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي المتوفى سنة ٣٦٨ هـ) فذكر نسخ ذلك الشرح وأماكن وجودها وعدد مجلداتها وعدد اوراق كل مجلد ، وما كتب في صدر كل نسخة وعنوانات ابوابها الى آخرها توصف به المخطوطات ، ومن تملكها أو نسخها ومتى فرغ من النسخ .

ثم تاتي بعد ذلك (مواد شرح السيرافي) على وفق الاجزاء وعنوانات الابواب كـ (هذا باب تغيير الاعراب عن وجهه وباب الفاعل وباب الفاعل الذي يتعدى فعله الى ثلاثة ... وهذا باب الامر والنهي وهذا باب حروف اجريت مجرى الاستفهام وهي حروف النفي ..)

وبعد أن تنتهي ابواب الجزء السادس يوافينا المؤلف بصور بعض صفحات هذا الشرح (المخطوطة تيمور) وننتقل الى شرح كتاب سيبويه (لابي الحسن علي بن عيسى الرماني المتوفى سنة ٣٨٤ هـ) فنطالع على منوال ما طالعنا في شرح السيرافي) (نسخ الشرح وعدد مجلداتها ومكانها مع بعض الصور لصفحات نسخة معهد المخطوطات العربية - القاهرة) ثم تاتينا مواد شرح الرماني (المجلد الثاني) كباب اسم الجنس المحمول على الفعل المحذوف وباب صفة الذم وباب النداء . ثم ترد صفحات مصورة من المجلد الرابع ثم تكملة بعض ابواب الاجزاء ثم صور لصفحات من المخطوطة ، ونواصل مطالعة ابواب الاجزاء الاخرى ونطلع على بعض صور لمخطوطة (نسخة مكتبة فينا) .

ثم ننتقل بعدها الى (نسخة شرح عيون كتاب سيبويه لابي نصر هارون بن موسى صالح بن جندل الرطبي المتوفى سنة ٤٠١ هـ) .

وهنا نجد المنهج نفسه الذي رأيناه في الشرحين السابقين فنقرأ نسخ الشرح ومكانات وجودها وأرقامها .. كما تطالعنا صور بعض صفحاتها بينها مواد (شرح عيون كتاب سيبويه) .

ثم نصل الى (النكت في تفسير كتاب سيبويه لابي الحجاج يوسف بن سليمان المعروف بالاعلم الشنتمري المتوفى سنة ٤٧٦ هـ) .

وهي كسابقتها توجد منها نسخة واحدة فقط مصورة عن نسخة مكتبة الخزانة العامة في الرباط وقد حققها الدكتور زهير عبد المحسن سلطان .

وبعد شرح موجز توافينا صور لبعض صفحاتها ثم تفصيل (مواد النكت في تفسير كتاب سيبويه) كـ (هذا باب علم حروف الزيادة وهذا باب حروف البدل وهذا باب (الابنية) .

ثم نصل الى شرح كتاب سيبويه المسمى (تنقيح الالباب في شرح غوامض الكتاب) لابن خروف المتوفى سنة ٦٠٩ هـ) .

وعلى منوال ما قرأنا عن النسخ التي مرّ ذكرها ، يمضي منهج هذا الشرح فنتعلم أين مكان نسختي المخطوطة مع شرح موجز لكل نسخة ثم اشارة الى قيام الاستاذ خليفة محمد خليفة بديري ، بتحقيق (٦٩) باباً من أصل (٢٥٤) باباً ضمنها نسخة دار الكتب المصرية (نسخة تيمور) .

يعقب هذا بعض صور للمخطوطة ثم تاتينا (مواد شرح كتاب سيبويه المسمى (تنقيح الالباب في شرح غوامض الكتاب) .

ونصل أخيراً الى شرح كتاب سيبويه (للقاسم بن علي الشهير بالصفار المتوفى بعد سنة ٦٣٠ هـ) .

وليس من فروق بين النهج الذي اتبعه المؤلف الفاضل في الكلام على هذا الشرح عما اتبعه فيما سبق .

ثم تجيء الصفحات الاخيرة للمصادر والمراجع فكان عدد المخطوط منها (١٢) مخطوطاً اما المطبوع فبلغ (٩٥) مطبوعاً كما بلغت الرسائل الجامعية التي رجع اليها (٨) رسائل اما البحوث والدراسات فكانت ثلاثة .

ملحوظة :

في تقديري ان القسم الثالث من الكتاب بمثابة العمود الفقري فيه ، وهو الذي أولاه جل اهتمامه وكان عنواناً للكتاب القيم عن سيبويه .

ولذا فقد مرّ سريعاً بقضية معرفة سيبويه اللغة الفارسية ، وكانه رجح قول الاستاذ علي النجدي .. ارجح ان سيبويه كان يعرف الفارسية او بعبارة ادق تعبيراً كان يلم بها » اي ان لم يتعمق فيها ، في حين يرى آخرون انه كان على علم تام ومعرفة كاملة باللغة الفارسية وأفصح عن جهوده الذاتية ومن ذلك قوله « هذا باب الاسماء الاعجمية وهذا باب ما اعرب من الاعجمية » .

وان قول المؤلف الفاضل « ان حياته التي انطفات في عزّ شبابه لم تسعفه في أن يضع عنواناً لكتابه » في حين يرى بعضهم ان تسمية الكتاب مأخوذة من قول سيبويه نفسه اذ يقول « .. وقد اوضحته في اول الكتاب .. » (سيبويه - جامع النحو العربي - د . فوزي سعود) .

وهناك بعض الاراء غير هذا وهذا نقلها المؤلف الكريم بغير ان يخوض في جدلها ، لان جلّ جهده المشكور كما قلت كان منصباً على القسم الثالث من الكتاب .

ولا يسعني الا ان ادعو الله ان يحفظ المؤلف الكثير ويجزيه الخير في الدارين . وعسى ان يوفق ثانية بكتاب قيم جديد ، خدمة لتراث امتنا العربية ولغتها الكريمة .